روايات عبير الجديدة

آن آرثر

هبت الريح لأجلك

LIILAS.COM

روايات عبير الجديدة

هبت الريح لأجلك

آن آرشر

تخلت جولييت عن متابعة دراستها حتى تساعد أهلها، وكانت سعيدة عندما وجدت وظيفة في مخزن كبير. كانت مليئة بالحماسة والأفكار وفي وقت قصير أصبحت مسؤولة عن قسم الملابس، لكن أفكارها جعلتها في صدام مستمر مع المدير العام درو ماجبور، كانت جولييت بحاجة لوظيفتها، لكن هل تتخلى عن كبريائها وتذل نفسها من أجل هذا الرجل الساخر من النساء عموماً ومنها بشكل خاص، ما جعل الاختيار أصعب هو حبها المتزايد له

LIILAS.COM

١ ـ الحبيب القديم

قاومت سينثيا بورن الرعدة في اوصالها، وقالت لابنتها:

ـ إذا لم يجب احد على قرعنا للباب، فمن المؤكد أن هذين الأسدين المرعبين سيأكلاننا احياء. يبدوان جائعين وانا واثقة انهما يستعدان للوثوب علينا.

وضحكت جولييت واجابت:

ـ بما انك ذكرت هذا، فهما فعلاً يبدوان جائعين.

ينتصب الاسدين الحجريين على المدخل، رابضين كأبي الهول وكأنهما يحرسان المدخل. عبوسهما الثابت، من الواضح أنه صُمم لإثارة اهتمام، الزوار، بان المحظوظين فقط يسمح لهم بالمرور امام عيونهما، والنجاة من مخالبهما الممدودة على الدوام.

منزل السيد مايجور، بناء متفرع من طابقين، انشيء ربما منذ مئتي سنة على طريقة البيوت الريفية الكبيرة في تلك الأيام. قرميده الاحمر الداكن عتقه الزمن. والمدخل القائم على اعمدة بيضاء يبدو متجانساً مع الأسدين. وبدا وكأنه من غير المسموح لقدم غير جديرة ان تخطو على السجاد الفاخر الذي ظهر عندما فتح الباب اخيراً، والذي بدا وكأنه عشب ازرق نما على أرض المدخل.

وبرقت عينا وارن مايجور، وهو في العقد الخامس، بالتساؤل، وقد مرتا بالفتاة الواقفة على عتبة الباب، لتستقرا على المرأة التي الى جانبها، وامتدت يداه: «سينثيا! ثلاثون سنة مرت، أليس كذلك؟» واجابته سينثيا بورن «هذا صحيح» ودخلت الى الردهة ووضعت يدها بيده.

ـ امر لا يصدق، انت لم تتغيري تقريباً!

ـ ولا انت ايضاً. انك تبدو كما انت اكثر من الماضي.

واضافت مع بعض الفخر في صوتها:

ـ هذه ابنتي جولييت. لطف منك ان تستقبلنا يا وارن. لا اريد ان اطلب

شيئاً منك، ولكن في ظل هذه الظروف...

- لا تفكري بالموضوع.

واخذ يد جوليت ونظر إليها وقال:

- النظر اليك يا عزيزتي، يرجعني ثلاثين سنة الى الوراء.

وقادهما الى غرفة الاستقبال الرئيسية. واخذت جوليت تحدق بما حولها بإعجاب، وهذا امر متوقع من كل زوار المنزل.

كان امامها انطباع غامض، من الذهب ولمعانه، من المخمل والحرير، من الجو المريح، إذا كانت هذه الكلمات تنطبق على هذا الجو، وتوقفت عن التحديق، لتجد نفسها، وقد التقط نظرها فجأة، كعدسة الكاميرا، عينان غريبتان لرجل يقف بالباب. وقال وارن:

- هذا ولدي «دروه» - هذه سيثيا بورن صديقتي القديمة جداً، وهذه ابنتها جوليت.

ومد الابن يده أولاً الى الأم، ثم الى الابنة. وبدا فمها متحفظاً، ولكن جوليت قررت، وهي تحاول ايجاد عذر له، ان السبب عائد لطول قامته الذي أعطاها الانطباع الخاطىء. وقال وارن فجأة ويده تتحرك نحو امرأة جالسة على الاريكة «وهذه زوجتي.. ميلدرد».

وافتر فم ميلدرد مايجور الرقيق الشفتين قليلاً، وكأنها ابتسامة أعرض قد تحطم المادة الرقيقة التي صنع منها خداها. ورفعت يدها اليمنى بضع انشات بالتحية، دون ان تهزها. وقالت سيثيا في محاولة لكسر الصمت: «الطف منك ان تدعيناه».

- ابداً، إنها فكرة وارن. وليست فكرتي.

وقال وارن بحماس «أجل، حسناً لماذا نبدأ؟»

وقالت له زوجته ناصحة، وهي تنهض عن الأريكة:

- خذهما في جولة لرؤية المنزل، بينما أطلب أنا الشاي.

وأشار وارن إلى ابنه قائلاً:

- درو، كن دليل هذه الآنسة الشابة، وسأرافق انا والدتها.

وهكذا، سار درو مايجور، الطويل ذو الشعر الاسود، البالغ اوائل الثلاثينات، الى جانب جوليت، ونظراته حادة لدرجة العجرفة، بالطريقة

الارستقراطية التي يرفع بها رأسه. وبدا انه ضجر قليلاً، وكأنما لديه أعمال اهم من مرافقة الشابة ذات العينين الواسعتين لتشاهد منزل والده.

كانت عيناه ساخرتان قليلاً وهو يرفع يده اليمنى ثم اليسرى، ليرشد نظراتها الى أناقة وفخامة غرفة نوم بعد الأخرى، والى الاثاث الثمين لغرفة الاستقبال، ومن ثم غرفة الجلوس، ثم قاعة الطعام الطويلة الفاخرة.

وابتسم قليلاً:

- انا آسف لإزعاجك بكل هذا، ولكنني أعتقد أنك تأثرت به؟ هكذا يريد والدي. لا يتعب ابداً من مرافقة الزوار لمشاهدة ثمار مجهود حياته، وانت ضيفته، إذاً يجب ان تظهري الامتنان المناسب. ولا يجب ان تخذليه!

كان يسخر، ولكن جوليت اجابت بجدية:

- بالطبع لقد تأثرت، واعتقد أن المنزل كله جميل، البناء وما يحتويه.

- اعتقد انك تعنين ما تقولينه. قولي لأبي هذا وسوف يعطيك اي شيء تطلبينه حتى تلك الوظيفة التي يبدو أنك تسعين وراءها.

- وهل علمت بهذا الامر؟

- طبعاً. فانا مدير الشركة، بكلمة اخرى انا المسؤول، ووالدي رئيس مجلس الادارة. ولكنه لا يتدخل بشيء. فهو يجلس - كتشيه مجازي - ورجلاه مرفوعتان طوال اليوم. وانا من يقوم بالعمل، وانا من يمسك باللجام، واحياناً، عند الضرورة، بالسوط.

- فهمت.. في هذه الحالة.. سيد مايجور انا آسفة.

- آسفة من ماذا؟

- لطلب والدتي. لا ينوجب عليك اعطائي وظيفة في شركته، لأنها طلبت هذا فقط. فأنا لا أؤمن بالوسائط في التوظيف. وهذا في الحقيقة نوع منها.

- وبالطبع لن تتخلي عن مبادئك حتى ولو كنت مستفيدة اليس كذلك؟

وعلمت انه تغلب عليها بسخريته، فهي طبعاً على استعداد لقبول اي وظيفة يعرضها عليها تحت ظل الظروف التي تمر بها. وهو يعرف هذا ايضاً. وابتسم راضياً عن نفسه:

- لا تقلقي على مبادئك. سنجد لك مكاناً، وأعدك أن لا تكون الوظيفة

رمزية. فإذا توظفت في أحد اقسام مخازن مايجور، سيكون عليك ان تعمل، وسأتأكد بنفسي، بأنك تستحقين ما سندفعه لك، مثل الباقين تماماً. وسيكون عليك مواجهة حسابي اذا لم تقومي بعملك كما يجب.

وابتسم، وعندها فقط اكتشفت كم أثار هذا الرجل سخطها. شيء ما فيه جعلها تشعر وكأن فرشاة خشنة حكت على جلدها بقسوة. كان من الواضح أنه ضجر من صحبتها، لأنه ابطأ سيره ليدع والدتها ووالده ليلحقا بهما. وعادوا جميعاً الى غرفة الاستقبال الرئيسية، وادخل الشاي اليهم على عربة مذهبة وزجاجية، تجرها امرأة ضخمة رمادية الشعر ابتسمت بأدب، فملدريد مايجور لم تضيع وقتها في تعليم تلك المرأة كيفية التصرف. وهنئت سينثيا ملدريد على الكعك والمعجنات والفطائر التي أصر وارن على ملء طبقها بها.

وقالت ملدريد بصوتها الأجش الخالي من الأنوثة:

- لم اصنعها بنفسي. فكاثي طباخة إضافة إلى كونها الخادمة. وكل هذا من صنعها. لا أستطيع عمل شيء من دونها. فوارن دقيق جداً حول طعامه ولا استطيع مجاراة ذوقه بالأكل، ولا احاول حتى.

وطرح وارن سؤالاً ازال الاعتداد بالنفس عن وجه زوجته:

- هل ما زلت تطبخين بالبراعة نفسها التي كنت عليها يا سينثيا؟ لا أزال أذكر بسرور الطعام الذي كنت معتاداً على تناوله في منزلك في الايام الخوالي.

وضحكت سينثيا وقالت:

- اسأل ابنتي وزوجي. من الصعب ان اجيبك لأنني أنا من أطبخ.

- وكما يفعل الفنان الحقيقي، تجدين من الصعوبة ان تحكمي على فنك؟

وتجمدت حدقتا ميلدرد مايجور لكلماته كما الثلج فوق بركة. وبرزت نظرة لاذعة على وجهها كمن قضى فترة طويلة في الصقيع. ولم يكادوا ينهون آخر قطعة من الحلوى حتى سارعت الى تجميع الاطباق ووضعتها بعنف على الطاولة، ووقفت جولييت لتساعدها، ولكن ملدريد رفعت يدها واشارت اليها بالعودة الى مقعدها، واقبلت الخادمة وسحبت الطاولة.

وساد صمت قصير. ومدد وارن مايجور، رجل الاعمال الناجح والذي بلغ نصف الطريق ليصبح مليونيراً، جسمه في زاوية الاريكة، مبعداً نفسه عن

زوجته قدر ما تسمح به مساحة الاريكة، ومد ساقيه ومرر يده على شعره الرمادي وقال مخاطباً جولييت:

- لو أن أمك تزوجتني لكانت سيدة هذا المنزل. ووريثة ثروتي الضخمة، وأنا أقول وريثة لأن معظم الزوجات يبدو انهن يعشن اكثر من ازواجهن السيئي الحظ، وهي ما تزال شابة، انظري اليها، هي في الخمسين من عمرها.

وابتسمت سينثيا كاشفة عن ان عدم كونها وريثه وسيدة منزله لا يقلقها ابداً وقالت:

- ليس أمامي ما اندم عليه. فانا سعيدة بزواجي جداً.

وابتسم وارن وخاطب جولييت:

- أعتقد أنها اخبرتك أننا كنا مخطوبان. ولكنها كانت تعارض طموحي وصرامتي في التعامل مع الآخرين، لذا فسخت الخطوبة؟ وانها ايضاً حطمت قلبي؟

ووقعت ابتسامته كالسوط على زوجته، وكأنه كان يعاقبها على غلطة لا تغتفر. ثم استقرت ابتسامته على والدة جولييت.

- يا عزيزي وارن. لنواجه الأمر، تلك الايام لم يكن لديك قلب لتتحطم. كن صادقاً. لقد كنت أشك دوماً في ان يكون لديك قلب. وإلا كيف كدست ثروتك التي تفتخر بها الآن؟ لا يمكن لأحد أن يحقق ما فعلت إلا إذا تخطى الناس بخشونة.

- يا الهي.. لا تزال لديها تلك النار القديمة! أتذكر المناقشات العنيفة التي كنا نخوض فيها. هل أورثت ناريتك الى ابنتك يا سينثيا؟

إنها تشبهك تماماً. شعرها بني فاتح، ولكنه اطول، ولونها زهري، وشفتاها حمراوان.

- لا بد ان مرور الوقت زاد الافتتان في نظرتك الي يا وارن.

والتفتت إلى زوجته وفي عينيها الاعتذار:

- لم اكن كما صورني ابداً يا ميلدريد.

ولكن وارن أصر على رأيه قائلاً:

ـ هذا لا يهم، فجولييت نسخة عما كنتي في تلك الايام. لا شك في ذلك، أخبريني يا فتاتي، أتظنين أن لديّ قلباً؟

وابتسمت جولييت:

ـ من الواضح أن لديك قلباً يا سيد مايجور، وإلا لما كنت تعيش، أليس كذلك؟

ـ فعلاً، هذا جيد، جواب جيد، إيه يا درو؟ أتعتقد أنها ورثت نارية امها؟

وتحركت عينا الابن متفحصة، واخذ وقته في إمعان النظر فيها.

ـ اجل، أستطيع قول ذلك. على الرغم من أني كونت فكرة من المظهر السطحي بانها لم ترث النارية من امها فقط، بل الأتون المشتعل كله. ما عليك سوى ان تتقدم منها قليلاً وستشتعل.

وضحك وارن عالياً وتطلع إلى سينثيا:

ـ يا الهي، سماع درو يقول هذا يرجع إليّ الذكريات السعيدة.

وابتسمت سينثيا دون احراج، ولم يتحرك وجه ميلدريد، وجلست دون حراك، ونظرت الى سينثيا ومطت شفتيها الرقيقتين بعدم الموافقة، وهي تشاهد وجه المرأة الأخرى المشرق بالتفاؤل، والذي لا يزال جذاباً. واكمل وارن كلامه غير عابىء بزوجته.

ـ حسناً يا جولييت، بما انني أسست كل هذا، فحتماً كان لدي قلب، وصدقيني عندما أقول إن أمك حطمته.

ـ وإن يكن يا سيد مايجور، فأنا متأكدة انه عاد الى طبيعته بعد فترة قصيرة.

ـ وما يجعلك واثقة هكذا؟

ـ حسناً، إن ذلك لم يمنعك من النجاح في حياتك. كذلك وجدت امرأة أخرى لتحبها وتتزوجها. وهكذا فانت لم تبتعد عن الحب. ولديك ابن. كل هذه الأشياء اشارات ايجابية على وجود قلب. ولديك ايضاً ما يرغب به كل الرجال وقد لا يحصلون عليه: وريث. وسيرث يوماً كل ثروتك.

وسألها الوريث المفترض:

ـ طالما انت تحللين الوضع هكذا يا جولييت، فأين اقف أنا في تقديرك؟ ايمكن ان تصنفني امرأة على انني لقطة رائعة؟ وهل يمكن لامرأة ان تحطم قلبي كما حدث لوالدي؟

ـ بما انك سترث الكثير، فاية امرأة تقدر على مقاومتك؟

ـ وهل تحديني غير قابل للمقاومة يا جولييت؟

ـ لا، ابداً.

وضحك والده ضحكة قصيرة مدوية.

ـ إنها كوالدتها تماماً! لقد رمت بالحقيقة في وجهك.

وتابع الابن كلامه بإصرار، ولم يتأثر بالضربة التي افترض ابوه انه تلقاها:

ـ ولكن، فكري بكل المال والاملاك التي ستكون لي يوماً ما، الا يغريك هذا، ويجعل مقاومتي غير ممكنة، حتى بنظرتك المتحاملة عليّ؟

ـ لا، وأنا لست متحاملة عليك. فانا أقول الحقيقة فقط. هل انت تقصد أن تتقدم بطلب يدي؟

ورمى رأسه الى الوراء وضحك، وكان في ضحكته بعض الاعجاب. وضحكت سينثيا ووارن، وقال لابنه:

ـ اول الامر أهانتك، وها هي الآن تصبح وقحة. يا الهي يا درو، لو اعطيناها الوظيفة، سوف يكون عليك أن توقفها عند حدها، وإلا سوف تستلم العمل منا وتدير المؤسسة بنفسها! ابتك يا سينثيا مليئة بالحيوية. وستحطم عدة قلوب قبل ان تستقر!

وهزت جولييت رأسها وقالت:

ـ لن أحطم قلب رجل أحبه. سأتزوجه لو كنت احبه. حتى ولو كان مفلساً لن يمنعني هذا من زواجه. انظر الى أبي، كان محاسباً شاباً فقيراً عندما تزوجته، ولم يملكا المال ابداً، ولكنهما سعيدين، حتى الآن. الرجال ممن عندهم المال لا يجذبون اهتمامي. بل على العكس يوقعون النفور في نفسي.

ـ مما لا شك فيه، انك ابنة امك.

وابتسم وارن بسخرية وقال:

ـ لقد جرحت قلبي يا جولييت.

وابتسمت جولييت بدورها واجابته:

ـ لا اعتقد ان لديك قلباً ليجرح.

ـ هذا اطراء منك.

وابتسمت ووجهت الكلام للسيد مايجور:

ـ على كل الأحوال سيد مايجور.

وتدخل والده قائلاً:

ـ اوه.. ناديه درو، فلو اختلفت الامور في الماضي لكان الآن شقيقتك.

وابتسم درو قليلاً، وتابعت كلامها:

ـ على كل الاحوال يا درو، قلوب الرجال، لا يمكن ان تتحطم هذه الايام. فالنساء يدخلن ويخرجن في حياتهم، بتكرار، بحيث ان قلوبهم لا تتأثر، اليس كذلك؟ كن صادقاً؟

ومدّ رجليه الى القضبان النحاسية على المدفأة. وابتسم متحدياً:

ـ اتقصدين ان تدعيني لأن اكشف أسرار حياتي العاطفية امامك؟ وان اخبرك كم امرأة...

وأوقفه عن متابعة كلامه صوت أمه:

ـ درو! لا يجب ان تتكلم هكذا حقيقة. انت تعرف كم اكره هكذا حديث!

ولكن احتجاجها لم يؤثر عليه، وشعرت جولييت كم ان ميلدرد مايجور لها دور ضعيف في حياة هذين الرجلين، المتشابهين بالخلقة والطبع. وتابع كلامه:

ـ سأقول لك إذا احببت.. ولكن لسوء الحظ سيأخذ هذا وقتاً طويلاً...

وأرجع والده رأسه الى الوراء ضاحكاً:

ـ آه.. العديد من النساء يا درو أليس كذلك؟ هذا ما يعجبني يا ولد، ولكن انتبه ان تعلق!

وصدمت جولييت، ونظرت الى ميلدرد. كلامه هكذا امام زوجته جعلها ترتعد. ولكن ميلدرد بدت وكأنها صماء، هل من الممكن ان تكون معتادة على مثل هذه الإهانات التي يوجهها زوجها في وجودها؟ وتطلعت اليها سيثيا ايضاً، ولاحظت جولييت الازدراء في نظرتها على الرغم من محاولة السيطرة عليه، وقالت:

ـ اتعلم يا وارن، لقد توصلت الى وجهة نظر بأنني كنت محظوظة جداً عندما فسخت خطوبتنا.

ونظر اليها وارن وكأنه تلقى ضربة جسدية، ومرت به سحابة من الحزن مضت وكأنها لم تكن. وابتسم:

ـ إنها وراثة في العائلة، اليس كذلك؟ كلنا سكيرون، نتجاوز الحدود دائماً. انتبه لنفسك يا بني.

واشار الى جولييت:

ـ لا تتورط معها، وإلا لن تعرف ما هي نهايتك. ستكون مطروحاً أرضاً على الحلبة والحكم يعد إلى العشرة قبل ان تدري.

وقال درو متفاخراً:

ـ لا خوف عليّ من هذا. لم تنل مني اية امرأة بعد كيفما تريد.

ورفعت جولييت حاجبيها:

ـ تقصد ان الأمر معاكس؟

ـ بالطبع الامر معاكس.

ـ هذا أمر آخر اكرهه. زير نساء لا يهتم بالمرأة جدياً. هذا إضافة إلى مالك... انت بكل بساطة من غير طرازي.

ـ اذاً فنحن غير متجانسان تماماً يا جولييت؟

ـ قطعاً.

ـ يا الهي، يا لحظي السعيد! والآن بما اننا اوضحنا هذه النقطة لنتكلم بالاعمال..

وسارع وارن للقول:

ـ إنها فكرة ممتازة. خذها في نزهة يا درو، فانت المشرف، وانت من يدير المؤسسة، إذاً انت من سيطرح الاسئلة، فانا مجرد رمز.

وخرجا نحو الحديقة وقال درو:

ـ اذاً، لدي أوامر من رئيس مجلس إدارة الشركة لأن اطرح عليك بضعة اسئلة.

ـ هل هذه مقابلة عمل سيد مايجور؟

ـ اعتبريها كذلك، واعتبري نفسك قد منحت شرفاً عالياً يا آنسة برون، لان مدير التوظيف ليس هو من يقابلك بل مدير الشركة بنفسه. والآن، هل لديك خبرة سابقة.

- ابداً، ربما لن اكون ذات منفعة عندكم.

- هذه المرة الاولى خلال حياتي العملية ارى متقدماً لوظيفة يخرج نفسه منها.

- انا صادقة معك فقط، انا - حالياً - تلميذة فنون.

- فنون الاعلان؟

- لا، التصميم الفني - الديكور.

- ربما تكون الآنسة ذات فائدة لنا. اذاً انت تلميذة فنون. هل تقومين بالأعمال التطبيقية في الكلية؟ كل ما اعرفه ان التلاميذ هناك ينصرفون الى المغازلة اكثر من الدرس.

- اظن أنك ستسألني تالياً اذا كان لدي صديق؟

وتراجع عن سخريته، لوقع كلامها الغاضب، فابتسم وقال:

- اريد أن اعرف لماذا، ولكن صريحين، امك تنازلت عن كبريائها لتطلب من والدي، الرجل الذي رفضته منذ سنوات زوجاً لها، ليصنع معها معروفاً ويعطي ابنتها وظيفة، مساعدة لها.

- لا ادري علاقة ما تقوله بكلامنا، اذا لم يكن لديك وظيفة تعرضها علي أرجوك إذاً أن تقول، وهذا سينهي الأمر. هل تتدخل عادة في حياة من ستوظفونهم الخاصة؟

- لا، فأنا اكره هذا. ولكن كل رب عمل لديه الحق في طرح الاسئلة على اي مرشح، وخاصة لمن يطلب خلق وظيفة غير موجودة له.

- اتعني انك تحاول ان تقول لي بأدب انه لا توجد وظيفة مناسبة لي؟

- بطريقة ما، نعم.

- لقد استخدمت من قبل كلمة، وظيفة دون عمل أليس كذلك؟ فهمت الآن ما تعني. الأفضل ان نعود الى الداخل.

وامسك بذراعيها واعادها الى الوراء.

- عادة، من صلاحية رب العمل المفترض وحده إنهاء المقابلة، وليس طالب العمل.

- انا آسفة، ولكنني لا اريد ابداً ان اكون عالة على احد.

- توقفي عن هذا الكلام الساخر، المرير او مهما كنت تقصدينه.

- لا اريد ان اكون عبئاً...

- قلت لك اصمتي يا جولييت. ما إذا كنت نافعة أم لا يعتمد على مدى مقدرتك في عملك، ولا تقلقي سنكتشف ذلك. نحن لا نتجسس على موظفينا ولكن لدينا وسائلنا لمعرفة نجاحهم او العكس. وإذا لم تكوني ذات فائدة لمؤسسة «مايجور وولده» سنطردك، هكذا:

- دون فرصة ثانية؟ لست مندهشة. فبوجودك على رأس المؤسسة، سأصدق تماماً أن المؤسسة تتبع سياسة التعصب والصرف الفوري دون شفقة او رحمة!

وأحنى رأسه بايماءة ساخرة تنم عن الشكر.

- رأيك بي جيد، مرتكز طبعاً على سنوات من المعرفة بطباعي، وهذا ما يشبع غروري. على كل، لو رغبت في العمل عندنا، عليك ان تصبحي اكثر خضوعاً. ولن اقول ادباً.

- تتحدث عن الادب، اذا اعطيتني وظيفة هل سأدعوك «سيدي»؟

- اكثرية الموظفين يدعونني كذلك.

ونظرت اليه لتعرف ما إذا كان مازحاً ولكنها وجدت على وجهه نظرة جادة تماماً.

- آسفة، ولو كلفني ذلك الوظيفة التي لم احصل عليها بعد. لم أدعو رجلاً في حياتي بيا سيدي. ولا أنوي ان ابدأ الآن.

- في هذه الحالة، سأصدر تعليمات لكل الموظفين، من المدير العام حتى اصغر واقل عضو من الموظفين شأناً بأن السيد درو مايجور يجب ان يدعى من الآن وصاعداً «سيدي».

- اجل يا درو.. درو.. سيدي..

- والدي كان على حق عندما حذرني لأبقيك تحت المراقبة!

- آسفة سأحاول، سأحاول أن أحسن أخلاقي.

عندما وصلا الى آخر الممر المرصوف في الحديقة توقفا واستدارا لينظرا إلى المنزل، وما شاهداه كان مثالاً للكمال والروعة. على جانبي الممر كانت الورود مفروشة، تبدو من بعيد على شكل سهم يضيق كلما اقترب من باحة المنزل القرميدي. أشجار السرو الهرمية الشكل، وقد شذبتها يد الجنائني العطوف

لتماثل اشكال بعضها البعض، وتقف مثل قمة بركان خضراء قاتمة من خلف مشاتل الورد، تعطي تأثيراً اكبر للشعور بهذا المنظر. ومع توالف الالوان، يأتي الهواء بعبير الشذى يدغدغ الانوف، وفوقها كلها اوراق الشجر الخضراء تطل عن الغصون، وفي نهاية المطاف يأتي منظر القرميد الاحمر المائل، ومن تحته النوافذ المدهونة بالابيض في المنزل نفسه، لتعطي منظر بطاقة معايدة جميلة وخيالية. وتطلعت اليه لتسأل:

ـ الى أين الآن؟

ـ الى هناك، حيث تسطع الشمس على بركة السباحة. ولكن طالما انت لا ترتدين ثوب سباحة، ولا يوجد «بيكيني» ليغريني...

ـ على كل لا اعرف السباحة.

ـ إذاً سنمشي عبر حديقة الورود نحو الحوض.

وادارها الى الوجهة الصحيحة وكأنها إنسان آلي، وبينما هما يسيران جنباً الى جنب قال لها:

ـ اخبريني، لماذا تريدين هذه الوظيفة؟ ولماذا مثلاً لا تتابعين تدريبك الفني وتنظري الى الافضل؟

ـ لظروف عائلية، بالمختصر، حاجتنا الى المال في العائلة.

ـ فهمت..

ـ والدي يعاني من الربو احياناً. وبما انه اصبح اكبر عموماً تعاوده النوبات بتكرار اكثر، ويجبره بذلك على الغياب عن العمل، ولا يبقى لنا سوى مدخول ضئيل. وهكذا، فلهذه الظروف، لا استطيع الاستمرار بدراستي في وقت يجب ان انتج به المال لدعم مورد والدي.

كرهت ان تخبر هذا الرجل، الثري، هذه الوقائع الخاصة حول اهلها، وظروفها الخاصة، والاعتراف له بالوضع الحالي الحقيقي لهم.

ـ بالمختصر، اننا نمر بضائقة مالية. ونحتاج الى المال. اي مبلغ اكسبه قد يساعد العائلة في الحياة. وهكذا، لقد عرفت الآن أسرار عائلتنا، اسرار اصريت على استخراجها مني.

ووصلا الى الحوض، كان دائرياً وينتشر فوقه زنبق الماء، ويحيط به المزيد من

الورود، منها الأحمر والذهبي والابيض، غني بالرائحة كغنى هذا الرجل الذي الى جانبها بالمال. في وسط الحوض تقف نافورة طويلة زرقاء، تقذف الماء عالياً. شمالاً ويميناً حسب ما يدفعها الهواء.

ووقع بعض رذاذ الماء على شعر جولييت وثوبها فتراجعت، وهي تبحث عن منديل تجفف به نفسها. ووقف يراقبها، دون ان يتحرك لمساعدتها، وتصاعد الغضب الى حنجرتها. لأنه لم يعتذر حتى لما حدث لها، ولو انه لا يملك السيطرة على اتجاه الهواء، فالنافورة له اصلاً، ولأنه هو ووالده يهدأ الثراء، ويملكان كل هذا الجمال، ويعيشان في مثل هذه الفخامة بينما اهلها يجب ان يحسبوا كل قرش قبل صرفه، وهذا ما دفعها الى حافة الغضب غير المعقول، وكادت تنفجر في وجهه لتقول له «لا اريد وظيفتكم هذه، التتنة» ولكنها سيطرت على اعصابها، فهي تريد الوظيفة، وتحتاجها، وفي الواقع يجب ان تتوسل اليه من اجلها.

واستدارا نحو المنزل. وكادا ان يصلا، ومع ذلك لم يكن قد قال لها بعد نتيجة المقابلة الغريبة بينهما. هل تسأله؟ فإذا لم تقنعه بقدراتها واذا كان الجواب «لا» فالافضل لها ان تسمعها الآن بدل سماع كلمات «سأخبرك فيما بعد» او «سأتصل بك». والتفتت إليه:

ـ درو؟ هل توصلت... هل انت.. هل سيكون هناك...

ـ وظيفة لك؟ اجل.. سنحشرك في مكان ما. حتى ولو كان كعاملة مصعد او لكنس الارض.

ـ اذا كان هذا سيدر علي المال، سأفعله.

ـ يا فتاتي العزيزة. انظنين فعلاً أن رأيي في امكانياتك هو بهذا القدر لأعطيك مثل هذه الوظائف؟ انت بحاجة للمال، ونحن نملكه وسنعطيك.

ـ لا اريد إحساناً.

وضحك ثم قال:

ـ إحسان؟ ابداً، قسماً بحياتك! إذا عملت معنا، فستعملين. افهمت؟

وأوصلها درو الى منزلها، وبينما هما يغادران وقفت ملدريد على باب الدار وبداها معقودتان امامها ووارن ينحني الى نافذة السيارة، وكانت سيتيا في المقعد الامامي، وقالت لهما ملدريد «وداعاً» ثم دخلت. واستعد درو

للانطلاق، ففتح وارن باب السيارة وعانق سينثيا قائلاً «هذا لاجل ايامنا الخوالي» ثم اغلق الباب وقال:

«في احد الايام، ساخبر الجميع ماذا فعلتيه معي». وبدا على سينثيا القهر ولكنها استعادت رباطة جأشها بسرعة، ومدت يدها لتضغط على يده «لا نستطيع إرجاع عقارب الساعة يا وارن، ولكي اكون صادقة، لن اخاطر بإرجاعها حتى لا اؤلمك» والتفت الى ولده وقال «ها قد عادت الى عادتها، «بانغ» وانتهى كل شيء»، ومهما تكن النتائج، يجب أن تقول الحقيقة».

وضحك الجميع، ولوحنا بايديهما وهما تبتعدان. وكانت جوليت تنظر من النافذة الى المناظر في الخارج، كانتا تسكنان في الجهة الأخرى من المدينة. وتمنت لو انهما رجعتا بالباص، كما اتتا. لقد كرهت ان يرى درو منزلهما المتوسط الحال. بالطبع لديهما ورود في الحديقة، ولكن لا شيء غير هذا من اوجه الشبه بمنزل ال مايجور. ووقفت جوليت ووالدتها تلوحان لدرو وهو يبتعد.

خفض سيدرك بورن الجريدة التي كان يقرأها عند دخولها «هل تمتعتما؟» ثم تابع ببعض السخرية في صوته «كيف كان الاختلاط بالطبقة الثرية؟». وهزت زوجته كتفيها «وارن لم يتغير، وانا آسفة لاضطراري للجري وراءه من اجل المساعدة».

ـ عندما يكون رجل مثله غارق حتى ركبتيه في المال، فلا ضرر من طلب المعروف منه.

ونظرت سينثيا الى زوجها بعيني امرأة اعتادت على التفتيش بوجه محبوب لها عن اي دليل من المعاناة ولما لم تجد اي شيء. ارتاحت، وقالت:

ـ وارن شخص من غير السهل التحدث اليه، ولم يكن هكذا ابداً.

ـ وزوجته!

وعلقت جوليت قائلة:

ـ اظن ان معاملته لها رديئة. تلك الاشياء التي قالها، ولو لم يقلها لها مباشرة، ولكنها مغلفة بالإهانات!

فقال لها والدها «ربما لديه اسباب يا عزيزتي. لا تستطيعين اكتشاف شيء بين زوجين. اليس عنده ولد؟ لقد رأيته في المخزن مرة. لقد اشار اليه احد المساعدين. شاب طويل، شعره اسود، يرفع رأسه وكأنه أحد

الارستقراطيين».

ـ إنه وصف دقيق له. لم استطع تحمله، ولكن لسوء الحظ يبدو انه المسؤول.

ـ هل اعطاك وظيفة؟ كان هذا هدف الزيارة، اليس كذلك؟

ـ لا اعلم. لقد قال إنه سيحضر لي وظيفة إذا لم يكن هناك شيء متوفر.

وقالت سينثيا «حسناً، هذا لطف منه. يجب ان تعترفي انه كان لطيفاً بهذا القول».

ـ هذا إذا كان يعني ما يقول. شخصياً اعتقد أنه سينسى الامر ولن اسمع شيء منه بعد الآن.

كانت سينثيا تقف الى جانب زوجها ويدها ترتاح الى كتفه العريض القوي، كما هي شخصيته. ونظر اليها وابتسم، وقد أضاء وجهه بالارتياح للمستها. ووضع جريدته جانباً وجذبها نحوه «أسعيدة انت بزواجك مني وليس من وارن؟» وهمست بردها في اذنه وضحك. ورن جرس الهاتف، واجابت جوليت عليه:

ـ هل اتحدث مع جوليت بورن؟

ـ اجل.

ـ انا درو مايجور، لقد كنت افكر بطلبك العمل في مؤسستنا. وارغب في مقابلتك ثانية على طعام الغداء في وقت ما لمناقشة بعض الأمور. يجب ان تفهمي أني لا استطيع إلزام نفسي باي شيء قبل معرفة شيء عن مؤهلاتك العلمية، وخبراتك السابقة وما الى ذلك.

وفكرت قليلاً، يا الهي، انا لا أطلب سوى وظيفة بائعة بسيطة.

ـ حسناً، انا... انا لا ازال احضر الدروس في الكلية ولن تنتهي حتى الأسبوع القادم.

ـ فهمت، الغداء إذاً سيكون صعباً— هل تفضلين أن نتعشى سوية؟

ـ اوه... لا، شكراً، استطيع قبول دعوة غداء متى شئت.

ـ اجد ان لديّ وقتاً حراً بعد غد.

ـ وانا كذلك.

- من اين آخذك، من الكلية؟

- حسناً، نعم، وشكراً، هل تعلم اين تقع الكلية؟

واجابها بالايجاب، فهو يعرفها جيداً، وحددا موعداً. وانتهت المكالمة.

في اليوم المحدد، كانت السماء تمطر، وكانت ترتدي بنطلوناً أحمر وكنزة متعددة الالوان، ولكنها نسيت معطفها الواقي في المنزل، ونزلت درجات معهد الفنون مسرعة، وفتح لها درو باب السيارة دون ان يخرج وقفزت الى الداخل وهي تعتذر عن الماء المتسرب من حذائها على السجادة الفاخرة في ارض السيارة. ومرة ثانية في وجوده كانت مضطرة لتجفيف ملابسها من الماء بواسطة منديل، ولكن هذه المرة بدل التفرج عليها مد يده الى جيبه واخرج لها منديله، واعتذرت ثانية بينما هو يقود السيارة واسقة لهذاء فابتسم وقال «لو ان الالوان التي ترتديها تتداخل ببعضها فلن يلاحظ احد ذلك. فهي ألوان رائعة وتبدين فيها كلوحة فنية».

- اشكرك على هذا الاطراء. ولكن إذا لم اكن ارتدي ما يناسب ذوقك او المكان الذي ستأخذني اليه، فمن الافضل لك ان ترجعني وسأتغدى كالعادة في مطعم الكلية. هذه الثياب طبيعية، ولو ارتديت غيرها لبدوت شاذة بين تلاميذ كلية الفنون. اما انت فيجب ان تكون مختلفاً عمن يحيط بك.

- مختلف؟ كل من حولي في الشوارع هذه الايام يرتدون مثلك، فاين هو الاختلاف؟ لقد اصبح كالزي الموحد.

وابتلعت الرد الذي كانت ستقوله، لانها كانت تريد... لا فهي تحتاج أن تعمل عنده. وذهبا الى مطعم كان مظلماً حتى في ضوء النهار لانه كان يشبه المغارة. وكانت الشموع منتشرة داخل فتحات حمراء في الجدار، وقالت جوليت لنفسها «ليس هناك فرق حتى ولو لبست ثياب سهرة، فلن يلاحظني احد».

- هل يناسب هذا المكان مشاعرك الفنية؟

وهزت رأسها بالايجاب. وجلس في المقعد المقابل لها. وبدا وجهه احمر وقميصه الابيض زهرياً وبذلته تلونت بالاحمر والاسود، وعلقت جوليت قائلة:

- في هذه الاضواء، حتى انت ممكن اعتبارك واحد منا..

- انا.. ابدو كفنان؟ فلتحفظني السماء من مثل هذا القدر!

- وما عيب الفنانين؟

- الكثير.. وخاصة من أتعامل معهم واكثرهم من مدرستك. صحيح انني أوظفهم، في قسم الفنون بالمخزن، وفي أماكن اخرى و...

- هل هناك ستوظفني؟

- آسف لا يوجد هناك وظائف شاغرة.

وطلب الطعام بعد استشارتها وقال:

- الغرض من هذه الجلسة هو مناقشة امرك، وليس الفنانين عامة، اخبريني عن اختصاصك.

- الرسم التصميمي يغطي عدة اشياء، مثل تصميم علب الهدايا، والملصقات، والتوضيب، حتى البطاقات. يجب ان يكون للمرء احساساً ليستطيع التصميم. نتعلم استخدام اللون، والتفريق بين التصميم الجيد والسيء، فالهدف ليس ان ترسم شيئاً يلفت النظر ولكن لتسأل نفسك هل من الممكن تنفيذ هذا؟ واذا كان ممكناً، هل ستتحمل هذه الاستعمال؟

حاولت تخمين ما يفكر به، ولكن نظرته الساهمة أفشلت جهدها. بدا انه مستعد لتركها تتكلم، وهكذا فعلت، وكان الطعام قد وضع امامهما.

- تقنية الرسم، وتقنية الالوان. نتعلم كتابة الرسائل والتصوير و...

- و.. اين يقود كل هذا؟

- إذا كنت جيداً بدراستك، الى الدبلوم. ثم تبحث عن عمل. وتعرض على الناس صور اعمالك، نماذج فكرت بها من اجل مؤسسات. هل.. هل أقنعتك لاعطائي وظيفة في قسم الفنون عندكم؟

- لقد قلت لك لا وظائف شاغرة في قسم الفنون. آسف، ولكن حتى اريحك سأعطيك وظيفة، في قسم آخر. متى تبدأين؟

- الاثنين القادم.

- وماذا عن عطلتك الصيفية؟ أفضل ان تأخذيها قبل البدء بالعمل.

- انا.. انا لن آخذ عطلة صيفية.

- ولكن كل انسان بحاجة لعطلة صيفية.

- ربما أنت على حق. ولكنني لا أستطيع تحمل اعبائها.

- فهمت، لو تقدمت من مديرة الموظفين صباح الاثنين القادم سوف تدلك إلى القسم الذي ستلحقين به.

ونظرت إليه جوليت والعرفان بالجميل يملأ عينيها وقالت: «شكراً» وأحنى رأسه، وارتشف قهوته وقال:

- آسف مؤسف أن تضطري لترك الكلية. أما كان الأفضل أن تكتسبي ذلك الدبلوم؟ ألن يحسن أوضاع مستقبلك العملي؟

- بالطبع، ولكنني أخبرتك من قبل، لا أملك المال اللازم لاستمراري في الدرس. ويجب عليّ ان ابدأ بكسب المال، وكلما كان هذا أسرع كان أفضل.

- تدركين ان راتبك لن يكون مرتفعاً. فليس لديك خبرة سابقة و...

- أفهم هذا، ولكن مهما يكن الراتب قليلاً، سيساعدني. درو، أرغب أن أعلمك كم أنا شاكرة لك ولوالدك...

- لا تكملي كلامك. من يعلم، فبعد اسبوع عند «مانجور وولده» وخاصة ولده، من الممكن أن تستقيلي. فأنت لم تشاهديني بعد أثناء العمل. مجرد ظهوري في المخزن يبعث الرعب في الجميع. ألا تصدقين؟ انتظري حتى تسمعي كلام باقي الموظفين. واعترف أنني أحياناً أكون من غير شفقة.

وضحكت، ولكن ضحكتها توقفت لتغير نمط ضجته وهو يقول «ولن أجعل منك استثناء» وقطبت جبينها وقالت «لا أتوقع منك هذا».

- حسنا جداً قد تكونين لا تحبينني الآن، وأستطيع ان ألاحظ ذلك، ولكنك ستكرهيني قبل أن أنتهي منك. لقد جعلني والدي أبدو على شاكلته. قسّى قلبي حتى لا أكون أحمقاً لاقع في حبائل أية فتاة، وخاصة من تتركني لأنني طموح. ولذا أصبحت عديم الشفقة خالي من أي شعور لذا فأنا أحذرك.

- اتعني أنني ساعمل عند احد التتار؟

- ستكتشفين ذلك بنفسك في وقت قريب.

وخرجا من المطعم جنباً الى جنب. وعندما صعدا الى السيارة وقادها متعمداً، قال لها:

- قولي لي.. اليس لدى جوليت، روميو؟

- اجل، لدي روميو، اسمه مالكولم، مالكولم وابتلنغ.

- أكبر منك سناً؟

- لا.. تقريباً بنفس العمر، واحد وعشرين سنة.

- وهل هو طالب فنون؟

- لا.. انه مساعد بائع.. في محلات «كارلوس».

- ماذا؟ عند اشد منافسينا خطورة؟

- انا آسفة، تستطيع سحب عرض الوظيفة إذا احببت. سابحث عن وظيفة اخرى، لا تقلق.

- لا، لن اسحب عرضي لك، ساقبلك على شرط واحد. احذرك ان اي شيء ستسمعينه خلال عملك حول مؤسستنا، مثل الاتفاقات وسياسة العمل، وأي شيء يصنف كاسرار، لا يجب نقله إلى اي كان عن طريقك. هل فهمت؟

- نعم سيد مانجور وشكراً لك على ثقتك بي. لقد فهمت الرسالة تماماً كيف لي أن أنسى؟ على كل مالكولم صديقي وليس حبيبي.

- شكراً لهذه المعلومات، سأنام قرير العين. هل انت جادة بعلاقتك معه؟

- هل هذا امتداد لمقابلة العمل بيننا؟

- من الممكن ان تعتبريها كذلك.

- علاقاتي، بالمعنى الاجتماعي للكلمة، هي في الحقيقة من شأني الخاص، ولكن إذا كنت تصر لتعلم، لا أعرف. وبما أنك سألتني، وبما أنني حتى الآن لست موظفة لديك، وأمام الصداقة بين عائلتينا، هل لي أن أسألك سؤالاً مماثلاً؟ هل لديك صديقة؟

ووضع ذراعه على ظهر مقعده واستدار لينظر اليها. ورفع حاجبيه، وابتسم، ثم ردد بنفس طريقتها «علاقاتي، الاجتماعية والغرامية هي من شأني الخاص، وليس من شأنك».

واحمرت من الانزعاج، لانها سمحت لنفسها ان تتعرض لمن يضع حداً لها بهذه الطريقة. وشكرته ببرود على وجبة الطعام. فهز رأسه وقال: «صباح الاثنين، الثامنة والنصف تماماً. اتصلي برئيسة الموظفين، في قسم الإدارة، الطابق السادس» ودون اية كلمة أخرى تابع قيادة السيارة.

٢ ـ فتاة من نار

صبيحة اليوم المحدد لها لاستلام الوظيفة، انضمت جولييت إلى جمهرة الناس الذين يمرون من مدخل الموظفين الى داخل البناء الذي يحتوي مؤسسة مايجور وولده. وبالطبع ستضطر أن تنادي مدير الشركة «سيدي» على الرغم من عدم تقبّلها للكلمة.

وصعدت إلى الطابق السادس، وهي محشورة بين الموظفين في المصعد، وجاهدت حتى خرجت منه، وأصبحت لوحدها بعدما أغلق الباب خلفها. وسارت بضع خطوات آملة ان يمر بها شخص ما، وخفق قلبها عندما مرت بباب كتب عليه «درو مايجور مدير الشركة» وتجاوزته وهي خائفة أن يفتح الباب ويراها. ولكنه ربما كان لا يزال في فراشه، كما تظن، فالساعة لم تتجاوز الثامنة والنصف بعد. ولكنها سمعت صوته داخل الغرفة وسارعت في سيرها. أي باب من هذه الابواب تقصد؟ وسارت حتى آخر الممر ثم عادت، وفتح الباب وظهر منه المسؤول وحدق بها وقال:

ـ لقد قلت لك أن تقابلي مدير الموظفين، الا تستطيعين القراءة؟.

وأشار إلى باب مقابل بابه تماماً، كتب عليه بالأسود العريض «مدير الموظفين».

ـ آسفة سيد مايجور. لا بد أنني لم ألاحظه.

وراقبها وهي تدق الباب، وسمعت صوتاً من الداخل ولكنها لم تفهمه.

ـ حسناً، ادخلي يا آنسة بورن. هل انت صماء إضافة إلى كونك عمياء؟

ونظرت اليه بغضب، وتمالكت نفسها، وابتسمت، ثم دخلت. ورفعت امرأة متوسطة العمر، تلبس نظارات، رأسها وقالت «نعم؟» كان اسمها موضحاً على لوحة موضوعة على طاولتها «السيدة أودري آرثر».

ـ أنا... اسمي جولييت بورن.. وأنا...

ـ كنت أتوقع قدومك. لديّ تعليمات لإرسالك إلى غرفة تسعير البضائع. الطابق الثامن، استديري إلى اليمين نحو باب متحرك وستصلين فوراً، سيخبرونك هناك ماذا ستفعلين.

وشكرتها جولييت، واتّبعت تعليماتها، لتجد نفسها في مكان معتم لا يمكن وصفه بالغرفة، جدرانه مدهونة بالاصفر، وسقفه القذر بالابيض. كانت الصناديق تملأ المكان، كلها مقفلة منعاً للسرقة وتحتوي العديد من البضائع التي ستجد طريقها يوماً إلى الواجهات لتعرض للبيع.

كان في الغرفة حوالي عشر نساء يعملن. وكن يتحدثن ويضحكن، ولكن دون ان ترفع واحدة منهن رأسها عن ما تعمل به. ولم تلاحظ واحدة منهن دخول جولييت، ووقفت هناك حوالي الخمس دقائق وهي حائرة مع من تتكلم. وسعلت، فالتفتت إليها إحدى النساء قائلة «نعم؟» وردت عليها جولييت: «لقد وصلت لتوي، وأنا جديدة هنا» فقالت لها واحدة أخرى «تعالي وانضمي البناء وأضافت اخرى «الجميع هنا مرحب به، اخلعي معطفك يا عزيزتي وابدئي العمل».

كانت النساء تضعن الاسعار على ثريات كبيرة مذهبة، ودفعت إحدى النساء، التي عرّفت عن اسمها بأنها ندعى مادج، علبة من بطاقات التسعير نحو جولييت، وعلّمتها كيف تلصقها ثم قالت «عندما تنهي هذه، هناك الحقائب». وقالت امرأة أخرى تدعى باث، «ليس الحقائب. فوكيل الادوات المعدنية يستمر في مطالبتنا بصناديق سكاكين المائدة ويجب إنهاء هذه قبل الحقائب».

وهزت مادج رأسها وقالت «عليه أن ينتظر. صناديقه ثقيلة علينا، وقد أنهينا العمل بهذه الثريات دون مساعدة السيد ويلكس، وهي ثقيلة بما يكفي».

اذاً، ستعمل بتسعير الحقائب. ويبدو أن السيد ويلكس هو مسؤول غرفة التسعير، ووظيفته رفع الاشياء الثقيلة إلى الطاولة لوضع التسعيرة عليها. وقالت لها مادج ببعض الامتعاض «إنه يمضي أكثر أوقاته في الخارج، ويأخذ اوقات راحة طويلة لشرب الشاي والقهوة. ولهذا فالأشياء الثقيلة تبقى دون إنجاز، ويأتي الوكلاء يصرخون في طلب البضاعة. ونتركهم يصرخون!».

ثرثرة النساء، والموسيقى الناعمة المستمرة، وهدير مكيف الهواء، ورتابة العمل، جعلها تشعر بالكآبة. ليس لان العاملات يقمن بعمل روتيني رتيب، بل لان الاضاءة ضعيفة، والوان الجدران رديئة وليس هناك من نوافذ توفر الهواء النقي والضوء الطبيعي، مما يذكّرها بالسجن.

في نهاية اليوم، أحست بحاجة الى قرع باب درو مايجور لتقول له إنها ستترك العمل. ولكنها عرفت أنها لن تفعل هذا، وأنها ستعود في اليوم التالي لتتابع العمل مع باقي الموظفات هناك.

وفي المساء، عندما كانت تتحدث بالهاتف مع مالكولم حول أول يوم عمل لها، خطرت لها فكرة، همس لها بها شعور الفنان بداخلها.

في اليوم التالي كانت تمارس عملها بوضع بطاقات التسعير على الاشياء ثم تحملها إلى الرفوف. ثم تضع البضائع في المصعد الصغير الذي يحملها الى الأقسام المناسبة في المخزن، حيث يأخذ المساعدون بضائعهم. وكانت تتحدث طوال الوقت مع النساء وتضحك، وهي تخفي سرها لنفسها.

عندما انتهى يوم العمل، وذهبت كل العاملات معها الى بيوتهن. بقيت لوحدها في الغرفة، واخذت تغطي الجدران ذات اللون الباهت، بملصقات كانت قد صممتها عندما كانت لا تزال في مدرسة الفنون، وكانت قد اتت بهذه الملصقات معها من المنزل في الصباح. قررت ان لا تأخذ إذناً بما ستقوم به، فطلب الاذن قد يرفض، وهي ليست مستعدة للمخاطرة. كانت تؤمن بالقول «اعمل اولاً، ثم اطلب الإذن فيما بعد». وزينت الجدران برسومات عن الريف الانكليزي، وببعض الرسوم الشخصية لها ولزملائها في الدراسة.

بعد ان انتهت وقفت تنظر بإعجاب لمجهودها واعتبرته مرضياً. بالطبع بقيت الغرفة الواسعة معتمة، والبضائع مكدسة، وبقي الجو كما هو، ولكن على الأقل، اصبح هناك الآن مجال لتسريح النظر ليضع لحظات بالألوان ومناظر الريف الحالمة، وأطباق الفاكهة، ورسومات الزهور. واخيراً ذهبت إلى البيت، وقد أرضت مشاعرها الفنية.

في الصباح التالي، وصلت الى عملها باكراً، وهي تخمن ماذا ستقول زميلاتها، وأملت ببعض الثناء. وحصلت على الإطراء من واحدة بعد الأخرى

لمهارتها كفنانة. وشكرتها على محاولتها إدخال اللون والمنظر الجميل الى حياتهن العملية. وعلقت مادج على الموضوع قائلة:

ـ لا أعرف يا حبيبتي إذا كان بإمكانك إبقاء هذه الملصقات حيث هي. فالسيد هارفنغ، المدير العام، مزاجي بعض الأحيان، وهو لا يحب المبادرة بين الموظفين، فهو يقول إن الموظفين يدفع لهم ليفعلوا ما يقال لهم، لا ما يريدونه هم. وإذا أتى إلى هنا وطلب إزالة الملصقات، فلا تنزعجي.

ـ لا أعلم ما هو الخطأ في محاولة اخفاء هذه الجدران الكريهة.

ـ أنا موافقة معك يا عزيزتي، ولكن اقنعي الإدارة بهذا.

وبدأ العمل، كان دور بطاقات المعايدة ليوضع عليها السعر بقلم رصاص عند زاويتها الخلفية. وفتح الباب وهمست مادج «انتبهي، ها قد اتى السيد هارفنغ».

ولكن جوليت كادت أن تسقط الأدوات الكهربائية الثمينة التي كانت تحملها، لأن من دخل لم يكن السيد هارفنغ، وهمست مادج «يا إلهي إنه وريث العرش بنفسه على شرف من هذه الزيارة؟ لم أشاهده ابداً هنا من قبل؟».

كان «وريث العرش» كما دعت مدير الشركة، يحدق بالغرفة وكأنه قد صحا لتوه من كابوس ليكتشف أن حلمه كان حقيقة. ونظر إلى جوليت قائلاً:

ـ من الأفضل ان تضعي ما بيدك آنسة بورن، قبل ان يقع على قدمك. ولست قلقاً على قدمك، ولكن على القطعة الثمينة التي تحملينها.

ووضعت ما بيدها بحذر على الطاولة، ثم وقفت دون حراك، مركزة نظرتها عليه، منتظرة ما عرفت أنه قادم. وقال درو مايجور بكل تهذيب:

ـ أظن، إننا مدينون لك بهذا المعرض الثمين للفنون الحديثة. ماذا تحاولين ان تفعلي؟ أن تحولي هذا المكان إلى قسم من كلية الفنون؟

ـ لا، يا سيد مايجور، كنت أحاول فقط أن أدخل في حياة الموظفات السيئات الحظ اللواتي يعملن هنا، بعض الألوان والإشراق. ولأذكّرهن بعد قضية يوم طويل جداً من العمل في هذا الزنزانة أن هناك عالماً أكثر جاذبية ومرحاً خلف هذه الجدران الأربعة، شيء قد ينساه الإنسان بعد العمل في هذا السجن.

ـ زنزانة يا آنسة بورن؟ الزنزانة توجد عادة تحت الأرض، وليس في الطابق الثامن من بناء فيه اثنا عشر طابقاً. واذا كان من يعمل هنا لديه اية اعتراضات فهو يعرف أين يعترض، لمدير الموظفين. هل حصلت على اذن لتعليق هذه الأعمال الفنية؟

ـ لا يا سيد مايجور.

ـ ولا من المدير العام؟ ولا حتى من المشرف على القسم؟

ـ لا يا سيد مايجور.

ـ إذاً، لطفاً منك، انزعيها واعيديها إلى حيث كانت، في خزانة الفنون في بيتك.

ـ ولكن لماذا سيد مايجور؟ ما الضرر في وجود بضع صور على الجدران لإخفاء الشقوق؟ أعترف أنها قد لا تكون جيدة، ولكنها أفضل من لا شيء! ارجوك سيد مايجور، دعني أحتفظ بها في مكانها، لوقت قصير على الأقل؟

ـ أخشى أن لا يكون هذا ممكناً آنسة بورن.

ـ حسناً سيد مايجور. سأنزعها سيد مايجور. في نهاية هذا اليوم.

عندما ذهب، لم يتكلم أحد، ولكنها شعرت بتعاطفهن معها، ولاحظت في نظراتهن الدهشة والإعجاب بشجاعتها في الوقوف في وجهه. ولكن الإعجاب تبدل بالخوف لما قد يحصل لها. وبدا لهن ان صرفها من العمل قد يكون وشيكاً، وكيف لا بعد جرأتها في الاعتراض على رغبات الرجل المسؤول؟

في نهاية ذلك اليوم، عندما ذهبت الأخريات إلى بيوتهن، تطلعت إلى رسوماتها وعاودها الغضب، مع رغبة بالانتقام. سوف يرى درو مايجور! واخذت تمزق الصور وتكورها بين يديها وترميها في سلة المهملات. ثم حملت سلة المهملات واسرعت تعبر الممر، ونزلت طابقين الى قسم الإدارة، ودقت على باب درو مايجور ودخلت، وكان لوحده.

ورفعت السلة ووضعتها فوق الاوراق على طاولته وأشارت إليها وهي مليئة بالرسومات، وكلها ممزقة تماماً. وصرخت:

ـ والآن، هل أنت راضٍ؟ لقد عادت الجدران في الغرفة إلى قذارتها وحالتها المزرية، وكل شيء عاد إلى طبيعته!

لم تتحرك فيه اية عضلة. ونظرت الى الدمار الذي احدثته ووعت ماذا فعلت. لقد مزقت بعض من أفضل ممتلكاتها الفنية، وبدأت بالصراخ:

ـ بإمكانك ان تأخذ رسوماتي، خذها الى بيتك ثم أعد تركيبها، وعلقها لتدنس جدران منزلك الفاخرة، واصرف بقية حياتك تضحك عليها إلى أن تبكي!.

وانفجرت بالبكاء واستدارت نحو الباب، ولكنه سبقها إليه وقال:

ـ أيتها المعتوهة الصغيرة، ماذا فعلتِ؟ لم فعلتِ هذا؟ لتؤلميني؟ لقد آلمتي نفسك! وانت تعرفين هذا.

وأمسك بذراعها وهزها بقوة ليعيد اليها وعيها.

ـ توقفي عن هذا!! تمالكي نفسك يا فتاة!"

ودفعها نحو الكرسي ووقف إلى جانبها الى أن هدأت، وتمتمت بالاعتذار.

تمنت لو انها تستطيع أن تأخذ كل واحدة من هذه الصور وتفردها لعلها تعيدها إلى طبيعتها. فهي تمثل أياماً من العمل والجهد. لقد أمضت ساعات في إتمامها وها هي قد خسرتها الآن وهمس قائلاً:

ـ يا إلهي، لقد قال والدي إن أمك نارية الطباع. لم يعرف كم كان محظوظاً. بالنسبة لها أنت أتون مشتعل!

وجلس ينظر إليها الى أن هدأت، ثم تكلم:

ـ انظري يا جولييت. لقد أعطيتك وظيفة. ومن كل قلبي أوجدت لك مكاناً في المؤسسة. وما كان علي أن افعل. لكنت قلت لك، آسف لا أملك شاغرة، ولكنني لم افعل، لذا اتوقع منك على الاقل ان تطيعي قوانين المؤسسة، ان تحترمي من هم أعلى منك. المبادرات الشخصية جيدة. وعادة أنا أرحب بها، ولكن من أجل السماء استشيري الآخرين ممن يعرفون أكثر منك. لو تركتك تنجين بفعلتك تلك، فكيف سأتمكن من ايقاف الباقين عن عمل نفس الشيء مرة أخرى في كل البناء حيث الدهان أصبح باهتاً والغبار في كل مكان من أثر السنين؟

ـ انا آسفة.

ـ الافضل لك ان تعرفي، وانا أقول لك، إنني وكل أعضاء الادارة نعرف

تماماً أن قسمكم بحاجة إلى بعض التغييرات، والترتيب والديكور، واقرّت المصاريف له، والامر يتحرك بالتدريج في لائحة الأولويات. ولن يمضي وقت طويل حتى يبدأ العمل، هل يرضيك هذا؟

- أنا آسفة، شكراً لإعلامي بالأمر.

ونهضت لتتصرف، ولكنه بادرها قائلاً «اجلسي» فجلست وتابع كلامه.

- ألا يعجبك العمل في غرفة التسعير؟

- أكرهه.

- جوابك دائماً حاضر، كما يقول والدي. هل ترغبين في نقلك من هناك؟

- اجل.. أرجوك.

- ولماذا؟ ألم تحبي زميلاتك؟

- إنهن لطيفات جداً. إنه الرتابة في العمل، والملل و...

- حسناً، كفى لا تتابعي. ترغبين في نقلك إذاً؟ لو نقلتك سأضطر إلى حشرك في مكان آخر، ويجب أن اخلق مكاناً.. قسم «الازياء»؟

- هذا رائع.

- حسناً سنجربك في قسم الأزياء، ولكن عديني أن لا تنشري الرسومات فوق جدران قسم الازياء بحجة «جعلها تشرق».

- أعدك. متى أبدأ؟ غداً؟

- سأبلغهم مسبقاً بما هو قادم اليهم، عبر المدير العام، فلو أنني ظهرت هناك لأصابتهم الصدمة جميعاً، كما حدث للنساء العاملات في غرفة التسعير ما عدا واحدة، المساعدة الجديدة.

وضم قبضته في وجهها وأشار الى الباب «اخرجي» وأمسكت جولييت بسلة المهملات التي تحتوي رسوماتها «اتركيها هنا آنسة بورن. سيحضر عمال التنظيف بعد قليل».

عندما سألت سينثيا ابنتها بقلق، وهي تعرف طبيعتها البركانية، كيف تجد عملها عند مايجور، تملصت جولييت من الرد، وأدركت سينثيا دلائل الخطر، وارتجف قلبها.

- أبدأت المشاكل يا عزيزتي؟ مهما يكن نوع العمل، يجب ان تتذكري أنه لطف منهم أن...

- أعلم هذا. إنه فقط اختلاف في الرأي مع السيد مايجور، أعني درو واذا كنت تريدين معرفة من ربح. فكلانا ربح.

- وماذا تعنين أن كلاكما ربح.

- حسناً، لقد حصل درو على ما يريد، ثم حصلت أنا على ما أريد. سينقلني إلى قسم الأزياء.

في الصباح التالي، عندما تقدمت جولييت الى مديرة الموظفين تنهدت السيدة آرثر وقالت:

- الطابق الثاني. قابلي البائعة، قولي إنني أرسلتك. ونظرت الى ثوب جولييت الزهري من دون اكمام «لا تستطيعين ارتداء هذا هناك».

- ولكنني كنت ألبسه في غرفة التسعير.

- ربما آنسة بورن، ولكنك كنت بعيدة عن الأنظار هناك. قانون المحل يفرض ثوباً اسود، خذي واحداً من المخزن وسنعطيه لك بسعر التكلفة.

- ثوباً أسود؟ ولكنني أكره اللون الأسود. ولماذا أصرف مالي على شيء اكرهه؟ ألا استطيع ارتداء...

- الأثواب السوداء للنساء الموظفات. إنها سياسة الإدارة. وإذا كنت تعترضين، ابحثي الأمر مع السيد مايجور، على الرغم من أنني واثقة أنه لن يغير رأيه.

وبدأت جولييت تفكر وهي تنزل إلى الطابق الثاني، حسناً، ثوب اسود، فليكن. ولكن سيكون طرازه من اختياري.

ولكن البائعة في قسم الملابس اعترضت:

- ثوب أسود. والتعليمات هي: أكمام قصيرة، قبة عالية، طوله إلى الركبة حزام اسود على الخصر، اذهبي الى المستودع، لديهم الكثير منه هناك والعديد من القياسات، واختاري واحداً يناسبك.

وبعدها قدمت نفسها للآنسة سيكمبثون التي هدرت بها قائلة:

- لماذا تأخرت هكذا؟ نصف ساعة لتجدي فستاناً على قياسك.

- آسفة آنسة سكيمبثون.

وقدمتها الآنسة سكيمبثون بدورها إلى المساعدات الأخريات. وحاولت

واحدة او اثنتين منهن أن يكن ودودات: وعندما اكتشفن ان ليس لديها خبرة حاولت احداهن واسمها ايدنا ان تعلمها كيفية البيع.

ـ لا تهتمي يا عزيزتي، فنحن نأخذ تعليمات للتدريب على البيع مرة في الأسبوع. بعض من في الطابق السادس من الإداريين يتنازلون بالقدوم إلى هنا ليعلمونا كيف نقول للزبائن الأكاذيب الأكبر والأفضل؟

واستغرقت بالضحك، واسكتتها الآنسة سكيمبثون، عندما اقتربت زبونة. وتقدمت ايدنا وهي تقول لها «راقبيني» واستقبلت الزبونة بابتسامة «هل أستطيع مساعدتك؟».

بعد خمسة عشر دقيقة، خرجت الزبونة وفي يدها حقيبة خاصة كتب عليها اسم مايجور، تحتوي على المعطف الذي اشترته وابتسامة رضى على وجهها، وقالت ايدنا لجوليت:

ـ هذا ما تقومين بعمله يا عزيزتي. تقدمين النصيحة، وتمدحين الزبونة، تقيسها المعطف، تظهرين إعجابك، وأخيراً تضغطين قليلاً، ثم تقبضين الثمن، هذا سهل، لقد بعت مرة إحدى النساء معطف فرو في منتصف الصيف.

وتدخلت الآنسة سكيمبثون وعيناها تلمعان وصوتها الأجش ملىء بالعاطفة:

ـ ايدنا هي أفضل بائعة لدينا، فلديها آنسة بورن، ولن تخطئي أبداً. كلما زادت مبيعاتنا كلما استفدنا أكثر. وهذا ما يجب أن يكون أمام أنظارنا في هذا القسم.

إذاً ساكون أنا الاستثناء، هكذا قدرت جوليت في نفسها. وبعد بضعة أيام، وبختها الآنسة سكيمبثون لانها لم تبع أي معطف حتى الآن.

ـ يجب أن اطلب نقلك من هنا آنسة بورن، إذا لم تحسني وضع مبيعاتك. لقد كان السيد مايجور يسأل عن كيفية أدائك للعمل، واضطررت ان اقول له انك لم تبيعي شيئاً، فقال «لا شيء» وأقول لك إنه بدا مستاءاً.

ـ ولكنني أحاول جهدي آنسة سكيمبثون، يبدو أنني لم اصبح ماهرة بعد.

وكانت تجد صعوبة كذلك في التآلف مع المساعدات الأخريات، كلهن كن يتظاهرن بعدم وجودها، وكلهن كن أكبر منها بضعف سنها، وكلما حاولت

التحدث معهن صدمها فارق السن. كن يستثنينها من أحاديثهن وحتى لو حاولت المشاركة كن يشعرنها بأنها متطفلة، وقالت الآنسة سكيمبثون للمساعدات:

ـ غداً، سيكون أمامنا الاجتماع الأسبوعي للتدريب. وقد يحضر السيد هارفنغ المدير العام، او ربما السيد أوثر، وحتى قد يكون السيد مايجور، السيد درو مايجور بنفسه، فهو أحياناً يشرفنا بحضوره.

ذلك المساء، عادت جوليت إلى المنزل، ومزاجها متعكر غاضب، ونظرت إلى ثوب عملها. وكان المقص قريباً منها على الطاولة وكأنه يتحداها، فأخذته وأمسكت الثوب وبدافع شعور انتقامي بدأت تقص القبة العالية. واستمر المقص يقطع الى الأسفل حتى أصبح الثوب بقة مستديرة، ثم أزالت الأكمام، وامسكته بين يديها وقد اصبح ثوباً جميلاً حديث الزي، وقصت ثلاثة إنشات من طوله، وأخذت تخيطه إلى أن انتهى، وارتدته وكانت مسرورة من النتيجة. ونزلت من غرفتها لتريه لوالدتها. وبدلاً من ان تطري سينثيا عليها صرخت بها.

ـ ماذا فعلت؟ لن يسمحوا لك بارتدائه إذا كانت ضد سياسة الإدارة.

ـ عندها سيكون على الإدارة أن تغير سياستها.

وضحك والدها والتفت الى سينثيا:

ـ هذا جيد جداً، من اين أتت بروح القتال يا سينثيا؟ تملك روح التحدي ويجب ان تقري لها بذلك!

وتمتمت سينثيا «ناربة، هكذا وصفها وارن».

واجابها زوجها ساخراً «هل قال هذا؟ إنه يعرف، غداً أليس كذلك؟».

وردت سينثيا «حبيبي، لا تتكلم هكذا».

تمنت جوليت لو أن حماستها دامت تلك الليلة. ولكن في وقت ما بين ساعات نومها وصحوها خانتها شجاعتها. ونظرت بكآبة إلى ثوبها، وأسرعت إلى سلة المهملات في محاولة يائسة للبحث عن القماش المقصوص لإعادته حيث كان، ولكنها لم تنجح.

في اليوم التالي تسللت إلى المكتب الملحق بقسم الأزياء وخلعت معطفها،

لشكلك، للجاذبية التي تسعين إليها.

ـ ومع ذلك فأنا لست آسفة.

ـ حسناً... إلى أين ستذهبين من هنا؟

ـ هذا عائد لقرارك.

ـ أتساءل، ماذا ستفعلين لو أنني أمرتك بالخروج من هنا وخلع هذا الثوب عنك؟ هل ستفعلين به كما فعلت برسوماتك؟ تمزقيه الى قطع صغيرة وترميه في سلة المهملات؟ تدمرينه تماماً كبديل عن تدميري أنا؟ لانني أمثل في نظرك السلطة التي تكرهينها؟

وهمست، واليأس يكاد يقفز من عينيها «أجل.. سأفعل».

ـ أنا متأكد أنك ستفعلين. وهل هذا ما تسمينه «اتباع النظام» الذي وعدتني به المرة الماضية؟ أهذا ما عنيت به من «حسن التصرف»؟ لنفرض أنني أمرتك أن تتخلصي من هذا الثوب وتشتري واحداً آخر، وأن ترتديه هذه المرة دون تعديل فيه كما يجب أن يكون أثناء العمل مثل كل العاملات هنا؟

ـ آسفة، لن افعل

ـ واذا قلت إن البديل عن هذا خسارة وظيفتك؟

ولمست جولييت شفتيها في محاولة لإيقاف الارتجاف فيهما ووجدتها جافتين، واخذت نفساً قوياً وأجابت:

ـ مع ذلك لن افعل.

ـ من البلاهة أن أسألك هذا السؤال ـ أليس كذلك؟ كان يجب ان أتوقع منك مثل هذا الرد. البعض يصف هذا «بالنارية» والبعض «بروح التحدي» اما أنا آنسة بورن فأدعو هذا «عصيان الأوامر».

واستدار حول الطاولة ليقف في مواجهتها.

ـ لم كل هذه الثورة على شيء عادي تافه مثل هذا الثوب؟

ـ عادي؟ وهل تدعو هذا الثوب الرجعي العائد لما لا يقل عن عشرين سنة إلى الخلف، عادياً؟ انا لا أعارض فقط القانون الذي أرى أنه صادر عن سياسة الإدارة التي لا يمكن أن توصف سوى بالديكتاتورية...

ـ وهكذا نحن نبحث في السياسة الآن، أليس كذلك؟ والذي كان معه حق عندما قال مازحاً إنك ستحاولين استلام دفة الأمور وإدارة المؤسسة بنفسك،

ربما لا تعرفين يا آنسة بورن، ولكن فوضويتك بدأت تظهر وهي فوضوية ولدت عندك دون شك من التعليم الذي تلقيتيه في مدرسة الفنون. مما يجعلك تستخفين بكل أنواع القانون والنظام.

ـ كم من الغباء قد يصل اليه من هم في مركزك؟ انت وامثالك تبدون سعداء للنظر الى الفنانين كأدنى نوع من البشر!

ـ حسناً، أليسوا كذلك؟

ـ لا، ليسوا كذلك، العالم سوف...

ـ أرجوك وفري عليّ سماع هذا الكلام والمواعظ.

ـ اذا، أتسمح لي أن اعود الى موضوع مناقشتنا؟ انا أعترض ليس على اللون فقط والطراز القديم للثوب، بل أكثر من أي شيء، على تلك القبة العالية السخيفة، التي تجعلني أشعر في حرارة الصيف هذه بالاختناق. حتى في الشتاء حيث تكون التدفئة كاملة سيكون لها تأثير سيء

ـ ولماذا لا تشعر بقية النساء العاملات هنا بهذه المشاعر؟ سأقول لك لماذا، انها حالتك المتوترة، وكراهيتك الزائدة لإطاعة الأوامر التي تأتيك من فوق، وليس السبب عائد إلى طراز الثوب أبداً.

ـ أتحاول أن تقول بطريقة غير مباشرة إنني غير متوازنة، وإنني مصابة باضطراب عصبي؟

ـ انا لست طبياً نفسياً، فكيف لي أن اعرف؟ ولكن كما يقولون المكتوب يقرأ من عنوانه.

ـ الأمر غير صحيح. ولعلمك، انا ثائرة ضد كل الجو الممل في المتجر كله. وأنا لا أشير إلى جو المكيف.

وبما أنها قد بدأت الآن، فلن يوقفها شيء، حتى ولو وضع يده فوق فمها ليسكتها، ولكنه لم يتحرك وهكذا تابعت كلامها:

ـ ربما تقول إن الثوب هو رمز للمؤسسة، وإن طرازه يناسب «الطبقة الراقية» المميزة التي تسعى اليها هذه المؤسسة. الأسعار التي تفرضونها على السلع تبعد معظم النساء عنكم، النساء العاديات، في هذه المدينة. ربما لا تعلم هذا ولكنكم مشهورون بغلاء اسعاركم.

ـ ربما هذا صحيح، ولكننا لم نفلس بعد.

- ولكن ألا ترى، محلات كارلوس تستفيد من غلاء اسعاركم، في معظم الحالات الأسعار هناك ارخص من اسعاركم.

- انا مدرك هذا أكثر مما تظنين آنسة بورن. ولكن من وجهة نظري العملية، أرى ان معظم البضائع التي يبيعونها في معظم اقسامهم باسعار مخفضة صنعت خصيصاً لهذا الغرض لاعطاء انطباع «الرخص». اما بضائعهم الاخرى فهي توازي أسعارنا.

- لا يهم، ولكن كارلوس اكتسب صفة كونه متجر للنساء «العاديات» ومايجور يشار اليه كمتجر نساء «الطبقة الراقية». لقد قال لي مالكولم.

- آه، اجل... صديقك العزيز... اخبريني هل هو مدير منفذ هناك؟

- أنت تعرف تماماً أنه مساعد بائع صغير.

- لقد فاجئتيني ظننت أنه مدير.

- لا، ولكنهم تبنوا الشعار الذي أقترحه «الزيارة لكارلوس».

- وهل اقترح ايضاً الصوت الذي يجيبك عند دخولك المتجر آلياً: دعوة كارلوس شخصياً؟ انه صوت جميل ورائع عندما يسمع في المكان المناسب، ولكنه يدفع الى الجنون وهو يصيح فوق رؤوس الزبائن.

- اجل هو من اقترحه.

- آه، إنه رجل افكار يجب أن يوظفوه في قسم الدعاية، او حتى يرفعون منصبه الى مدير.

- إنه ليس مديراً، انه في قسم السجاد.

- في قسم السجاد؟ يا لهذا الضياع للدماغ خلاق؟

- قد يكون بائعاً عادياً للسجاد، ولكن من هم فوق يصغون إليه على الاقل عندما يعرض عليهم اقتراحاً، ولكل موظف عندهم، مهما كان صغيراً.

- تلميح رقيق بأن على مايجور أن يفعل نفس الشيء؟

- ولم لا؟ فالشبان هم من عندهم الأفكار هذه الأيام. لو أنك تخترع بعض الشعارات، مثلاً... مثلاً، «تنزيلات مايجور» او... وتحصل على الكثير مقابل القليل عند مايجور» ستجعل الناس العاديين يأتون إلى هنا أيضاً.

ووقف وعبر الغرفة نحوها وقال ساخراً:

- لم تقدمي هذا من أجلي فقط آنسة بورن، هل ترغبين في زيادة مرتبك

مقابل جهودك؟

ووقفت وهي غاضبة.

- يمكنني أيضاً أن أقدم استقالتي. فمن الواضح أنني غير مناسبة هنا. ولن اكون مناسبة، مهما حاولت دفعي، وفي أي قسم ستضعني فيه. سأريحك من وجودي المزعج. سأذهب إلى دائرة التوظيف وأنضم الى صفوف الباحثين عن عمل.

وتوجهت نحو الباب، ولكنه أسرع وجذب يدها عن مقبض الباب وامسك بها.

- لا تكوني حمقاء هكذا يا جولييت. ماذا تحاولين أن تفعلي؟ أن تمزقي نفسك؟ كما فعلت برسوماتك، لانك تعتبرين نفسك فاشلة؟ انت ثائرة لعينة ترفضين الخضوع لأي نوع من السلطة، ولا يهم أين تعملين!

وحاولت ان تخرج يدها من يده ولكنها فشلت فتركتها حيث هي.

- لا أستطيع تغيير طباعي. عندما أرى أن الاشياء خاطئة، أرغب في تصحيحها. هل هذه جريمة؟

وترك يدها وهز رأسه.

- قوانينك خاصة لنفسك، أليس كذلك؟ ماذا سنفعل بك؟

وأطبقت أصابعه على ذراعها، ونظر إليها متفحصاً.

- الثوب يناسبك بشكله هذا. ولا شك في ذلك.

وخفق قلبها، كان هناك إعجاب في نظرته، لم يحاول إخفاءه، وتمتم: «المظهر الجديد» وهدأت دقات قلبها، إنه ينظر إليها ليس كامرأة، بل كنوع جديد من موظفات مايجور.

- وهل أستمر في ارتداء هذا الثوب هكذا؟ ارجوك يا دروا.

وتطلع إلى وجهها، وأزاح يده عن ذراعها واستدار مبتعداً وهو يقول:

- الأمر صعب، عليّ التفكير بكل الآخرين. في ظل هذه الظروف أخشى ان يكون ردي.. «لا».

لقد خسرت. وعضت على شفتها، وترددت لحظة ثم ركضت الى الباب وهي تقول «وداعاً يا دروا» وناداها لتعود ولكنها كانت قد ذهبت.

٣ ـ أنا آسفة!

لم تذهب جولييت إلى عملها في اليوم التالي، فما الفائدة؟ وقررت ان لا تخبر اهلها بالأمر. وغادرت المنزل واستقلت احد الباصات المتجهة إلى قلب البريف. وهناك سارت، وحاولت التفكير، ولم تتوقف سوى لشراء بعض السندويشات وكوب من الشاي من «كافتيريا» متجولة.

سارت حتى عجزت رجلاها عن حملها، فجلست على حجر على جانب الطريق، متجاهلة نظرات السائقين إليها. ووضعت كوعيها على ركبتيها واسندت ذقنها الى يديها، ولم تحاول مقاومة الاحباط الذي حط على كتفيها كحمل ثقيل. لو استقالت من عملها، سيتوجب عليها التفتيش عن عمل آخر، ولن تأتي وظيفة اخرى اليها لترمي في احضانها كما جاءتها هذه الوظيفة.

ربما يكون درو محقاً بقوله إنها ثورية أكثر من اللزوم، وترفض ان تنحني لأية سلطة، كائناً من تكون. ولكن هذه هي طبيعتها، ولا تستطيع تغييرها. وتنهدت، ولم تستطع التفكير بأي حل.

ووجدت أن الوقت قد حان لعودتها دون إثارة شكوك أهلها ولكنها ما ان وصلت حتى وجدت والدتها مذعورة من القلق. فبادرتها:

ـ لقد كدت أجن! أين كنت طوال اليوم؟ لقد اتصل درو، ويريد أن يعرف لماذا لم تذهبي الى العمل. وعندما قلت له إنك خرجت، جن من القلق عليك ايضاً.

وابتسمت جولييت، فهي تستطيع تصور درو وقد جن، ولكن من الفرح لانها غائبة، وتابعت أمها الكلام:

ـ اذا لم تذهبي إلى العمل فأين كنت؟

ـ المشى!

ـ تتمشين؟ هل صرفوك من العمل يا حبيبتي؟

اجفلت جولييت من القلق الذي ساد صوت امها، كان يماثل نفس القلق

الذي لازمها كل النهار وكأنه مجرم يلاحق ضحيته. واجابتها:

ـ لا أعلم يا أمي. اذا لم يصرفوني من العمل، فعلي إذاً أن اصرف نفسي.

وظهر على صوتها بعض التوتر، ورمت نفسها على مقعد، وقد اصبح وجهها شاحباً.

ـ يوم أمس استدعاني درو. لقد اخطأت، تجاوزت حدي اكثر مما تسمح سياسة «مايجور وابنه» لموظفيها أن يفعلوا.

ـ أبسبب ثوبك؟ اذاً لا يمكنك لوم درو على طردك، أليس كذلك؟ لقد عرفت بأنك ستبدين شاذة وانت ترتدينه.

عندما عاد والدها أخبرته سيثيا بما جرى. ودهشت جولييت عندما نصحها بأن تحذر. لقد اعتقدت ان والدها على الاقل سيكون الى جانبها.

ـ يجب ان يحافظ على قدر معّين من الانضباط بين الموظفين لينجح في إدارة العمل يا عزيزتي. لا يستطيع ترك موظفيه يتصرفون بشكل فوضوي.

وأجفلت جولييت. لقد استخدم درو كلمة «فوضى» أيضاً، وباستخدام والدها لهذه الكلمة، كان يشير إليها بأنها على خطأ، وتابع قائلاً:

ـ لا يستطيع الموظفون التصرف حسب قوانينهم الخاصة، وتجاوز قوانين الإدارة. كوني متعقلة.

ولكنها لم تكن قادرة على إدراك ما هو المعقول. ففي حالتها الحالية من الشفقة على نفسها، الناجمة في جزء منها من الإرهاق والآخر بسبب عدم وجود من هو مستعد لاعطائها العطف والدعم اللذان تحتاجهما، الدعم الذي قد يبرر سلوكها الثوري، فهي مستعدة للاعتراف بأنها وحدها على حق.

ـ ولكنهم متصلبين جداً يا ابي. لا يتزحزحون قيد انملة عن قوانينهم.

فابتسم وقال «تعني أنهم لا يستمعون إليك. فانا أعرفك يا ابنتي، على الارجح تجاوزت الأنظمة بتسرع وبطريقة غير لائقة...»

ورن جرس الهاتف وأسرع سيدرك للإجابة، وقالت جولييت:

ـ ربما يكون مالكولم. لقد وعدته بالخروج معه هذه الليلة، تخلص منه يا ابي ارجوك.

ولكن لم يكن مالكولم من يتحدث. وناداها والدها وأعطاها السماعة.

- رب عملك، جزء «الابن» من مايجور.

وخفق قلبها وهي تأخذ السماعة. ما هو العذر الذي ستقدمه لغيابها؟ لا تستطيع التحجج بالمرض لأنه يعرف تماماً أنها لم تكن في المنزل. إذاً ستقول له الحقيقة.

- جولييت؟ اين كنت بحق السماء طوال هذا اليوم؟

- لقد خرجت اتمشى في الريف.

- تلعبين لعبة التهرب؟

- إذا رغبت في تسميتها بذلك.

- من يلعب لعبة التهرب يكون خائفاً عادة.

- لم اكن خائفة، كنت..

- اريد رؤيتك، الليلة.

- آسفة. لديّ موعد.

- يجب ان تلغيه. قلت لك يجب أن اراك. ستتمشين معي، أمامك نصف ساعة لتتحضري.

وأقفل الخط، ونظرت إلى السماعة، وكأنها حيّة سامة. ثم اتصلت بمالكولم واعتذرت عن الموعد قائلة إنها ستشرح له السبب في الغد.

عندما بدأت تحضّر لارتداء ملابسها للخروج مع درو، عاودها مزاجها المتحدي. واختارت اكثر زي مزخرف لها في خزانة ملابسها، بلورة مطرزة بأكمام طويلة، وأهداب متدلية وبنطلون أحمر فاقع ضيّق. وقطبت امها عندما شاهدتها، وسألها والدها أي زي وطني ولأي بلد هذا، وهل ما زالت تتكلم لغتها الاصلية؟ وأسرعت خارجة إلى سيارة درو، لم تكن ترغب في أن يرى داخل المنزل الذي تعيش فيه. لقد تصورت الازدراء الذي قد يبدو عليه عندما يرى فقر منزلها بالمقارنة مع ثراء منزله. وبادرته قائلة:

- بهذا الثوب الذي أرتديه تستطيع أن تأخذني إلى مكان راقٍ، أليس كذلك؟

- يا عزيزتي جولييت، كونك ضيفتي لا حق لك في التحدث معيّ هكذا.

وتطلعت إلى ثيابه، ودهشت لأنها لم تجده يرتدي بذلته الأنيقة كالمعتاد، كان

قميصه ملوناً، وسترته من الجلد وبنطلونه حسب أحدث صيحة في أزياء الرجال.

- انا آسفة.

وأخذها الى مطعم حديث الطراز. كانت الرسومات تملأ جدرانه ولاحظت جولييت ان الرسومات هذه كافية لارضاء ذوق وقلب أي فنان حديث، ونظرت عبر الطاولة إلى درو وتعجبت كيف يعرف مثل هذا المكان. وابتسم لها قائلاً:

- حسناً؟ هل شعورك الفني راضٍ بما يحيط بك؟

- كنت أتعجب كيف تعرف مثل هذا المكان؟ أعتقد انك معتاد أن تأتي بالفتيات إلى هنا؟

- بالمفرد، أرجوك، وليس بالجملة، فتاة وليس فتيات. فانا لا اعقد حياتي بصداقة أكثر من واحدة.

- هذا يبعث على الراحة، لن تدع صديقتك الحالية تعرف بأنك اصطحبتني هذه الليلة إلى هنا؟ قد تغار.

ونظر الى عينيها المليئتان بروح التحدي، وإلى وجهها المليء بالتباوية، والى شكلها الرائع وقتم وقد تكونين على حق». وطلبا الطعام وعندما أصبحا لوحدهما سألته: «هل أستطيع ان أسألك من هي؟»

- صديقتي الحالية؟ اسمها كاميل وابنغارد. والدها موظف حكومي له مركز هام، في وزارة المالية.

- كيف هو شكلها؟ وهل هي غنية؟

- غنية جداً. والآن، ما شكلها؟ جميلة، بالطبع، جسمها جميل، بالطبع. شعرها بني، عيناها بنيتان، طولها متوسط. و... انها امرأة مكتملة.

وبحثت جولييت بنظرها عن «الكرسون». متى سيأتي بالطعام؟ لا بد أن هناك شيء آخر تستطيع فعله بيديها بدل فركها بعض تحت الطاولة. وعندما لم تجده، عادت إلى الموضوع، على الرغم منها، كالمجرم الذي يعود الى مسرح جريمته «وهل هي ذكية؟»

- بالطبع، أنا لا أصادق امرأة غبية.

ومررت أصابعها على رقبتها، وشعرت بأنها عارية كأن ذراعاها وساقاها يبعدون أميالاً عن أطراف الثوب. وصمتت الاصوات. اذ يبدو أن الذي سيقوم بالحديث قد وصل. وجرت نفسها وهي تبتلع بعض الشجاعة من هواء المكيف، وخرجت نحو قسم الأزياء لتجد الكراسي وقد رتبت بشكل نصف دائرة، وفتشت عن مقعد لها ولم تجد سوى واحداً في الصف الامامي. وبدأت النساء تهمهمن حولها، والرجال الستة، يحدقون بها، والإعجاب باد في نظراتهم. وعندما وجدت الشجاعة الكافية لتنظر الى عضو الادارة الذي سيتحدث اليهم جاء دورها لتشهق.

كان درو مايجور يقف وراء الطاولة والأوراق مبعثرة أمامه. ولكنه لم يكن يحدق بالأوراق، بل يحدق بها، وعيناه غير مصدقتان.

وأشاح بنظره عنها وركز اهتمامه بالعمل الذي جاء من اجله.

- قد تعجبون لماذا اعطيكم انا دورة التدريب هذا الصباح. انا أنوب عن المدير العام الغائب في اجتماع مهم، وسأبدأ بخطاب ربما سمعتموه من قبل، ولكني أشعر بأنه مهم ليعاد قوله. لقد بقي لدينا نصف البضاعة لم تبع بعد. أحياناً العناية بما يتبقى لدينا يكلف به أحدث المساعدين. وهذا العمل قد يكون مخاطرة، اذا وضعنا نصب أعيننا، المؤهلات المشكوك بها لبعض المساعدين الذين نعتمد عليهم في هذه الأيام، لنقص في الموظفين.

وسرت همهمة بين الموجودين ومالوا الى الامام ليحدقوا بالفتاة التي يوجه لها مدير الشركة كلامه دون شك، واحمّر لونها، ولكنها نظرت اليه بشجاعة. لن تخاف من سخريته اللاذعة، ولن تخجل من تعنيفه لها علناً. فهي ليست الآنسة سكيمبثون الثانية، وعاد إلى موضوعه.

«العناية بما تبقى من بضائع عمل مهم، لأن تخفيض سعرها عائد إلى سوء تصريفها ويعود علينا بخسارة الربح وهذا ممكن تجنبه تماماً بالادارة الجيدة. ولاننا مضطرون الى اجراء بعض التصليحات عليها، تعطى هذه عادة الى اصغر مساعد. شرط أن يكون هذا المساعد موثوق به ليحمل اعباء العمل والمسؤولية عنه». وتابع درو تعليماته في مختلف الشؤون، ثم جمع الأوراق، مشيراً إلى أن دورة التدريب انتهت. وحاولت جولييت أن تنجو بنفسها من

نظرات المدير، وشقت طريقها خارجة، ولكن قبل ان تتمكن، سمعت صوتاً يدعوها:

- «آنسة بورن!» واوقفها الأمر الصادر اليها من متابعة طريقها. ونظر اليها الآخرون بإشفاق، وحدقت النساء الأكبر سناً بها بازدراء. أليست هي من سببت لنفسها المشاكل بقدومها إلى العمل مرتدية هذا الثوب؟ وحدق بشرتها البيضاء العارية حول رقبتها وبذراعيها المكشوفين وكأنها حضرت بثياب السباحة إلى العمل. وتابع الصوت كلامه:

- أريد رؤيتك. تعالي الى مكتبي آنسة بورن.

وخرج من الباب، وتبعته، وعندما وصلا إلى الطابق السادس، كانت تلهث. واستنتجت أنه أجبرها على صعود الدرج، بدل المصعد، كي يجردها من قدرتها على الكلام عندما يصلان الى المكتب. وفتح باب مكتبه ودخلا، واتصل بسكرتيرته وأبلغها بأن لا يزعجه أحد لمدة عشر دقائق. وتساءلت جولييت ما إذا كان هذا هو الوقت الكافي لأن يصرفها من العمل. وجلست دون أن يدعوها للجلوس. وجلس هو ايضاً، واخذ يتفحصها. ولم تتحمل نظراته اليها، لقد مر بها العديد من الذئاب المتفحصة لها، ولكنها لم تتحمل نظرة درو مايجور. وتمتم قائلاً:

- إذاً... لقد فعلتيها مرة أخرى. ازدراءك المعتاد بالسلطات. لقد تحديت القوانين وعملت ما يحلو لك.

- نعم، أعترف بهذا، ولكني لست آسفة. شيء ما بداخلي جعلني أفعل ما فعلت!

- وهذا.. الشيء.. الذي بداخلك لا يمكن ردعه. وفي الواقع له سلطة عليك بحيث ان منطقك وتعقلك لم يفعلا شيئاً بهذا الخصوص؟ كطفل دون تفكير، تملكتك رغبة جامحة، متخطية كل المنطق المحيط بك، وأمسكت مقصاً ومضيت في تنفيذ ما تريدينه في قماش ثوب المؤسسة و...

- لقد دفعت ثمنه.

- ولمعت بكل قطعة قصها ذلك المقص، كنت تقصين السلطة في كل ضربة مقص: هذه «للسلطة» وهذه «لدرو مايجور»، وهكذا خلقت من التفصيل الاصلي شيئاً اكثر ملاءمة لذوقك الفني.. لغرورك بنفسك...

- هل هي... هل هي مطيعة، على عكسي؟ هل تفعل ما هو متوقع منها؟ على عكسي؟ هل تتقبل كل شيء على ما هو، دون سؤال، كما أفعل أنا؟

- إنها لا تسبب لي المشاكل. إنها مطواعة، لينة، مستجيبة جداً. هل أتابع الوصف؟

- لا.. شكراً.

ووصل الطعام، وبدأ بتناوله، وسألها «لم كان تغيبك عن العمل اليوم؟».

- كنت اتساءل متى ستسألني. أنت تعرف جيداً السبب.

- اذا لم يكن عذرك قانونياً، ستخسرين أجرة يوم عمل.

- وما الفائدة من العودة إلى العمل؟ سأبقى بعيدة حتى نهاية الأسبوع، وعندها لن تشعر بالإحراج اذا استدعيتني ودفعت مستحقاتي وأبلغتني بالاستغناء عن خدماتي.

- إنها وظيفة مدير الموظفين وامين الصندوق، وليست وظيفتي.

- لقد فشلت بكل ما كلفتني به من عمل.

- ها قد بدأت تلومين نفسك، كان عليّ أن اتوقع هذا. هذا هو طبعك.

- كل ما اقوم به خطأ. وانت تعرف هذا.

- هل تريدين اقناعي بصرفك من العمل. وتكملين بذلك تدمير نفسك؟

- لست بحاجة لأن أفعل هذا. أظن أنك قررت التخلص مني. ولهذا دعوتني الليلة، لتخفف الصدمة عني.

- يا فتاتي العزيزة، أنا رجل أعمال. وحيث تدعوني مصلحة العمل لا «اخفف الصدمة». وهل تظنين أني منافق إلى هذه الدرجة. لأدعو فتاة للعشاء، وانا على وشك طردها من وظيفتها؟ جوليت!

لم تكن تنظر إليه، ولكن بسبب الحدة في صوته نظرت اليه، وتابع:

- لقد كنت افكر بعرض ترقية عليك.

لا يمكن أن تكون هذه حقيقة. وبحثت عن السخرية في وجهه، ولكنها لم تجدها، وشعرت بروحها وكأنها تحلق، كطائر يحلق بفرح نحو السماء الزرقاء. ثم انخفضت من الاعالي لتصطدم بالأرض كالحجر. «انت تمزح». «أقسم لك أني لا أمزح».

- اذاً انت تفعل هذا من اجل من أمثل، لأن والدي كانت فيما مضى خطيبة والدك.

- ماذا تظنين بي؟ لقد قلت لك، أنا رجل أعمال. وأعرف القدرات عندما أراها، مهما كانت متأخرة او غير متطورة.

- وفي رأيك.. أنني.. أملكها؟

- اظن هذا. أظن، أن هناك في عمق هذه الثورة فيك هناك شيء كبير واعد. أنا مقتنع أنك تملكين ذلك الشيء الثمين الذي يدعى «بعد النظر». إنه خصوصية مميزة ونادرة، حتى أنها قد يساء فهمها ويساء استخدامها من قبل من لا يملكها. فمن لديه بعد النظر، وهم قلائل، يستطيعون بطريقة ما توجيه أفكارهم نحو المستقبل، ويرون الأشياء كما يجب ان تكون. ويمضون أوقاتهم باضطراب، كما تفعلين انت، لأن الاشياء لا تتغير بالسرعة المناسبة. اما الآخرون، والحالقون عادة من التغيير، وهم كثيرون جداً، إنما يعيشون فقط في الحاضر، ويرون الأشياء كما هي أو كما كانت، وينكرون حتى أن المستقبل موجود.

ونظرت بعيداً، لم تكن تدري ما إذا كان يجب أن تشكره على هذا الإطراء، ام تتقبله كحقيقة واقعة. واستمر في كلامه.

- منذ بعض الوقت، كنت أنا ووالدي نبحث فكرة فتح قسم لبيع البضائع النسائية. ونريد بطريقة ما جذب الشابات إلى المتجر. ولكن الشابات حتى الآن يبتعدن عنا، وأنت واحدة منهم. هل تستطيعين أن تقولي لي لماذا؟

- اظن، ان ذلك عائد، إلى أن ليس هناك من شيء خاص لهن عندكم، ولا شيء يجذبهن اليكم.

- بالضبط. لقد فكرنا أن فتح قسم «بوتيك» عندنا، مجهز بكل حاجاتهن، قد ينجح. هل أنا على حق؟

- هذا إذا أدير بالطريقة الصحيحة، وعلى يد الأشخاص المؤهلين. من... من تضع في ذهنك لإدارته؟

- انت، لقد كنت اتساءل، من غيرك؟ بتدريبك الفني، وذوقك في التصميم، ووفاحتك بالعمل... لا، في هذه الظروف لتقل شجاعتك في

مواجهة العادات القديمة، ستكونين قادرة على فرض وجهة نظرك ووجودك بين مجموعة من هم في سنك.

ـ هل تعني أنني سأكون المسؤولة؟ عن كل شيء؟

ـ اجل. سنضيفك بين موظفي وكلاء المشتريات. وبالمقارنة مع كونك الآن مساعدة بائعة صغيرة جداً، سيعني هذا زيادة مهمة جداً في وضع راتبك.

ـ ولكن، لنفترض أن بقية الموظفين لم يعجبهم هذا؟ ولأنني جديدة في العمل قد يعتبرون أن هذا نوع من المحسوبية.

ـ أنت؟ محسوبة علي؟ هذا كثير، بعد كل المشاحنات التي حدثت بيننا! على كل سأضللهم في وقت قصير. فلو اخطأت أو خطوت خطوة غير محسوبة، سأهبط عليك كبناء يتداعى من جراء هزة أرضية، اذ لا مكان للعواطف في العمل، يا فتاتي، ولا معي، كما قلت لك قبلاً.

ـ لقد قلت لك من قبل، ليس لديك قلب ليتحطم، ويبدو أنني على حق.

ـ إذاً لديك عينان بأشعة اكس. وتستطيعين الرؤية عبر جدران صدري، واكتشفت أنني دون قلب، خالٍ من المشاعر أو اي شيء يماثل العواطف؟

ـ أجل... عندك مضخة آلية مكان قلبك. حتى ولو كان لديك قلب فلن تهبه للحب، هل تفعل؟ لو تقدمت فتاة وحاولت سرقته، ستضعه في سرداب جدرانه بسماكة سبعة أقدام تحت الأرض، ثم ترمي المفتاح!

ـ يا إلهي! لو كانت الظروف اكثر ملاءمة لجعلتك تدفعين ثمن هذه الوقاحة. وكما قال والدي، يجب ابقاءك تحت المراقبة.

ـ آسفة.. هل سيكون هناك أوراق لأوقعها او رسالة تؤكد تغيير مركزي في المؤسسة.

ـ انك تأخذين الأمور وكأنها مسلم بها. لم تحصلي على الوظيفة بعد.

ـ ماذا تعني؟ لقد اعتذرت لك. وإذا كان مفيداً ان أكرر الاعتذار سأفعل.

وتحركت لتقف وتتركه. لقد كان يوماً طويلاً لها. وكانت متعبة من سيرها أميالاً دون هدف، من التوتر والقلق، وهي تسير في الأراضي الريفية. وها قد أظهر لها صورة «الأرض الموعودة» ثم سحبها. لقد فشلت ثانية. ولن تستطيع تحمل المزيد، والتفتت اليه قائلة «عمت مساءاً!» وجذبها لتعود الى الجلوس في مقعدها.

ـ يا الهي، ما هذا التمرد الذي سيبتلى به رجل مسكين في يوم ما! زثبقية المزاج، هذه افضل كلمة. هل يعلم مالكوم ماذا سيحدث له عندما يتزوجك؟

ـ انا آسفة.

ـ لا يفيدك ما تفعلينه. لو تركتك تذهبين الآن فلن ألحق بك عبر المطعم وفي الشارع مثل رجل يلحق بامرأة متيم بحبها.

ـ «وأنا...» واقفل فمها باصابعه ليمنعها من أن تقول اية كلمة.

ـ اسمعيني، يا فتاتي. سأطرح عليك سؤالاً، وكل مستقبلك متوقف على الرد. اذا رفيتك الى وكيلة مشتريات، وهذا مركز حساس بمسؤوليته، هل بإمكاني ان أضع ثقتي بك؟ هل ستصبحين متزنة وتتوقفي عن تهورك؟

ـ سأحاول. سأحاول حقاً. أعدك بهذا، واترك يدي فلن أهرب.

ـ لا أريد ان اترك يدك.

ـ ماذا تريد أن تفعل.. أن تجعلني واحدة من نسائك؟ أليس لديك ما يكفي؟ لقد قلت لك إنك لست من طرازي. لا أحب الرجال ممن لديهم المال. لقد توافقنا على اننا متنافرا الطباع تماماً.

ـ قولي ذلك مرة أخرى! أليس بإمكاننا أن نجري حديثاً عادياً معاً دون إغاظة بعضنا، وهذا الجدال العقيم الذي تورطنا به؟

ـ «وأنا...». وتوقفت عن الكلام أمام النظرة الغاضبة التي رمقها بها، ثم نهض.

ـ تعالي، ستتابع هذا الجدل في السيارة. هناك نقدر ان نتشاجر مثل القطة والكلب دون ان يقاطعنا أحد.

وبينما هما يسيران بالسيارة عبر الشوارع سألته:

ـ أين نحن ذاهبان؟

ـ بما أن الوقت ليس متأخراً، ولم يحل الظلام بعد، نحو الريف.

ولم يتبادلا الحديث، إلى ان اصبح هناك حقول خضراء على جانبي الطريق، وكانت الشمس ككرة ذاهبة تلوح في الافق، وهي تعطي ظلالاً ذهبية كلما مرت الدقائق. وارتجفت جولييت لمجرد توقع غياب دفء الشمس «من الافضل أن أعود إلى المنزل».

- كل شيء في أوانه. يجب ان تتعودي على رفقتي وقتاً أطول قليلاً. لقد تحدثت هذا الصباح مع «روميو».

- تعني مالكولم؟ ولماذا؟ -

- لاعرف ما إذا كنت لجأت اليه لبعض العطف، ولإيجاد وظيفة عند كارلوس. وقال، إنه بقدر ما يحبك، فهو لا يحتفظ بمفكرة عن تحركاتك واين تكونين في بعض الأوقات. وقال إنه يظن انك هربت مني. هل هو على صواب؟

- أظن... بشكل ما.. أنني كنت هاربة.. من نفسي. ولم أبتعد كثيراً. والتقطت أنفاسي سريعاً.

- أشعر بالراحة لأنني لست من كنت هاربة منه.

- اوه.. بل كنت السبب. لقد ارعبتني.

- لماذا يا جوليت؟

- لان...

لانك كنت مسيطراً علي، وخفت منك لهذا السبب. كيف تستطيع ان تقول له هذا؟ مجرد معرفته سيزيد من سيطرته عليها، أليس كذلك؟

وهزت كتفيها وتابعت قولها «لا أعلم». وخرج عن الطريق نحو مرجة خضراء وهو يقول «الأفضل ان نغير الموضوع». واوقف محرك السيارة ووضع يده على ظهر المقعد، ولمست يده كتفها، ثم تحركت تحت شعرها لتستقر على عنقها. وحبست انفاسها للمسته.

بعيداً عن تغريد الطيور الذي بدأ يضعف بقدوم العتمة، وأصوات السيارات القليلة المارة، وطنين الحشرات من وقت الى آخر، كان الصمت تاماً. ونظرت الى وجهه جانبياً، وشعرت بالخوف منه يشد عضلاتها. كان خوف من نوع جديد هذه المرة.. خوف من المشاعر التي بدأ يوقظها فيها وجوده، ومن ما قد تقنعها يداه بان تفعل اذا طالبتاها بشيء ما.

في صمت الظلام المخيم بدا صوته، الناعم، عالياً عندما عاد الى الكلام.

- بترقيتي تلك إلى هذا المركز الجديد يا جوليت، أكون قد وضعت ثقتي الكبيرة بك. أتدركين ذلك؟

- لدى كارلوس «بوتيك». ولكن مالكولم يقول إنه غير ناجح.

- ولكن، بقدرتك على الإبداع، وبأفكارك الجيدة. سينجح «البوتيك» عندنا. أليس كذلك؟

- أمل هذا، آمل ان... ان لا اخذلك.

وضحك وسحب ذراعه، ومال الى الامام واضاء المصابيح الجانبية للسيارة.

- وانا كذلك. نسبة للرأسمال الذي سنضعه من أجل التحضير. اتدركين انك ستتصرفين بمبلغ كبير من المال؟ ستقومين بشراء اللوازم والبضاعة. وستكونين مسؤولة عن الطلبات، والتأكد من وصولها في الوقت المحدد، وسيكون عليك متابعة آخر الأزياء، وخدمة الزبائن، ومعالجة الشكاوى بلباقة. وسيكون من الضروري لك التنسيق مع الأقسام الاخرى، والتشاور مع قسم النشر والدعاية، والتعامل برقة مع زملائك الفنانين في القسم الفني، وسيمر بين يديك آلاف الجنيهات. وسوف يوزع عليك مبالغ معينة، وانت بدورك سوف توزعينها على مختلف اقسام قسمك. هل تدركين تماماً ما ستحملينه من مسؤولية؟ ام أن ما قلته كاف لان يجعلك تهربين من السيارة راكضة لأميال طويلة؟

- إنها توقعات، رهيبة. ولكنها تمثل لي تحدياً، وساقبل بها.

- عظيم.

- هل يعلم والدك بفكرتك هذه؟

- بالطبع.. فهو على كل رئيس مجلس الإدارة.

- وهل هو موافق على تسليمي المسؤولية؟

- بالتأكيد. لقد قال إنك تملكين الجرأة الكافية.

- هذا لطف زائد منه. وهل توافق على رأيه؟

- اعتقد أنك تحرضيني على الرد، لذا، ولكي أضايقك فقط، سأتجنب السؤال واقول، سنرى ماذا يحدث.

وتحركت السيارة، لتتجاوز الأشكال المعتمة التي تظللها الأشجار، كلمسات فنان، على جانبي الطريق. وقالت جوليت بصوت مرتفع:

- انا سعيدة جداً بأن والدك على الاقل له ثقة بي. هل له دور كبير في إدارة المؤسسة؟

ـ لا، فهو لا يتدخل. ما قاله يوم اتيتها لتناول الشاي عندنا كان فيه الكثير من الحقيقة. عندما يكون في المكتب، وهو غالباً لا يكون، تمتد رجلاه لوحدهما إلى الطاولة!

ـ ووالدتك، هل هي...؟

ـ ما دخل والدتي؟

ـ هل تهتم كثيراً...؟

ـ بالمؤسسة؟ ابداً.

ـ انا مندهشة. لقد ظننت أنها قد تساعد والدك بطريقة ما. أعني مثلاً، من ناحية الازياء، أو الأثاث؟ بإعطاء وجهة نظرها كامرأة...

ـ والدي نادراً ما يتحدثان معاً. بالكاد يتبادلان كلمة مهذبة خلال أشهر.

وبدأت تفهم سبب تصرف وارن مايجور الجاف مع زوجته عندما ذهبت مع والدتها لتناول الشاي هناك. ثم قالت وربما لو أن والدك يشجعها...

ـ لا تضعي اللوم على والدي. لو عرفت الحقيقة لوضعت اللوم على الطرف المناسب.

ـ ولكن، طبعاً، يلزم الأمر اثنان ل...

وقاطعها بعنف «ولكن يلزم الأمر طرف واحد ليدمر زواجاً. انا ابنها، ولكنني لست أعمى. لقد أبعدت والدي عنها كثيراً حتى لاتساءل لماذا لم يتركها منذ زمن بعيد. ولو ظننت أنه يخلص لها طوال هذه السنوات، إذاً لاعدت النظر. كان يحصل على امرأة تلو الاخرى».

وساد صمت مؤلم بينهما. وشعرت بألمه، وبالمعاناة التي لا يمر بها سوى طفل لزواج غير ناجح. وقالت بهدوء:

ـ إذاً لقد عرفت الآن القدر الذي نجت منه امي.

ـ لو ان اي تزوج من امك، لبقي مخلصاً لها حتى الموت. لقد كان يحبها بجنون، حب كان سيبقى طالما هو حي.

ـ وكيف تعرف هذا؟

ـ لقد قال لي ذلك عدة مرات. لقد حطمت قلبه.

ـ ولكن ذلك بسبب نوعيته التي كان عليها، لقد كان مجنوناً بطموحه. لقد عرفت هذا مما قالته لي عنه.

ـ كانت قادرة على تغييره.

ـ ولكن، بأي ثمن، كان عليها ان تدفعه من نفسها؟ على كل لتكن واقعيين كان من الممكن أن يعود الى طبيعته، وعندها كان سيحطم قلبها، وكان سيستمر في علاقاته مع النساء، فهو ذلك النوع من الرجال ممن لا يقدرون على الابتعاد عنهن. انها طريقته باثبات، ولو لنفسه، رجولته، واستمرار جاذبيته للجنس الآخر.

ـ لو كنت تعرفين الحقيقة، لما وجدت سهولة في لومه لما فعله في حياته. من يقدر أن يقف موقف الحكم على رجل أجبرته زوجته، التي هي امي، على هجران الفراش إلى جانبها والنوم في غرفة أخرى؟ حياته الباردة الخالية من امرأة هي التي دفعته إلى ما يفعل. وأعتقد أن هذا قد يحدث لأي رجل.

ـ حتى انت؟

ـ ابداً، قسماً بحياتك! عندما اتزوج، هذا إذا تزوجت، فالمرأة التي ستشاركني الفراش، ستكون مقياساً للمرأة الكاملة، ولن تخذلني ابداً لأنني لن أخذلها ابداً. ولكن... هناك إمكانية ضئيلة لأن اتزوج. لقد تعلمت من والدي ما يكفي.

وأوقف السيارة أمام منزل جوليت، فاستدارت اليه مبتسمة وقالت:

ـ وهل نجح بإيصال الرسالة اليك؟ هل نجح في تعليمك؟ وهل اتبعت مثاله تماماً. دون فشل، دون تردد؟

وجاءت كلماته التي قالها بعد ذلك كصفعة على وجهها:

ـ أتعنين ان تعرفي؟

لهجته كانت متحدية، وفي نور ضوء الشارع استطاعت ان ترى ان عيناه كانتا تبرقان وابتسامته قاسية وساخرة. مما دفعها للقول:

ـ سأتكلم معك كصديقة مخلصة للعائلة، وليس كموظفة عندك، كل ما استطيع قوله ان كاميل وابنغارد اذا كانت تحبك، إذاً فأنا أشفق عليها من صميم قلبي. لن أقبل أن اكون في موقفها مقابل مال الدنيا!

ـ لا تقلقي يا عزيزتي جوليت، ذات اللسان اللاذع. لن تكوني في موقفها ابداً. اذا هجرك مالكولم يوماً وأصبحت بحاجة إلى روميو فلا تحسبي حسابي.

وصفقت جولييت الباب وراءها، فانزل زجاج النافذة، وقالت له بغضب:

- شكراً على وجبة الطعام. وللمحاضرة الباهرة التي تبعث حول مكانة المرأة في حياتك. ولكنني ما كنت بحاجة للتحذير، فالرجل الذي سأتزوجه لن يكون مشابهاً لك. كما يبعد الدوري عن مشابهة النسر!

وتبعتها ضحكته إلى باب المنزل، وخرج من السيارة وناداها:

- تعالي الى مكتبي صباحاً، التاسعة والنصف تماماً.

كان عليها أن تهدىء الثورة التي بداخلها عندما تقدمت الى مكتب درو مايجور في الصباح التالي وجاءت لهجته عادية، وكأن المشاحنة التي حدثت بينهما يوم أمس لم تكن، ولا حدث ذلك النقاش الشخصي حول حياة رئيس مجلس إدارة الشركة الخاصة، وعن حبه الضائع.

- اجلسي انسة بورن. بالنسبة للبوتيك، كوكيلة مشتريات سيزداد راتبك.

وذكر المبلغ، ودهشت من سخاء لدرجة كادت ترفضه وسألته وهي ترتجف «هل تعتقد حقاً، أنني أستحق هذا المرتب؟» ونظر اليها نظرة محاسبة «شخصياً لا، ولكن والدي أصر على أنه المبلغ المناسب لهذه الوظيفة».

- يجب عليّ ان أشكره، وكما قلت سابقاً أنا ممتنة جداً لثقته بقدراتي.

- سيكون لي ثقة بك آنسة بورن، عندما، وفقط عندما، تثبتين جدارتك.

فابتسمت، وهي تعلم انها ستثيره، بقولها.

- ربما لوالدك بعد نظر أكثر منك. ومحكم على الشخصيات اكثر منك؟

- أقترح أن نترك رئيس مجلس الإدارة خارج نطاق نقاشنا، وإلا ستجدين نفسك في ورطة عميقة فعلاً. وانت تهيمين على وجهك في الخارج دون وظيفة!

- انا آسفة..

وابلغها عن كمية المبالغ التي ستضعها الشركة لإتمام البوتيك. وكان المبلغ كبيراً جداً، وعندما احتجت لأنها متأكدة ان المبلغ هو اكثر من المطلوب رد عليها.

- لا تقلقي، لن يمضي وقت طويل حتى تأتي اليّ صارخة، كما فعل كل زملائك من الوكلاء، بأن المبلغ غير كاف، وإذا لم تثبتي لي بالبرهان القاطع أن المبلغ غير كاف لن تحصلي على قرش واحد اضافي.

- إذاً انا في موضع محاكمة؟

- اجل.. والحكم بين يديك لوحدك!

بطريقة ما يجب عليها إيجاد الثقة بالنفس لتواجه هذا التحدي. وبرز امامها فجأة منظر الليالي التي ستقضيها دون نوم وهي تفكر بعملها، وما إذا كانت ستصل إلى مستوى رأي وارن مايجور بها. وكادت ان تتخلى عن العمل فوراً. ولكن شيئاً في وجه درو مايجور، وكأنه يتحداها ان تقبل التحدي، أعاد إحياء روح الكفاح فيها، ثم سألت في اي مكان سيجري افتتاح هذا البوتيك. وأجابها:

- نحن مستعدون للتخلي عن مساحة معقولة من قسم الأزياء لهذا المشروع. نشعر أنه سيتناسب مع ما حوله لأنه فرع من فروع الازياء نفسها.

- ولكنه نوع خاص جداً من انواع الازياء.

- أدرك ذلك، ولكن المال الذي ستصرفه على هذا المشروع ليس من دون حدود.

- هل يمكن ان أطمئن إلى أنني سأكون حرة التصرف بالتصميم، وبطراز الملابس التي سأحضرها للبيع؟

- ضمن المعقول. وبما انك قليلة الخبرة، فأنت بحاجة اكثر للاستشارة من الوكلاء الاخرين.

- ومع من الاستشارة؟

- مع وكلاء الازياء الأخرين، مع مصممي العرض، ومع مستشاري الوكلاء وما إلى ذلك.

- لا أرى لماذا؟

- انظري يا جولييت، انا أبذل قصارى جهدي حتى لا أثير روح القتال فيك، وابقي على نفسي هادئاً، ولطيفاً. ولكن بحق السماء لو بدأت بإحدى الاعيبك واذا ثرت بوجه النصيحة التي أقدمها لك، والمرتكزة على سنوات من الخبرة، وأكثر من هذا، إذا بدأت باستغلالي، لن أتردد أبداً، سأطردك. أفهمت؟

وفتحت فمها لتحتج لقلة الإنصاف هذه، وأخذت نفساً، واستعدت ثم

تفوهت بكلمة «أنا آسفة..» وقبل أن تخرج كلمة أخرى، قفز حول الطاولة ووضع يده على عنقها وصاح:

- إذا اعتذرت مرة أخرى هكذا أيتها الفتاة، اقسم بأنني لن امنع نفسي، سأخنقك! ثم اضعك على ركبتي وأضربك!

واحمّر وجهها بعنف وحاولت أن تزيح يديه عن عنقها، ولكن يداه انزلقتا إلى فوق حتى وصلتا إلى شعرها وامسكتا برأسها، وأرجع رأسها الى الوراء ونظر في عينيها، وتمتم «يا إلهي.. إنني أرى امك هناء. وتسمرت نظراتهما لبضع ثوانٍ ثم هبطت يداه وعاد الى مقعده. وتركها وهي محمّرة الوجه ويداها المرتجفتان تحاولان تسريح شعرها. ومضت بضع ثواني قبل ان تستعيد رباطة جأشها. ثم سألته «ما الخطوة التالية». عندما أجاب كان صوته عادياً وقد سيطر على نفسه:

- لقد تعاقدنا مع ملتزمين لبدء العمل، وسيبدأون غداً. أول عمل لك هو طلب البضاعة، وأنت تعرفين أننا نزيد على اسعار الجملة، وان السعر الذي نبيع به يجب أن يحتوي ربحاً؟

- بالطبع، أي غبي يعرف هذا.

- هس.. أفضل طريقة في البحث عن البضائع في المراحل الأولى هو الاتصال بالمؤسسات هاتفياً وطلب حضور ممثليهم، واحذرك، عندما تبدأين الحديث مع مندوب البيع ستكونين قد بدأت العمل. الآنسة سكيمبشون، وكيلة المعاطف والسيدة روز قادرتان على اعطائك لائحة ببائعي الجملة لتتصلي بهم.

ورافقها حتى الباب وصافحها قائلاً «حظاً سعيداً يا جوليت، صدقيني سنحتاجينه».

وذهبت عند الآنسة سكيمبشون والسيدة روز مباشرة لسلب الأسماء والعناوين. ولكنها في البداية أرادتا أن تعرفا السبب. واحمرت الآنسة سكيمبشون، ورفضت أن تصدق، اما السيدة روز فقد شكت بالأمر وأخذت تسأل، محاولة ان تكتشف لماذا هي، جوليت بورن، من بين كل موظفي قسم الأزياء قد اختيرت لهذه الترقية وقالت «انت جديدة هنا وهذا أمر غير منصف

لمن له أقدمية هنا» وقالت لها جوليت «اعتقد أن الإدارة تريد شخصاً لديه أفكار جديدة» وتردد كبير حصلت على المعلومات المطلوبة.

واستغرق الأمر أقل من ساعة حتى عرف كل من في طابق الأزياء بالأمر. وشاهدت مجموعات تهمس في الزوايا، وقد تفرقن لدى مرورها. وكانت نظراتهن لها مغزى وأصبح واضحاً لديها أنهن يتحدثن عن علاقة محتملة بينها وبين مدير الشركة، وهذا بالنسبة لهن قد يوضح الترقية المفاجئة.

في الصباح التالي وصلت إلى المتجر لتجد العمال يجمعون معداتهم ويحملونها الى الداخل. وبدأت الآنسة سكيمبشون بالتذمر، متخوفة من أن تحتك ثيابهم وأدواتهم والسلالم بالثياب المعروضة وتلوثها.

منظر العمال وهم يجردون الزاوية المخصصة للبوتيك من كل شيء أثار ذعر جوليت. والتقطت الهاتف واتصلت بمكتب درو وردت عليها سكرتيرته قائلة «آسفة انسة بورن، السيد مايجور موجود في الخارج، حاولي أن تتصلي بالسيد هارفنغ، المدير العام». واغتاظت جوليت، فهي لا تريد السيد هارفنغ، بل أرادت رؤية الرجل المسؤول. ولكن عليها القبول بالأمر الواقع، آملة ان يكون لديه السلطة الكافية لتغيير الخطة وإيقاف العمال قبل أن يوقعوا ضرراً اكثر، وذهبت لتقابل السيد هارفنغ، واستمع اليها باهتمام وظنت أنها نجحت بالتأثير عليه. وقال لها:

- لقد فهمت ما تقولينه يا آنسة بورن، ولكنني، أختلف معك تماماً. فموقع مثل هذا.. البوتيك، يتعلق بقسم الأزياء، ولا أرى سبباً لتحدي المنطق.

ووقفت، فلن تضيع وقتها في الجدال. وبما أن الابن في المؤسسة غير موجود، فستذهب عند الرجل الذي له نفس الأهمية، عند وارن مايجور نفسه. كانت تعلم أنه قاس، فقد أبلغها بذلك ابنه. ولكنها كانت راغبة في المخاطرة بمقابلته. وعندما وصلت إلى مكتبه قالت سكرتيرته إنه موجود وسيقابلها.

عندما دخلت جوليت مكتبه، أنزل رجليه عن المكتب، وكانت الابتسامة التي قابلها بها حقيقية ودافئة. وبدا، كما ظنت جوليت، أنه رجل راضٍ بنجاحه، كعملاق يتاطع السماء، ضخم في بعده وقادر في سلطته وحجمه، وقد شق طريقه في الحياة فوق رؤوس البشر، ومرتاح لمكانته وسلطته فوق الآخرين.

وجلست تجول نظرها في المكتب إلى ان استقرت على الطاولة حيث كانت رجلاه، والقى برأسه إلى الخلف وضحك، واخذ جسده كله يهتز «هل تبحثين عن العلامة» واشار بيده «ها هي». لقد قلت لك عنها أليس كذلك؟».

وضحكت بدورها وقالت «أتمنى ان لا تكون ممانعاً لزيارتي لك؟» واجابها «ممانع؟ يا عزيزتي انا مسرور لهذه الزيارة» ووضع يداه أمامه على الطاولة وصفقهما معاً وقال:

ـ كنت أتساءل عن المدة التي ستستغرقها موظفة ولدي المشاكسة للوصول الى القمة ولتطالب رئيس مجلس الإدارة بإعطائها اهتمامه! وكما قلت سابقاً، انت ابنة امك!

ـ انت تعلم عن وظيفتي الجديدة ـ عن البوتيك؟

ـ طبعاً لقد تفاوضت حول راتبك مع ابني. وبالرغم من غضبه رفعت الراتب إلى أعلى درجة حتى لم يعد يقبل بدفع المزيد أبداً! لقد قال اننا نقدر ان نوظف شخصاً أكثر أهلية بهذا المرتب، ولكنني رفضت أن أسمح له بالتحدث هكذا عن ابنة صيتيا بورن.

ـ هذا لطف منك، لم اكن اريد ان ازعجك ولكن دورو.. اعني ابنك.. ليس موجوداً والامر ملح.

ـ اخبريني بالأمر.

واستمع اليها بعطف، ولكنها لم تقتنع بمظهره، اعرفكم يا آل مايجور، نحقر بضع اتشات ويفاجئنا الصخر. وتابعت قولها:

ـ صديقي يعمل عند كارلوس، وقال إن البوتيك عندهم فاشل لأنهم وضعوه في نفس المكان الذي قررتم وضعه فيه.

ـ وانت، والحق كله معك، تعتقدين أننا يجب ان نتعلم من اخطاء الآخرين، وخاصة من ينافسنا؟

ـ أجل، الا تعتقد ذلك؟

ـ انا أعرف كيف اتعاطى معك، لقد تعلمت بالخبرة مع امك منذ سنوات طويلة.

ـ اذاً.. سيد مايجور الا يمكن اتخاذ قرار الآن حول مكان البوتيك؟ أطلب

ذلك بالحاح لأن العمال قد بدأوا العمل، وكلما اسرعنا في ايقافهم كان أفضل.

والتقط سماعة الهاتف واتصل بالمدير العام، واعطاه الأوامر بإيقاف العمل فوراً بالبوتيك، وأن على العمال انتظار تعليمات لاحقة. وشكرته بعد أن اقفل السماعة، وسألها عن رأيها في المكان الذي يجب أن يكون فيه القسم الجديد؟ واجابت على الفور:

ـ في الطابق الارضي، لا يبعد كثيراً عن المدخل، على اساس لفت نظر الداخل والخارج. ومصمم على ان يرى المارّون من امامه كل المعروضات.

ودعاها للجلوس الى جانبه، واستعرضا خريطة المتجر، وبحثا المكان الملائم واستقرا على موقع معين. ثم مال الى الوراء وضحك قائلاً:

ـ أتعلمين.. هذا قرار غير قانوني، لا يجب أن يكون قراراً بين اثنين، احدهما موظف صغير، جديد، ومن دون تجربة.

ـ لا أريد أن أفعل شيئاً غير قانوني.

ـ لا تريدين يا عزيزتي؟ حسناً أؤكد لك أنك حصلت على ما تريدين! ماذا سيقول ابني عندما يعود غداً!.. أأقول سراً؟ أنا خائف منه!

وضحكا معاً، وتابع قوله:

ـ حسناً، انا أبالغ في الأمر قليلاً ولكنني اؤكد لك شيئاً، ستحصلين على ما تريدين. لقد استخدمت سحرك عليّ، وربما يجب أن تستخدميه عليه الآن. ومستحاجين كل السحر الذي تملكينه للتأثير عليه!

وضحكا ثانية، ولكنها كانت تحاول إخفاء قلقها أكثر من اظهار سرورها. ووقفت بغية الانصراف، ولكنه أشار عليها بالجلوس وسألها:

ـ قولي لي يا جولييت، ولكن عديني أن لا تستائي من سؤالي. كيف وضع امك المالي؟ هل هي مرتاحة؟ هل تدير أمرها مالياً؟

وتحيرت جولييت من سؤاله، لماذا يشير إلى والدتها وكأنها أرملة؟

ـ إنها ليست لوحدها سيد مايجور، فمعها والدي.

ومرت سحابة من الألم على وجهه.

ـ أرجوك الصفح يا عزيزتي، بالطبع لديها زوجها. لسبب ما لا استطيع

التفكير بها إلا كامرأة وحيدة، ولكن سؤالي هو نفسه، أترين، لا أستطيع سؤالها مباشرة، لذا يجب أن أسأل ابنتها.

ـ انهما.. انهما مرتاحين بشكل معقول شكراً لك، انا الآن اكسب رزقي وأستطيع مساعدتهما.

ـ انت من تقومين بالتضحية. لقد تخليت عن دراستك لهذا السبب أليس كذلك؟ كنت أتمنى لو أن بمقدوري.. بمثل ثروتي...

وهز كتفيه بيأس وما لم يستطع ان يقوله فهمته وامسك انفاسها.

رجل بمثل ثرائه، ومركزه، ونفوذه، لا يستطيع مساعدة من هم بحاجة للمساعدة بسبب قواعد الأدب، والتقاليد، والكبرياء التي يفرضها موقف الجهة التي يعتزم عرض المساعدة عليها. كان صامتاً، ومن الواضح أنه غارق في احلامه، فسعلت قليلاً وقالت «ما هي الخطوة التالية سيد مايجور» وفرد كتفيه، وكأنه عاد من سماء أحلامه:

ـ آسف يا عزيزتي، كنت أفكر. «الخطوة التالية» ليست الكلمة الصحيحة. «المراقبة» قد تكون مناسبة أكثر وهي تتمثل بولدي. سوف ننقض عليه في الخطوة التالية، سيعود غداً.

ووقف واحاط كتفيها بذراعه وقال:

ـ أعدك بأن أحاول تلطيفه قبل أن أمرره إليك!

وأخذ ذراعها وأدارها إليه وقبّلها على خدها قائلاً «لا أستطيع تقبيل أمك، فأقبل ابنتها عنها» وعندما وصلت الى الباب استدارت لتشكره على مساعدته ودعمه، فشاهدته على حين غرة منه، كتفاه منخفضان، وجسده يتداعى، ووجهه ملؤه التعاسة، كان كسمكة علقت في شباك تعاسته، ويعلم بأنه مقدر عليه ان يبقى هكذا لما تبقى من حياته.

٤ ـ لعبة القط والفأر

تلك الليلة عاود المرض والد جوليت، أحس بضيق في التنفس إلى درجة أنه جاهد ليأخذ نفساً. وظلت جوليت مستيقظة، وهي فلقة غير قادرة على النوم، وجلست وأمها إلى جانب فراشه، وبذلتا أقصى ما في وسعهما لإراحته.

وبالنتيجة، عندما صعدت جوليت إلى الفراش لتنام قليلاً قبل الذهاب إلى عملها، استفاقت متأخرة. إذ تركتها والدتها تنام زيادة عن المعتاد، وهي تعتقد ان ذلك أفضل لها. ولكن جوليت ارتعدت عندما علمت كم تأخرت. وتخلت عن تناول فطورها، وقررت ركوب دراجتها للذهاب إلى عملها، لأن الباص الذي تستقله عادة، قد فات موعده، والباص الذي يليه لن يصل قبل نصف ساعة. وعندما وصلت دخلت من باب البناء الخلفي حيث تقف الشاحنات الصغيرة لتفرغ طلبيات المتجر. وبعد أن وضعت الدراجة في مكان أمين صعدت الدرج راكضة، وهي مذعورة من فكرة ان يكون درو قد أرسل في طلبها.

وحيتها الآنسة سكيمبتون بسرور وهي تزف إليها نبأ سؤال السيد درو مايجور عنها وبأنه كان يغلي من الغضب عندما اكتشف أنها لم تصل بعد، وصاحت كالغراب تقول: «لقد قال بأن تحضري فور وصولك إلى مكتبه» ونظرت إلى ساعتها وابتسمت بابتهاج قائلة «ساعة تأخير، ستجدين مزاجه جيد جداً».

ودون التوقف لخلع معطفها، ركضت جوليت إلى السلالم، فالمصعد بطيء، وقفزت كل درجتين سوية، وعندما وصلت إلى الطابق السادس، وهي تشهق لتتنفس، خرج وارن مايجور من غرفته. وشاهد مظهرها الاشعث ومد يده ليوقفها «هل هناك شيء خاطئ، يا عزيزتي؟ لا تبدين بحالة جيدة». وهزت رأسها. وهي ترمق باب غرفة درو، وتتنفس بصعوبة «لقد تأخرت.. لقد كنت مستيقظة معظم الليل مع والدي...» وقاطعها فوراً «هل هي

مريضة؟» وأجابته «لا، إنه والدي.. لقد اصيب بنوبة ربو. آسفة، لقد تأخرت يا سيد مايجور» وتحركت نحو باب مكتب درو، ولكن وارن استوقفها ثانية:

- اذا كان هناك شيء أستطيع المساعدة به لأمك او... والدك؟

وهزت رأسها شاكرة «الطبيب سيأتي ليراه هذا الصباح. وسيصف الدواء المناسب».

وفتح باب غرفة درو، وجاء صوته كالرعد «آنسة وارن! إنك لا تصلين متأخرة فقط، ولكن تقفين هناك ايضاً لتبادل الحديث مع والدي، وكأنك آتية لزيارتنا في المؤسسة، ولست قادمة للعمل».

وتقدم وارن إليه وهو يرفع يده وكأنما ليحذره «يا بني...» ولكن درو قاطعه «سأتعامل مع هذه المسألة بنفسي يا والدي». وحاول وارن العودة للكلام ولكن جوليت استدارت اليه وقالت «أرجوك، سيد مايجور الأمر غير مهم لهذه الدرجة» وهز وارن كتفيه وسار مبتعداً. وصدمتها الكلمات الصادرة عن درو بعدما جلست «ها أنت تتسللين ثانية يا آنسة بورن؟». وهزت رأسها وسألته «أتسلل، سيد مايجور؟ آسفة لم أفهم ماذا تقصد؟».

- نعم، فأنت تبدين وكأنك بالكاد مستيقظة. هل استغرقت في النوم آنسة بورن، بعد قضاء ليلة ممتعة مع صديقك؟ ما أعنيه بالتسلل هو تبادلك الحديث مع رئيس مجلس الإدارة كلما سنحت لك الفرصة. والركض إليه كلما كنت في ورطة، تذهبين إليه من فوق رأسي، وعندما اكون غائباً، في سبيل أن تحصلي تماماً على ما تريدين، وأنت تعلمين بأنني سوف أعارض أفكارك ومطالبك على طول الخط.

- انا آسفة لأنك تفكر في الموضوع بهذه الطريقة، ولكنك كنت في الخارج، وحاولت التحدث مع المدير العام..

- كم هذا لطف منك!

- وبما أن التصرف الفوري كان ضرورياً، لأن العمال بدأوا فعلاً العمل فكرت أن أفضل طريقة أن أتصل بوالدك. أنا أعلم أن ما فعلته غير قانوني، وانا آسفة.

- غير قانوني؟ إنه عمل شائن! ما كان يجب أن يصدر عن مناقشة لجنة إدارية، تم التوصل إليه، على يد شخصين أحدهما لم يكن عليه التصرف هكذا والآخر، هو شخص نكرة لو أنها لم تظهر أبداً في المتجر لما لاحظ احد ذلك! إن استمرارك واصرارك على رفضك إطاعة القوانين يبدو من العناد بحيث لو أن هناك قانوناً ضد إقامة القوانين لثرت عليه. ما هو نوع التركيبة الكيماوية التي استخدمها والدك لينجبا مخلوقاً مثلك؟

- وهل توافق على قرار والدك سيد مايجور؟ هل ستسمح...

- لا لن أسمح! وتجرؤين على تسميته قرار والدي؟ هذا كثير! إنه قرارك أنت. فانت تعلمين جيداً أنك لو طلبت المؤسسة كلها لما تأخر باعطائها لك.

وحدقت به وقالت هامسة «ولكن لماذا؟».

- بسبب أمك، لا يزال يحبها، ألا تعلمين بهذا؟

وشحب لونها وقالت «لا يمكن أن تكون تعني ما تقول» ووضعت يدها على رأسها وكأنما اصيبت بضربة، وبدأت الغرفة تميل بها، وظنت أنه سيغمى عليها. وتوقف عن ذرع الغرفة وقال «هل أصابك شيء؟» واقفلت عينيها وقالت «ربما لأني لم أتناول طعام الفطور، لقد تأخرت و...».

- إذا كنت غبية لدرجة أن تأتي إلى العمل دون طعام، فانت تستحقين ما يحصل لك. ولا تتوقعي أي تعاطف مني.

فظاظته وقساوة قلبه بالاستخفاف بمشاعرها، وفي ظروفها هذه، وصلت حد التجبر. ودفع بها إلى آخر الحدود. وشعرت بالتوتر داخلها يقفز كما يقفز رفاص مشدود إلى اقصى درجة، عندها لم يعد غضبها يعرف حدوداً، وضربت بقبضة يدها على طاولته وصرخت:

- لا، أنا لا اتوقع منك أي تعاطف! او شفقة. أو تفهم. فما لا تملكه لا تستطيع أن تعطيه، أليس كذلك؟ لا اتوقع منك اي شيء في مجال المشاعر. لقد كنت محقة يوم قلت لك إن لا قلب لك....

التوتر الذي مر عليها خلال الليل، وقلة النوم والطعام، بلغ بها مبلغاً جعلها تنفجر بالبكاء، وخفضت ذراعاها على الطاولة وأراحت رأسها عليها. فبادرها قائلاً:

ـ إذا كنت تظنين أنك ستخلصين نفسك بهذه التمثيلية كما فعلت مع والدي..

ولم تعد تتحمل لحظة واحدة وجوده، وجرت نفسها عن الكرسي وأسرعت إلى البابْ، الذي فتح ووقف وارن أمامه. وكانت جداً مضطربة فرمت بنفسها عليه، فلف ذراعه عليها مواسياً، وأخذت تبكي على كتفه. وهي تهمس «إنه أبي.. إنه أبي» وكررتها مرات ومرات. وسمعت درو يسأل «وما بال أبيها؟» وقال له وارن «لقد شعر بالتعب خلال الليل، ولم تنم لا هي ولا أمها طوال الليل».

ـ ولكن لماذا لم تقل لي هذا؟

ـ أعتقد أنك لم تعطها فرصة لتقول شيئاً، يا بني. لقد سمعتها تصرخ ماذا كنت تقول لها حتى أوصلتها إلى هذه الحالة؟

ولم يسمع الرد، وتابع وارن القول:

ـ هل أنت تحاول معاقبتي على ما قمت به في حياتي؟ أتحاول إيلامي عن طريقها. وأنت تعلم كيف أشعر..؟

وأخرج وارن منديله واعطاه لها وتابع كلامه:

ـ أنت لم تكلم اي من الموظفين بهذه الطريقة من قبل، لماذا هي يا بني، لماذا هي بالذات؟

ولم تعد جوليت قادرة على تحمل سماع المزيد، فابتعدت عنه، وقد خف بكاءها، ومسحت وجهها بالمنديل، فلم تكن تريد أن يراها درو على هذه الصورة. وأدارها وارن بكتفيها نحو الباب وقال:

ـ من الأفضل ان تأتي معي الى غرفتي يا عزيزتي.

وأجابه درو «تستطيع البقاء هنا».

ـ لا شكراً يا بني، لن أتركها تحت رحمتك بعد الآن.

وقادها نحو مكتبه وأجلسها في المقعد. واستدار نحوها وقال:

ـ هل ترغبين في شرب شيء ما؟

ورفعت رأسها وابتسمت له «لا شكراً، فلم أتناول فطوري. لقد تأخرت كثيراً لذا أسرعت الى هنا دون إفطار».

وتنهد متعجباً «لا أستغرب انهيار أعصابك صدمة بعد صدمة» وذهب نحو الباب «ستكونين بخير لو تركتك بضع لحظات؟» وهزت جوليت رأسها بالإيجاب، وأراحت رأسها على ظهر المقعد وأغمضت عيناها. وبعد قليل فتح الباب وأحست أن القادم ليس وارن. ورأت درو يحمل صينية عليها بعض السندويشات وكوب قهوة، «لقد أرسل لك والدي هذه» ووضع الصينية على الطاولة ووقف ينظر إليها. وبعد لحظة قال لها بصوت مختنق لرجل لم يتعود الاعتذار «أنا آسف، لو أنك قلت لي عن...» واشاحت بوجهها عنه «أنت لست آسفاً في الواقع، فأنت تكرهني، أنا متأكدة. لا يمكن ان نستمر معاً هكذا، علاقتنا ليست ناجحة. يجب عليّ أن أذهب من هنا. وكما قلت، أول مرة التقينا، نحن متنافران تماماً، كم كنت على حق!»

ـ لن تذهبي يا جوليت.

وفتحت عيناها، ووقفت:

ـ لا تستطيع منعي. انا مستقيلة منذ هذه اللحظة.

وسارت نحو الباب، بالرغم من شعورها بضعف ساحتها. ومد ذراعه وامسكها بخصرها، وقال لها بنعومة وهو يواجهها:

ـ ستبقين هنا. استقالتك مرفوضة. وأكثر من هذا أنا على استعداد لإعادة دراسة موقع البوتيك.

ـ لم يعد الأمر يهمني الآن. فلن أكون المسؤولة عنه، سأترك عملي.

ـ سأعرض عليك اكثر. سأوافق على قرار رئيس مجلس الإدارة بنقل البوتيك إلى الطابق الأرضي، حيث تريدينه أنت تماماً، دون عرض الأمر على مجلس الإدارة.

وحدقت به قائلة «اتعني ما تقول؟».

وامسكها بكتفيها وأرجعها إلى الوراء بلطف حتى أجلسها على الكرسي ثانية وابتسم:

ـ لقد أرغمتيني مرة أخرى، أليس كذلك؟ خطوة خطوة تحصلين على ما تريدين. أنت مخادعة صغيرة عديمة الضمير، أتعلمين هذا؟

وهزت رأسها «ولكنني سأرحل، لقد قلت لك هذا».

ـ انت لن ترحلي. عندما تنهين طعامك، عودي إلى عملك وابدأي بطلب البضائع للبوتيك الجديد.

ووضع الصينية على ركبتيها وتناول سندويشاً وأعطاه لها. وأخذ يراقبها وهي تأكل.

ـ لسوء الحظ، لا أستطيع أن أعدك أن لا أصرخ في وجهك ثانية. اتمنى لو انني أستطيع. ولكن بطريقة ما كان لك ذلك التأثير عليّ.

وابتسمت له وقالت «وأنت لك تأثيرك عليّ أيضاً».

ـ على الاقل نحن نعرف نقاط ضعف بعضنا البعض.

ودخل وارن إلى الغرفة قائلاً «وهذا نصف الطريق نحو إعادة المياه إلى مجاريها» وقال درو وهو يغادر الغرفة «أشك في ذلك يا ابي فقد قررنا لتونا أننا نكره بعضنا البعض».

ـ حسناً، إنها بداية جيدة، فمن يعلم أين يقود هذا؟

ـ إلى طريق الجحيم! ويجب أن تعلم هذا.

وخرج درو وصفق الباب وراءه.

أمضت جوليت ما تبقى من النهار وهي تدرس نماذج واجهات العرض. كانت تعرف أن الواجهات يجب أن تكون عملية بقدر ما تكون لافتة للنظر، وليس من السهل دائماً التوفيق بين الأمرين. لقد تعلمت من دراستها للفنون أن الثياب التي ستشتريها للبوتيك ليست لوحدها من تجلب الزبائن ولكن الطريقة التي تعرض بها.

وكان العمال يعملون على إقامة فاصل يفصل بين البوتيك وباقي الأقسام. وكان الناس يروحون ويجيئون في المتجر حول الواجهات، وعبر البوابة. وفكرت جوليت بأن الناس هم كالدم بالنسبة للمتجر تماماً كما الدم الحقيقي الذي يجري في عروق الإنسان، الذي يبقيه بصحة وعافية. ودون الناس سوف يفلس المتجر ويموت.

عند المساء، عندما وصلت إلى المنزل، وجدت والدها وقد تحسنت صحته قليلاً. وقد زاره الطبيب ووصف له الدواء الذي أعطاه بعض الراحة.

وقالت لها والدتها في المطبخ «لقد اتصل بي وارن. وقال إنك أخبرته عن

حالة سيدرك يا جوليت. وعرض عليّ المساعدة».

ـ المساعدة؟ لم يعرض عليك مالاً بالطبع؟

ـ لقد سأل إذا كان سيدرك قد عرض نفسه على اخصائي، فقلت نعم إنه اخصائي نصحنا به طبيبه الخاص. ثم عرض عليّ أن يدفع تكاليف علاج سيدرك لدى اخصائي في لندن. ولقد تأثرت كثيراً بحيث لم أعرف كيف أشكره. وطلب أن أتصل به بعد أن نبحث الأمر.

اذاً هذه هي الطريقة التي حسب وارن أنه قادر عن طريقها أن يعرض المساعدة دون خوف من الإساءة. ورمت سنيثيا بنفسها على كرسي:

ـ والدك لم يرحب في الاستماع لهذا الأمر.

ـ ولم لا؟

ـ إنها الكرامة، يا حمقاء، الكرامة. قال إنه لا يريد المساعدة من صديق قديم لي. وقلت له كم من الحماقة أن يغار من رجل اعتقدت أنني أحببته منذ ثلاثين سنة! وقلت إن ليس المهم من يعرض علينا المساعدة... في مثل وضعنا المال هو المهم.

ـ وماذا حدث بعد ذلك؟

ـ تجادلنا جدالاً سخيفاً. وقال... قال إنني القول له الآن انه لا يكسب المال الكافي ليرضيني وإنني ألومه لعدم اكتسابه ثروة مثل خطيبي السابق؟

وانزعجت جوليت عندما رأت أمها وقد أخذت تبكي. ووضعت ذراعها حولها وهي تشعر باليأس أكثر من أي وقت مر في حياتها. وتابعت أمها الحديث:

ـ ثم تشاجرنا. ولم يهتم عندما قلت إنني سأتخذ أية خطوات ممكنة لمساعدته على تحسن صحته، حتى القبول بمال من وارن مايجور. لم يتزحزح عن رأيه. آه، يا حبيبتي!

وأراحت والدتها رأسها على كتف جوليت، كما فعلت هي هذا الصباح على كتف وارن مايجور، وأخذت تربت على شعر والدتها، وتركتها تبكي، ثم قالت:

ـ اذهبي الآن للنوم، انت تعبة من الليلة الماضية. امي.. لقد بكيت هذا

الصباح، لقد كنت في مكتب درو. وكنت سخيفة وتركت الأمور تتكدس فوق رأسي. والسيد مايجور، وارن، كان لطيفاً جداً وتركني أبكي على كتفه.

وتمتمتا وقالت أمها «لا يجب ان تتورطي كثيراً في مشاكلنا يا حبيبتي، فأمامك حياتك الخاصة. سأفعل كما أشرت عليّ. فأنا تعبة، لقد حضرت لك الطعام.

- سأحضر لكما الطعام، انت وابي.

بعد قليل، دقت جوليت على باب غرفة نوم والديها وأدخلت لهما الطعام. ووجدتهما يجلسان في الفراش جنباً إلى جنب، وعلمت أن خلافهما قد انتهى. وجذبت سيثيا ابنتها لتهمس في اذنها «اتصلي بوارن. لم أجد الجرأة للاتصال به». واتصلت جوليت به، وأجابها بنفسه. وأخبرته بكل لطف أن والدها شعر أنه غير قادر على قبول... وقاطعها قائلاً:

- أعرف ما ستقولينه. لقد مررت بهذا النوع من الكهرباء العنيفة.

- لم تكن لهي السبب. فقد أرادت أن تقبل بكل سرور.

- انا متأكد من شعورها. ليس هناك امرأة تحب أن ترى الرجل الذي تحبه يصارع المرض، الذي يمكن أن يزول إذا صرف له المال اللازم. تماماً كما لا يحب رجل أن يرى المرأة التي يحبها قلقة وغير سعيدة.

ويبدو أن درو أخذ السماعة من والده، اذ قال لها بصوت جاف:

- لا لزوم لأن تأتي غداً في الوقت المطلوب يا جوليت. في هذا الظرف لديك الإذن في أن تحضري متأخرة.

- شكراً لاهتمامك، ولكن، كما لم تتعب ابداً من القول لي تكراراً. اذا فعلت هذا لأجل، ستضطر لأن تفعله لأجل الآخرين، أليس كذلك؟ في مثل حالتي، لا أريد منك الإحسان.

- الاحسان؟

- اجل.. في شكل السماح لي بوقت راحة دون عمل ومدفوع الأجر.

واقفلت السماعة. ثم فكرت مذهولة بالأمر، ماذا فعلت؟ لقد صدت الرجل المسؤول بازدراء، ورمت في وجهه مبادرته الطيبة، اهتمامه بالظروف الصعبة التي تمر بها في منزلها؟ وأخذت السماعة وطلبت الرقم، وأجابها بنفسه.

- درو، أريد أن اعتذر عما قلته لك. أنت على حق عندما تقول إنني متهورة جداً. أنا... في الحقيقة يجب أن أضبط نفسي. انا آسفة.

- توقفي عن التذلل. ووفري أنفاسك، لقد أصبحت اعتذاراتك رتيبة ومملة!

وأقفل الخط بوجهها.

في اليوم الذي كان مقرراً فيه ظهور إعلان افتتاح البوتيك في الصحف، احدثت جوليت صحيفة محلية وقلبت صفحاتها. ووجدت الإعلان، صغير ومختصر، ولكنها أملت ان يكون فعالاً. وتابعت تقليب الصفحات، وتسمرت عيناها، على إعلان من نصف صفحة، عن بوتيك كارلوس، تقول كلماته إنه الافضل في المدينة، وثيابه الأحدث زياً، وأسعاره الأفضل، بنوعية افضل مما يمكن للمال شراؤه. لا تستطيع مقاومة زيارة بوتيك كارلوس. وعلى جوانب الإعلان، ظهرت رسومات لأحدث الموديلات وعبر الوسط ظهرت كلمة «سلاش» بأحرف متفرقة يتبعها بأحرف أصغر كلمات «ووفر مالك عند كارلوس». بالمقارنة مع هذه القطعة الإعلانية الفاخرة. كانت تظهر دعاية مايجور عن محلهم ضعيفة وواهية جداً.

واتصلت جوليت فوراً، وهي بالكاد تسيطر على غضبها، بمالكولم واتهمته بالخيانة والغش وعدم الوفاء. «لم فعلت هذا؟ وكنت أظن أنك تحبني!» وأقسم لها أنه لم يفعل هذا عن قصد «لقد ذكرت صدفة أمام وكيل السجاد ما قلته لي عن إعلان مايجور عن افتتاح بوتيكه الجديد، ومرر هو الخبر إلى الإدارة. وكيف لي أن اعرف أنه سيفعل؟».

- لقد كنت ستتسبب بخسارتي لوظيفتي، أو على الأقل لمركزي كوكيلة، وعندها سينخفض مرتبي وتنخفض رتبتي...

وانهى مالكولم المكالمة قائلاً إنه آسف، وإنه إذا لم يذهب فوراً سيفوته الباص المتوجه إلى حيث يسكن. وغمت من كل قلبها أن يحدث له هذا.

خلال ذهابها في الصباح التالي إلى عملها كانت تفكر بالطريقة التي ستبلغ فيها درو بالخبر. والتقته على السلالم. وقررت أن تستجمع شجاعتها وتبلغه الآن. وكاد أن يتجاوزها إلا أنها مدت إليه يدها لتوقفه وسألها بقلق «ماذا هناك

الآن؟» وسر بعض الموظفين فأزاحها عن وسط السلالم قائلاً «انك تسدين الطريق» وقالت «الأمر يتعلق بالإعلان» . . .

- لا تزعجي نفسك بالشرح. أعرف تماماً ما ستقولينه. لقد تدخل صديقك أليس كذلك؟ لقد فتحت قلبك أمامه حول البوتيك، هل هذا صحيح ايضاً؟

- اجل، يا سيد مايجور. لم أفعل هذا قصداً، ولا هو كذلك.

- بالطبع لم تقصدي. ولكن عليك أن تكوني بعيدة النظر أكثر في المستقبل. في المرة القادمة قد يكون الأمر أكثر خطورة، سيكون أمامك صديق لك في معسكر الأعداء، أليس كذلك؟

وفتحت فمها لتعتذر، فأسرع إلى إقفاله بأصابعه وقال «وفري عليّ هذا آنسة بورن» وتابع طريقه وهو يقول «لكن تذكري، لا تدعي الأمر يحدث مرة ثانية».

بعد تناول الشاي في المساء، أتى مالكولم لزيارتها. واعتذر منها، وقال بوداعة «هل لا زلت تحبينني» وأجابته بكبرياء.

- هذا يفرض أنني كنت احبك أصلاً.

وتدخلت والدتها وقد سمعت ما يقولانه «مسكين يا مالكولم، انت في وضع حرج هذه الليلة!».

فضحك وقال «لو جئوت على ركبتيّ وتوسلت اليهنّ، أتظنين أنها ستسامحني؟».

ورن جرس الهاتف وأسرعت سينثيا للإجابة. وقالت جوليت: «أبي ليس هنا، نستطيع الدخول إلى غرفة الجلوس» وسألها مالكولم إذا كانت قد تعرضت للمشاكل من رب العمل. فأجابته:

- لقد قال لي بطريقة غير مباشرة إنه فهم. ولكن يجب أن لا يحدث هذا مرة ثانية.

وعندما عادت والدتها كانت عيناها تبرقان، وقالت لها «إنه وارن» وخفق قلب جوليت. لماذا تشعر أمها بالسعادة هكذا؟

- لقد سألني إذا كنت أحب الحصول على ثلاجة، وقلت إني أحب ذلك، ولكن أحب أن أصرف المال على شيء أفضل! وهكذا أخبرني أنهم يتوقعون

وصول صفقة ثلاجات، بأسعار منخفضة جداً، وإذا رغبت في الحصول على واحدة استطيع ان آخذها.

- وهل قبلت يا امي؟

- في الحال، لقد كنت أرغب في واحدة منذ زمن.

- ولكن ماذا سيقول أبي؟ ألن يقول إنها نوع من الإحسان ثانية؟

- يجب عليه ان يوافق، إنها فرصة لا تعوض.

- إنها ضربة حظ لقسم الأدوات الكهربائية عند مايجور.

ترى أي بائع جملة قدم لهم هذا العرض؟

وصرخت به جولييت «مالكولم!» وحدق بها شاعراً بذنبه وقال:

- آسف يا جولييت. إنه الولاء لرب العمل عاودني ثانية. عندما تعملين عند مايجور لمدة كافية، سيتملكك نفس الشعور.

- أشك في هذا، على كل ألا يجب ان يأتي إخلاصك لقاتلك في الدرجة الأولى؟

- لقد ربحت. أعدك أن أحافظ على السر.

- يجب عليك ذلك، وإلا سأخسر وظيفتي فعلاً، لقد وجه لي دورو انذارين حتى الآن بأن لا أسرب الأنباء «لروميو» كما يسميك.

واستدعاها دورو في الصباح التالي. وبعد أن قدم لها بعض النصائح للتعاطي مع منتوبي باعة الجملة، محذراً لها من الوقوع في حبائلهم نظر إلى مفكرته وقال:

- والآن، أرى أن غداً هو يوم السبت، وأعلم أنك ستكونين مشغولة، وربما لديك موعد مع روميو، ولكن استطيعين أن تأتي إلى منزل والدي غداً بعد الغداء؟

- حسناً، أجل سيد مايجور. سأفعل ما طلبته مني.

- يا إلهي، أنت تثيرين إعجابي، كل هذه الطاعة في هذا الوقت المبكر من الصباح!

- في بعض الأحيان أعمل على عكس مبادئي وأطيع الأوامر، سيد مايجور! وضحكا معاً. «في الحقيقة انها انباء سارة يا آنسة وارن. أرجو أن تستمري

في كسر ذلك المبدأ. سيجعل الحياة أمامي أكثر سهولة.

يوم السبت، كان يوماً دون غيوم وداق»، واحتارت جولييت ماذا تلبس. وقررت أن ترتدي ثوباً يبدو رسمياً، فهي ذاهبة إلى منزل آل مايجور، لدواعي العمل، وليس للمرح.

وفتحت لها ميلدرد مايجور الباب وقالت لها بطريقتها الخالية من الحياة.

- إنها في الحديقة، ابحثي عنها. في الخلف.

وأشارت بأصبعها في الفراغ نحو اليسار وأغلقت الباب في وجه جولييت. وشعرت جولييت وكأنها سقطت في الفراغ، كشخص كان يحاول الجلوس ثم سحبت الكرسي من تحته، وسارت حائرة نحو الجهة الخلفية من البيت، عبر حديقة الورود، ومرت امام النافورة في الحوض المستدير، عندما سمعت صوتاً يحييها، واستدارت، بالطبع إنها عند بركة السباحة!

كان وارن مايجور واقفاً يلوح لها بيده، وبينما هي تتقدم قال لها:

- اهلاً بك أيتها الغريبة، ماذا أتى بك إلى هنا؟

وسمعت صوتاً على بعد عدة أمتار منها يقول «أنا» وكان درو ممدداً على منشفة كبيرة مرتدياً ثوب السباحة. وكان جسمه الأسمر النحيل لا يزال يلمع بالماء. من الواضح أنه خرج لتوه من البركة، تاركاً لحرارة الشمس أن تجفف جلده.

ودعاها وارن للجلوس «اجلسي يا عزيزتي» وجلس في المقعد المجاور «كيف حال أمك؟» وأجابته جولييت «بصحة جيدة، ووالدي أيضاً في هذه الأيام».

وهز وارن رأسه دون تعليق، اهتمامه تركز على الجزء الأول من إجابتها. لماذا يستمر في التظاهر أنني لا أملك أباً؟ وغضبت من تصرفه. ولكن شعورها هذا عاد عندما رأت العينان غير المستقرتين وغير المرتاحتين المحدقتين بالأراضي المحيطة بهم وكأنه يبحث عن شيء هو مقتنع تماماً أنه يختفي هناك بعيداً عن متناول يده، شيء لا يستطيع ماله أن يشتريه. وخاطب درو والده ويداه تحت رأسه وعيناه مغطاتان بنظارات شمسية:

- إنها زيارة عمل، صدق أو لا تصدق، وليست زيارة اجتماعية.

- لقد خيبت أملي يا بني. لقد اعتقدت أنها قدمت حباً بك، وليس

بالمؤسسة؟ ورفع درو رأسه «حب؟» ثم خفضه وأغمض عينيه خلف النظارة وتابع:

- هناك القليل جداً من الحب بيننا، أليس كذلك يا جولييت؟ انتظر بضع دقائق وسترانا نتشاجر ثانية. في الواقع أتعجب لماذا لم نبدأ الشجار بعد. يمكن ان يكون وجودك له تأثير إيجابي علينا معاً.

ونهض وارن وهو يضحك وقال:

- سأتحنى لكما، وأترككما لبدء الشجار، ولن أتدخل، فعلى الرغم من أنني صاحب الشركة إلا أنني لا احب زج انفي في مكان غير مرغوب فيه!

- اليوم الوحيد الذي تدخل فيه كان لضرر المؤسسة، عندما كان المسؤول غائباً واقتحمت عليه المكتب امرأة ثائرة شابة، وطالبت بما هو مستحيل، ووافق على مطالبها بالكامل ودون نقاش.

- حسناً يا بني، لقد سجلت علي نقطة.

ورفع وارن يداه، ومضى في طريقه. ودون ان يفتح عيناه قال درو وهو يربت على المنشفة «تعالي واجلسي بقربي». وتحركت بعد تردد لتجلس الى جانبه، وهي تشعر بجاذبية غامرة تشدها نحوه كما المغناطيس. ورفع رأسه ونظر إليها «يا إلهي! ثيابك جميلة جداً لمجرد الكلام! الا تستطيعين خلع شيء منها؟» ورفع يده وجذب سترتها عن كتفيها، ومررت ذراعيها من الاكمام، ثم رماها الى جانبه. وقالت:

- قد أكون ارتدي ثياباً كافية ولكنني أشعر بالبرد، فانا لا أرتدي شيئاً كثيراً تحتها.

ورفع نفسه قليلاً ونظر إليها وخلع نظاراته:

- لقد أثرت اهتمامي... أجل فهمت ما تعنين. أليس هذا ما يدعونه «الرؤية من خلال الثياب». إنها لا تترك شيئاً للخيال. كان يجب ان تلبسي مرتدية ثوب سباحة من قطعتين لتنضمي إليّ في السباحة.

- وما الفائدة، أنا لا أعرف السباحة.

- يجب أن تجري روميو ان يعلمك. أراهن أنه علمك عدة أشياء.

- إن الامر ليس بهذه الصورة بيننا.

ـ هل تحاولين أن تقولي لي انك ما زلت صغيرة وبريئة، ولم يمسك أحد؟ وانت تلميذة فنون سابقة؟ أمر لا أصدقه. انك تغريني بأن اكتشف بنفسي مدى خبرتك في.. في.. بعض الأمور.

ـ لقد أتيت الى هنا للعمل سيد مايجور، وليس للهو.

فتنهد وجلس، وقد جف جلده الآن.

ـ ها قد أوقف درو مايجور عند حده! والآن آنسة بورن، بما أنك مصرة على ان تكوني رسمية، هل لديك مطالب أو اسئلة ترغبين في أن اجيبك عليها؟

ـ أجل.. كيف لي أن اعرف عندما يعرض عليّ بائع بضاعته، أي نوع من الثياب أختار؟ لقد تخيلت في البداية أنني سأشتري كل ما أراه. وانا أعلم الآن أن هذا مستحيل.

ـ أنا سعيد أنك ادركت هذا. حسناً.

وصب كوباً من عصير الليمون وأعطاه لها واخذ واحداً لنفسه وتابع

ـ أولاً تفكرين، بأكثر زبونة مثالية لديك، ثم تفكرين بمتطلباتها، وبعدها تختارين البضاعة الأقرب للاستجابة لتلك المطالب. في الحقيقة هناك ثلاثة مبادىء رئيسية تتحكم بانتقاء ازياء البضائع. فالوكيل يجب ان يمتلك «حساً» وتمييزاً وذوقاً. وهذا كله مملكيته نسبة لتعليمك. حتى عندما تغري رأيك حول الزبونة المثالية، فالاختيار قد يبقى محرجاً. فإلى اي مدى ستضطرين لاستخدام، ما يدعى.. طلب الأفضل «معرفة كيف». وهذا امر سينمو معك كلما ازددت خبرة.

ـ يا عزيزي، إنك تجعل الأمر يبدو محبطاً للهمة.

ـ لا أظن ذلك طالما عندك التفكير السليم.

ـ شكراً على هذا الإطراء. لم اعتد على الإطراء منك.

ـ هذا حديث عمل، لذا توقفي عن الاحمرار خجلاً.

وتابع كلامه ناصحاً إياها كيف تتعامل مع باعة الجملة وكيف تنتقي مشترياتها وما إلى هنالك، ثم قال:

ـ يجب ان تتعلمي متى تلاحظين أن البائع يضغط عليك لدرجة أنك لو اصغيت إليه، فستتجاوزين الحد وهذا يؤدي إلى تعقيدات بالنسبة لميزانيتك.

ـ اوه.. يا عزيزي، ماذا وضعت من مسؤولية فوق اكتافي؟ إنك تجعلني اضطرب!

ـ لقد آن لك ان تدركي كمية الثقة التي وضعتها فيك، فلا تخذليني يا جوليت!

وعقدت اصابعها حول ركبتها، وقد أثر بها كلامه. لقد أصبحت راغبة في إرضاء هذا الرجل اكثر من اي شيء في الدنيا، أن تكتسب احترامه واعجابه، لتجعله يفكر بها ليس كفتاة تافهة، بل كامرأة عاملة كاملة. أن تكون جديرة بالثقة التي وضعها فيها. فهل ستقدر على ذلك؟ وابتسمت له وقالت:

ـ إذاً من الآن وصاعداً يجب عليّ أن اكون نوعاً من المرأة الخارقة.

ـ أجل.. ولكن مهما مارست من عمل يا جولييت، لا تفقدي أنوثتك. وبهذه الطريقة لن تكتسبي فقط إعجاب الرجال بل احترامهم ايضاً.

ـ شكراً على هذه النصيحة. أقدّر لك هذا جداً.

ـ استرخي يا جولييت، تمددي بقربي.

وبعض التردد استلقت إلى جانبه. ولم تدري لماذا بدأ قلبها يخفق. ربما حرارة الشمس. وشعرت ببعض التوتر في اطرافها، ووجدت أن يديها من تحت رأسها تتعرقان. لم يكن يقطع الصمت بينهما سوى صوت مرور سيارة على الطريق العام، وغالبها النعاس، ولكنها قاومته دون مشقة، فجسمها لا يزال مفعماً بالحيوية، وذهنها متوتر ولا يجعلها ترتاح تماماً. لو أنه لمسها، فقط لو مد يده، كانت تعلم علم اليقين أن كل الحواجز بينهما ستنهار، ولكن عقلها يخاف النتائج، كطفل يدفع نحو غرفة مظلمة.

وناداها بصوت كالهمس «جولييت» وأدارت رأسها وتمنت لو أنها ترى عينيه «بما أن لا شيء يشغلك، هل تمانعين بقضاء بقية النهار هنا، وأن تتناولي الطعام معي؟».

وجلست، كان في داخلها ميل قوي لأن تفعل هذا. فكل شيء جميل من حولها، الهدوء، والعزلة، ورفقة هذا الرجل الممدد إلى جانبها.. ماذا عن الرجل الممدد الى جانبها؟ إنه رب عملها، ولا يعني لها شيء أكثر من هذا. يجب أن لا تسمح لنفسها ان تقع في حبه، ابن الرجل الذي رفضته أمها منذ سنوات طوال. هذا أمر يجب أن لا تفكر فيه. هي تعرف وجهة نظره بالنساء،

ورفضه ان يرتبط بامرأة طوال حياته.

ـ شكراً على هذه الدعوة. ولكنني افضل أن أذهب في نزهة على الدراجة مع مالكولم.

ووقفت، واخذت ترتّب ثوبها، وهي مسرورة من نفسها لأنها قاومت مشاعرها. وتنهد، ثم وقف واخذ قميصه وارتداه. ونظرت اليه بطوله، ومنظره الرياضي النحيف. لم تقدر أن تصدق أنه نفس الرجل الذي يدير مؤسسة «مايجور واينه».

ـ لم اتعامل من قبل مع امرأة لا تحبني. إنها تجربة جديدة.

ووضع ذراعه على كتفها وكان عليها ان تتظاهر بأنها لم تتحمل لمسته. وفهم الرسالة، وانزل يده، «سأوصلك الى الباب» وقتمت وهما يسيران «لا لزوم لهذا».

ـ من الأفضل ان تنتظري حتى ارتدي ملابسي، ثم اوصلك الى المنزل.

ـ لا لزوم لذلك.. سأعود كما اتيت، بالباص.

ـ انتظري قليلاً في الردهة.

وصعد الدرج، وكانت تتساءل اين هما والداه، عندما عاد وقد ارتدى بنطلونه. وسمعا صوت سيارة تقف أمام المدخل، وقطب جبينه «من يا ترى؟» واجاب على دقات الباب الملحة. وسمعت صوتاً نسائياً يقول عندما فتح الباب.

ـ حبيبي... كنت ضجرة جداً، ثم فكرت فيك، عرفت أنك لن تمانع، الن تعانقني؟

وشاهدت جوليت وتجمدت جبهتها، وأدارت عيناها إلى درو.

ـ حبيبي.. هل كنت تسلي نفسك في غيابي؟

ـ جوليت، هذه كاميل وابنغارد، كاميل، هذه جوليت بورن، انها صديقة العائلة.

ـ صديقة العائلة فقط، ولكن يا حبيبي. لم تحدثني عنها من قبل.

وتفحصت عيناها جوليت، من قدميها، الى بلوزتها الرقيقة، الى شعرها المشعث قليلاً، وهذا الوجه الذي كان يرفض الابتسام، كان بيضاوياً، وكسته المساحيق بوفرة، والشكل من كتفيها نزولاً، يغري أي رجل. والشعر الأشقر

المسدل حتى رقبتها، والثياب المكشوفة التي ترتديها كانت مصممة لأن تجتذب أكثر من اهتمام الشمس. وخاطب درو كاميل.

ـ اذهبي الى بركة السباحة، سأوصل جوليت إلى منزلها.

وخرج الصوت من جوليت مثل ورقة الخريف الجافة.

ـ الأمر لا يهم يا درو، سأذهب بنفسي.

وامسكت كاميل بذراعه وقالت «لقد سمعت ما قالت يا حبيبي».

وبدأت جوليت تنزل الدرج، ولكن درو جذب ذراعه من كاميل ووضع اصابعه على كتف جوليت، وأدارها. كان في عينيه نظرة غريبة لم تثق بها. وقبل ان تمضي ثوان كانت عدم ثقتها مبررة. فقد انحنى درو عليها و.. عانقها بحرارة. وصاحت «ماذا تعتقد أنك...؟» وقطع كلامها بوضع يده على فمها، وشد عليها أكثر معانقاً. وقال:

ـ شكراً يا حلوتي، على هذه الرفقة الممتعة. لا تتركيني أنتظر طويلاً قبل ان تزوريني ثانية. أرجوك.

وجرت جوليت نفسها نازلة الدرج حتى لا يعود يصل اليها. ما هذه اللعبة التي لعبها؟ ونظرت إلى خلفها لتجد كاميل وقد لفت ذراعها حول رقبته قائلة «ماذا تحاول أن تفعل يا حبيبي؟ اتعطيني إشارة لأن اتركك؟».

ومن زاوية عينيها، لمحت جوليت الاسدين الحجريين ينظران كما على الدوام إلى البعيد، وكأنما لم تحدث أية كارثة. ولكنها حدثت، لقد عانقها درو مرتين، وكانت ترغب في المزيد.

وأدخل درو كاميل إلى المنزل ثم أغلق الباب، وعندما نظرت جوليت نظرة أخيرة إلى المدخل، كانت مستعدة لأن تقسم أنها رأت شبح ابتسامة على وجه الأسدين الضخمين.

٥ ـ التهمة

صباح يوم الاثنين، استدعيت جولييت إلى مكتب المدير، ماذا يريد الآن؟ كان يبتسم عندما دخلت ومد إليها يده يسترتها قائلاً:

ـ لقد نسيت هذه يوم السبت. النسيان عادة سيئة عند الوكلاء. عادة يجب أن تتخلصي منها.

وأخذتها منه وشكرته، وتابع كلامه مستفسراً:

ـ هل تمتعت برحلتك على الدراجة؟

ـ شكراً لك، وهل تمتعت أنت بـ...؟

ـ بصديقتي؟ أجل شكراً.

ـ في المرة القادمة، إذا رغبت في أن تجعل صديقتك تغار، اختر واحدة غيري. واحدة من مستواك الاجتماعي، وليس أنا!

وصفقت الباب خلفها وهي تخرج.

كان مندوب الميبع ينتظرها عندما عادت إلى قسم الأزياء، ودعته إلى الدخول إلى مكتب السيدة روز. وقالت له، وهي تتصرف حسب القول القديم بأن الهجوم أفضل من الدفاع.

ـ كنت أظن أن العادة المتبعة أن يحصل البائع على موعد قبل الزيارة.

ـ هذه نقطة لصالحك آنسة...؟

ـ بورن، جولييت بورن.

ـ ديرموت ادموند، من أزياء «فريسكو».

كما لا بد تعلم سيد ادموند، البوتيك الذي اشتري له البضاعة لم يفتح بعد. وليس عندي بضاعة بعد..

ـ وهذا يعطيني ميداناً حالياً؟ هذا جيد لعملائي ولمؤسستي! بما أنك تحتاجين إلى الكثير من البضائع، أظن أن أفضل شيء لك، أن تأتي إلى المصنع معي. إنه في ضواحي المدينة. ولدينا كل شيء ترغبين به هناك، أنت تعلمين أننا

متخصصون بتشكيلات الملابس المختلفة؟

ـ هذا ما أريده تماماً. لو تنتظرني إلى أن اتأكد من قدرتي على الذهاب معك.

وندمت على قولها هذا فوراً. لرجل له مثل خبرته، طلبها الإذن بالخروج يكشف له قلة خبرتها ويعطيه تفوقاً عليها. واتصلت بمكتب درو.

ـ الخروج معه إلى المصنع؟ أجل، أفترض أن هذا معقول. ولكن تذكري ما قلته لك، كلهم ذئاب، بطرق مختلفة. إنهم يسعون وراء مالك، إضافة الى اشياء أخرى. حافظي على مالك، فميزانيتك محدودة. اوه، و.. توقفي عن اللجوء اليّ لطلب الإذن فيما يتعلق بعملك، لا يجب أن تكون يدك مقيّدة، فأنت وكيلة الآن، فتاة ناضجة!

ـ هل تحدثت مع رب العمل؟ الإشاعات تقول إنه شيطان. لم أقابله من قبل!

عندما كانا يتجهان إلى المصنع عبر المدينة، أخذ يسأل أسئلة شخصية: هل لك صديق؟ هل عندك أوقات فراغ بعض الأحيان؟

كان المصنع حديثاً. بناؤه، الحديث الطراز، مثالي لمن يهوى التطور الصناعي. وغرفة العرض كانت مصممة بشكل رائع، بإضافة مناسبة لابراز جمال المنتوجات.

وتذكرت نصيحة درو، وأصرت على رؤية البضائع الرخيصة أولاً، واحتج البائع كما هو متوقع ـ درو كان على حق ـ ولكنها ربحت هذه الجولة.

منذ اللحظة التي عرض عليها أول قطعة ثياب، بدأت تعمل بإحساس التدريب الفني الذي تلقته عندما كانت تلميذة، وصنفت مجموعات الثياب إلى ثلاثة مجموعات: المؤكدة والمحتملة، والمرفوضة، ووجدت البعض من الصعب تصنيفه، وعندها فقط احتاجت إلى الخبرة التي تفتقدها. فهل يا ترى فشلت في إبراز «بعد النظر» الذي قال درو إنها تملكه؟

بعد ان انتهت من قرارها النهائي سجلت كل ما طلبته في دفتر طلبات رسمي، كما علّمتها السيدة روز أن تفعل، ناصحة إياها أن لا تعتمد على الذاكرة.

واحتفل بها مسؤولو المصنع، وخاصة ديرموت أدموند، الذي بادر إلى سؤالها.

- أنا حر الليلة من المواعيد، وأنت؟ هل تتناولين الطعام معي في مكان ما؟ اعتبريه بمثابة منحة لك على ذوقك الرفيع بالتعامل معنا.

ولم تجد اي ضرر في قبول الدعوة، وفكرت بمالكولم، ولكن لم يتزعج فهذه دعوة عمل. وفكرت بدرو، وكم تكلم عن أخلاق بعض الباعة. ثم قالت مؤكدة:

- اجل، إن وقتي حر.

- إذاً عند الثامنة مساء، اعطني عنوان منزلك لآخذك من هناك.

عندما عادت بعد الظهر، أخبرت السيدة روز أنها ستخرج مع ممثل المبيعات هذا، فقطبت جبينها وقالت:

- قد تسببين لنفسك سمعة سيئة يا عزيزتي، وأنت لا تعرفين الرجل، أليس كذلك؟

- ولكن عليّ أن أذهب لقد وعدته. ولكن المشكلة فيما ألبس، فليس لديّ ثياب سهرة.

- استعيري فستاناً من المخزن، هذا مسموح، طالما تعيدينه في الصباح. كلنا نفعل هذا بشكل غير رسمي. خذي جربي هذا.

كان فستاناً أحمر لماع، بقبة منخفضة وأكمام طويلة، واخذته جوليت إلى غرفة القياس. وحوّلها الفستان إلى فتاة أنيقة.

- قليل من الزينة على وجهك وستصبحين رائعة.

وسمعتا صوتاً خارج الغرفة، كانت إحدى المساعدات تقول «الآنسة بورن والسيدة روز في الداخل». وظهر درو عند الباب، وشاهدت السيدة روز نظرته الغاضبة وانسحبت من الغرفة تاركة جوليت لمصيرها.

- فستان من هذا؟ أهو لك؟

وجعلها الخرج تحمّر حتى ماثل لون بشرتها لون الفستان.

- لا يا سيد مايجور.

- هل ستشترينه؟

- لا سيد مايجور كنت أجربه فقط.

- ولأي غرض؟ هل تتدربين كعارضة أزياء لتزيدي مدخولك؟

كان واضحاً أن تفسيرها للأمر يجب ان يكون مناسباً، لذا أخبرته الحقيقة.

- كنت سأستعيره سيد مايجور، قيل لي إن هذا مسموح. لهذه الليلة فقط وساعيده في الصباح.

- من قال لك إن هذا مسموح؟

ولم تستطع البوح باسم السيدة روز فقالت «شخص ما، قيل لي إنه نظام غير مكتوب».

- هل سمعت هذا، فعلاً. إذاً هو «نظام غير مكتوب» وسأبطله بقرار مكتوب. أعتقد أنك تعرفين بماذا أفكر آنسة بورن؟ قد لا تعلمين أن السرقة على يد الموظفين هي إحدى المسببات لوجع الرأس عندي، وتلي مباشرة السرقات التي يقوم بها بعض الزبائن؟

وصمتت، غير قادرة على قول شيء قد ينجيها من اللوم الذي سيوقعه على رأسها. ولكنها أدركت كذلك أن صمتها لن يفيد. وغيّر الموضوع.

- الى أين أنت ذاهبة الليلة حتى تحتاجي لمثل هذا الفستان؟

- سأخرج لقضاء سهرة.

- مع من؟ مالكولم؟ هذا لن يعجبه. اذ يجعلك تدين شيئاً لم أستطع تحميله حتى الآن. سهلة المنال، رؤيتك هكذا تجعلني أتساءل إذا كنت مخطئاً.

- لم ارتكب جريمة سيد مايجور. جربت فستاناً فقط، كل الزبائن يفعلون هذا على الدوام. لا يمكن لك أن تفقد الثقة بي هكذا؟

- لا تغيري الموضوع. أين أنت ذاهبة هذا المساء؟

- للسهر، مع.. مع رجل، مع مندوب المبيع الذي زارنا هذا الصباح الذي أخذني إلى مصنعهم.

وتقدم منها وأمسك بقبة الفستان وكأنه سيمزقه وصرخ:

- أوه.. لا. غير معقول! إلا إذا كنت فعلاً راغبة في الإغراء؟ فإذا كان كذلك، فهناك رجال اقرب لك، تعرفينهم أكثر، ومستعدون للإغراء اخلعي هذا الفستان. انت لم توافقي على الخروج مع رجل لا تعرفينه فقط بل تفكرين بارتداء ثوب إضافة إلى أنه يجلب المشاكل، يعلن عنك «تعال خذني».

ـ ولكني وعدته. إنه يبدو لطيفاً، لقد قال إنه سيعلّمني بعض الأمور لأكون وكيلة مشتريات ماهرة.

ـ يا إلهي، هل أنت مولودة بالأمس؟ تقعين في هذه الحبائل؟ اركضي إلى روميو يا فتاة ليعلمك بعض حقائق الحياة.

وسار باتجاه الباب واستدار ليتابع:

ـ لا فائدة من جملك تقاطعين وعداً. سأهددك بدلاً عن ذلك. إذا خرجت لهذا الموعد في هذه الليلة أو أي ليلة أخرى مع أي منـدوب مبيعات، سأطردك. أفهمت؟

تلك الليلة هرعت إلى روميو كما اقترح عليها درو. وتركت لأمها مهمة الاعتذار وشرح سبب غيابها لدرموت ادموند.

وفي اليوم التالي وقفت هي ودرو ببراقيان عمال الكهرباء، وهم يثبتون الأضواء الملونة الدوارة في مكانها الصحيح، واعترض درو على شرائها أصلاً. وهزت رأسها وقالت «انها تجذب الزبائن كالزينة فوق قالب الحلوى، ألا تفهم ما اعني؟» وضحك «إنك تتكلمين كالمحترفين. اعتقد أنك ستقولين لي بطريقتك المثالية إنني أكبر سناً من أن افهم كل هذه الافكار الحديثة» واجابته «لقد قلتها عني».

ـ ضربة موفقة، كما يقول أبي دائماً. الحقيقة انني اجد صعوبة في أن أنزل الى مستوى زبائنك المحتملين.

ـ ها انت قد عدت إلى الخشونة.

ـ أنا رب العمل واستطيع ان أكون خشناً كما أحب!

وتركها وانصرف. واخذت تفكر. ماذا تستطيع ان تفعل بفرشاة وبعض الطلاء؟ ستشتري ما تحتاجه بنفسها حتى لا يتقدها درو للمصاريف غير الضرورية. ثم ستجعل هذه الجدران العارية تعود إلى الحياة. هذا المساء، ستبقى بعد الدوام، وتبدأ بالرسم. يجب ان ينتهي كل شيء الليلة وقبل ان تركب الواجهات.

والتقطت حقيبتها وسارت بسرعة عبر المتجر إلى أن وصلت إلى قسم الديكور. وابتاعت اربع علب طلاء وبضع فراشي. وطلبت من المساعدة

لفها، حتى لا تتهم بأخذها دون أن تدفع. وحملتها إلى البوتيك ووضعتها في الزاوية. ثم اتصلت بوالدتها لتبلّغها بأنها ستتأخر.

وعندما غادر آخر زبون وأقفلت الابواب، تنهدت براحة. وانتظرت الى أن قال لها آخر موظف وتصبحين على خير» وخرجت إلى المتجر الرئيسي لتتأكد أنها لوحدها. لا داعي للعجلة الآن، فلا يوجد أحد يراقبها. وأخذت إحدى الفراشي، وغمستها بالدهان ووقفت ويدها مرفوعة في الهواء، أيجب عليها ان تفعل هذا دون إذن؟ ولكن التردد لم يستمر اكثر من ثوانٍ. الفنان بداخلها، والرؤية التي تحملها في ذهنها لتغيير الجدران، تجاوزت كل القوانين والأنظمة. ورفعت الفرشاة ورسمت قوساً كبيراً باللون البرتقالي على الحائط المدهون بلون الكريم. ها قد بدأت، وشعرت بالثقة. وبدأت الجدران تبدو أجمل بعد كل ضربة فرشاة عليها. ولم تتبع اسلوباً محضراً سلفاً. وأخذت تؤالف الالوان، بقودها شعورها الداخلي والتعليم الذي تلقته عندما كانت تلميذة. واستغرقت في عملها أكثر من نصف ساعة قبل أن تشعر بالجوع ولكنها كانت مأخوذة بما تفعله حتى أنها نسيت كل شيء عن الطعام.

وسمعت صوتاً في المتجر الرئيسي، صدر من ثلاثة زوايا، كما يحدث عادة في الأماكن الفارغة، وتوقفت لتستمع. كانت أصوات أقدام، تقف وتتحرك. أو انها تزحف؟ وشحب لونها من الخوف وتوقف تنفسها. وبهدوء وضعت الفرشاة على العلبة، وتسللت نحو باب البوتيك. هناك رجل يقف خلف إحدى الواجهات في قسم العطور، إنه يلبس ثياب العمل، وكاد يغمى عليها من الارتياح، إنه احد الحراس «مساء الخير يا آنسة، المعلمين في وقت متأخر يا آنسة؟».

ـ لقد سببت لي الرعب ظننتك لصاً.

ـ أنا أقوم بجولتي المعتادة. هل ستبقين وقتاً طويلاً يا آنسة؟ يجب أن أغلق الابواب بعد نصف ساعة.

ـ ساكون قد أنهيت عملي. اعطني نصف ساعة. أهذا معقول؟

ورفع اصبعه بالتحية «أمر منصف، آنسة، عمت مساء، الآن».

وعادت الى عملها، وبعد خمس دقائق عادت لتسمع أصوات اقدام. هل عاد الرجل ثانية؟ لا، فهذه أصوات اقدام مختلفة. إنها خطوات سريعة

وحاسمة، يعرف صاحبها أين يذهب، وكانت بالتأكيد قادمة نحو البوتيك. واعترى قلبها خوف من نوع جديد وشعور بالذنب، من انها ستضبط. وخطت إلى الوراء دون ان تلتفت وصدمت علبة دهان فوقعت العلبة على أخرى فوقعت بدورها، وصرخت وهي توشك على البكاء «اوه، انظروا ماذا جرى؟»

ـ ماذا تفعلين بحق الشيطان ايتها الغبية؟

شخص واحد في الدنيا كلها يستطيع أن يخاطبها بهذه الكلمات، واستدارت لتواجهه.

ـ ماذا تعتقد أنني أفعل؟

ـ لأنني أعرفك جيداً، لا أجرؤ على التفكير؟ أترسمين على الجدران؟

ـ ماذا يبدو لك؟ والأرض الآن. إنها غلطتك. اتيت بسرعة وارعبتني مرة أخرى، الحارس أولاً، ثم انت...

ـ انتبهي لما تقولينه يا آنسة. لا تستطيعين التكلم معي بهذه اللهجة. فأنا لست مالكولم واتلنغ.

ـ اوه.. أنا آسفة..

واخذت تنظر الى الفوضى الحاصلة من انسكاب الطلاء بذعر وهي تمتزج كالوان قوس قزح، وتنساب على الأرض. كانت تعبة وجائعة، ولا تزال تعاني من تأثير صدمتين من الرعب.

ـ الآن ماذا أفعل؟ ما هذه الفوضى الحاصلة؟ وكل المال ذهب سدى.

وابتلعت دموعها ونظرت إليه. وشاهد التوسل اليائس في عينيها، وسمع الغنوط في صوتها. وخفف من حدة نبرته قائلاً:

ـ من الواضح أنه يجب تنظيفها أليس كذلك؟ ما هو نوع الدهان وما يذيبه؟

ـ الماء، إنه دهان مائي. ولكن من أين أجيء بالماء في هذا الليل؟ وممسحة وسطل؟

ـ لقد أرسلت الحارس إلى بيته لنتوي. لقد جئت عندما عرفت أنك هنا.

ـ وهل رأيته؟

ـ لقد أتى ليراني، وقال إن هناك امرأة شابة، وهو مرتاب بها ويظن أنها تنوي شيئاً.

ـ ماذا اعتقد أنني سأفعل؟ أسرق المحل؟ اذاً لقد اتيت لتلقي عليّ القبض بالجرم المشهود؟

ونظر الى بقعة الدهان وهي تتسرب على الأرض وقال: «سأحضر ما هو ضروري، وانت أبعدي ما تبقى من دهانك الثمين».

ونظر إلى الجدران «ما هذه الفكرة المجنونة، البقاء بعد ساعات العمل لتلطخي الجدران بالدهان. هل هذه فكرتك عن الجمال؟ وعلى حساب المؤسسة؟».

وشعرت بضغط كل ما مر بها ذلك اليوم فوق رأسها، وهبطت الى الأرض ووضعت يديها على عينيها. ولكن لهجته لم تتأثر فقال لها ضجراً:

ـ اذا كنت ستبكين يا جولييت، افعلي هذا بعد تنظيف الأرض.

وعندما عاد بحمل المماسح وسطل الماء قالت له:

ـ انا آسفة كنت فظة معك.

وهز كتفيه ورفع أكمامه «دعينا نكمل العمل الفني».

ـ لا، إنه ليس عملاً فنياً! انه التعب، والخيبة، والجوع.

ـ ألم تتناولي طعاماً؟ لا شيء منذ الغداء، لا عجب أن تتملكك الهستيريا لا يمكن لأحد أن يكون متعقلاً ومعدته فارغة. عندما ننتهي من التنظيف سنرى ماذا نفعل بهذا الخصوص.

ـ لن اتعشى معك.

ـ لم ادعوك للعشاء.

وقالت بسرعة «آسفة» وامسكت فرشاة ووضعتها في الماء، وعملا معاً بصمت لفترة. وعندما زال الدهان عن الأرض، تنهدت جولييت وضحك درو قائلاً:

ـ لو أن الموظفين يرونني الآن، مدير الشركة، جاثٍ على ركبتيه يساعد في تنظيف الاوساخ التي سببت بها موظفة مخبولة صعبة المراس في المؤسسة!

ـ قد اكون مخبولة في بعض الأوقات ولكني لست صعبة المراس. كيف تقول هذا عني؟

ووقف، وجذبها معه. «كيف أقول هذا عنك؟ لأنك فعلاً صعبة المراس. انت فوضوية يا فتاتي. أنت تعصين كل القوانين، أنتِ ترفضين الاعتراف باي

شكل من أشكال السيطرة، وتؤمنين بالثورة، من أجل الثورة فقط».

وامسك بذقنها بيده، وبالاخرى خصلة شعر من مؤخرة رأسها وجذبها إلى الوراء «إذا لم تنتبهي لتصرفاتك، سأقوم بتصرف متطرف معك» واقترب وجهه منها اكثر، وعيناه تتفحصان عينيها. ولكنه رأى التعب، ولمحة الخوف التي لم تستطع اخفاءها، فأسقط في يده.

واستدارت متبعدة عنه، وقد أحست بخيبة مريرة، وبها رغبة شديدة لأن يضمها، لتشعر بالراحة من تعبها ومن ذلك الشعور الملازم لها بالفشل، وكأنه افعى ترفع رأسها استعداداً للسع عند أول حركة.

ـ هل ترغبين في بعض الطعام؟

ـ لا.. شكراً. اظن أن أمي ستكون قد حضّرت لي الطعام عندما أعود الى المنزل.

ونظر إلى ساعته «سأوصلك». «لا، شكراً» وخرجت منها الكلمة سريعة جداً لتكون مؤدبة.

ـ حسناً.. حسناً. لقد كنت أعرض عليك الأمر فقط. في الواقع أنا مستعجل.. وانزل أكمام قميصه وزررها. فسألته، وهي تعلم منذ لحظة أن نطقت أن السؤال وقع «هل هي كاميل؟» وأجابها بلهجة قصد منها ازعاجها «اذا أحببت أن تعرفي.. نعم». ومد يده ليأخذ سترته المعلقة، ولكنه أرجعها وهو يقول «اللعنة! هناك بعض الدهان على كم القميص». ومد يده وكأنه يسألها ما العمل. وضحكت «تماماً مثل اي رجل لا حول له! سأزيلها لك. ماذا يفعل الرجال دون النساء؟» واجابها «ولا أعلم!» وامسكت بقطعة قماش وبللتها بالماء. وتابع قوله «لم أجد نفسي ابداً دون امرأة». ومد لها يده بابتسامة ساخرة، وبدأت تمسح لطخة الدهان عن كمه، وهي تمسك بيده. وشرد نظرها بأصابعه، وقاومت رغبة مجنونة لأن ترفع راحة يده إلى وجنتها، ولتمررها على وجهها. وارتعدت مما جرّتها أفكارها إليه.

وقالت، وهي تجاهد للاحتفاظ برباطة جأشها «ستتذكر لك صديقك إذا اخذتها الى العشاء وقميصك ملطخ بالدهان، أليس كذلك؟».

ولم يرد عليها، ونظرت إليه. وهي تبتسم لتلاقي بسمته. ولكنها لم تجده يبتسم، بل وجدت تعبيراً جاداً على وجهه لم تشاهده من قبل، ومالت

الابتسامة على شفتيها. والتقطت أنفاسها. ماذا ينوي أن يقول؟

لا شيء، كما يبدو. وبدلاً عن ذلك قطب جبينه وجذب يده بحركة تدل على نفاذ الصبر وقال «شكراً، هذا يكفي. سأغير القميص عندما أصل إلى المنزل» وارتدى سترته، ونظر الى ساعته ثانية وقال «يجب أن أذهب. وانت ايضاً. أريد إقفال الأبواب».

ورتبت علب الدهان، ووضعت الفراشي في الماء، والتقطت اشياءها وسارت معه جنباً الى جنب نحو الباب. وقبل ان يتركها قال «اذهبي غداً الى الصندوق، وقدمي الوصل واستردي المال الذي دفعتيه ثمن الدهان. تصبحين على خير». وتركها وانصرف.

في الصباح التالي ذهبت الى عملها وهي سعيدة بشكل غريب. فلن يمضي وقت طويل حتى ينتهي العمل في البوتيك. حتى أنها قررت ما ستطلق عليه «فتاة مايجور». وتمنت ان يوافق درو على الاسم. خلال يوم او يومين ستكون واجهات العرض قد ركزت في مكانها.

عندما دخلت البوتيك سمعت نداء لها عبر الإذاعة الداخلية في المحل: «آنسة بورن. الآنسة جولييت بورن مطلوبة في مكتب مدير الشركة فوراً».

اول ردة فعل لها كانت السرور لأن درو يريد رؤيتها. ولكن وهي تستقل المصعد في طريقها اليه، تعجبت لماذا لم يتصل بالهاتف. ربما كان مشغولاً جداً. طبعاً هذا هو الجواب.

عندما دقت الباب ودخلت، كان يجلس وراء مكتبه. ورفع رأسه وكأنه ينظر الى شخص غريب.

ـ هل أرسلت بطلبي سيد مايجور؟

فاشار اليها لتجلس، وانتبهت إلى وجود شخص آخر معهما لم تشاهده من قبل. وعرّفها عليه درو «السيد كونينغهام، رئيس جهاز الأمن لدينا».

ضابط أمن؟ لماذا يظن أنها قد ترغب في لقاء ضابط أمن؟ واحنى السيد كونينغهام رأسه بالتحية دون أن يقف، أو يمد يده للسلام. بل أخذ يحدق بها متفحصاً، كما يفعل درو. ما بالهما؟ هل يظنانها مجرم هارب؟ هل هذه جلسة استجواب وهي المتهم؟

وعرفت الجواب عندما تكلم درو «خلال الليل، اختفى راديو ترانزستور

ثمين من قسم الآلات الكهربائية».

وقطبت جولييت وقالت «هل حدث هذا؟ آسفة لسماع الخبر». تعبيرها بدا ضعيفاً، ولكنها لم تستطع التفكير بشيء آخر لتقوله.

كلماته التي تلت، كشفت عن اتجاه تفكيره، بالرغم من استحالتها وإثارتها للحيرة.

ـ بما أنك كنت موجودة حتى وقت متأخر من الليل، كما أعرف هذا بنفسي، وبما أنك كنت لوحدك لفترة طويلة بعد مغادرة الجميع، أخشى ان تكون كل الظروف تشير الى شيء واحد... انك أنت المسؤولة عن اختفاء الراديو.

كان هذا اتهام مباشر، وشحب لون وجهها.

ـ انا المسؤولة؟ هل تقول لي الآن، فوق كل الإهانات التي وجهتها لي في الماضي، أنني سارقة؟

نظرة ضابط الأمن كانت مركزة، مشككة، ولم تفارق وجهها. ذراعاه مطوية، وزجاج نظارته السميك يبرز عينيه المحدقتين الى حجم مخيف. ونظرته تبدو كرجل يعتقد بالأسوأ بأي شخص يقف أمامه.

ـ «يا عزيزتي الآنسة بورن». لهجة درو الباردة المتصنعة كانت أقسى عليها من نظرات ضابط الأمن المتهمة إليها. «ماذا يفترض بنا أن نظن غير هذا؟ أنا اقول فقط إن الوضع هو هكذا. لا نستطيع تفسير كيف يقدر أي شخص آخر أن يكون مسؤولاً عن السرقة».

ـ ولكنك خرجت معي سيد مايجور. لو كان معي الراديو، كنت شاهدتني وانا أحمله، أليس كذلك؟

ـ لقد كنت تحملين كيس بضائع، وكيف لي أن أعرف ماذا بداخله؟

ـ ولكنني لم اكن الوحيدة في المبنى. كان هناك الحارس...

ـ السيد روبنسون مضى عليه سنوات يعمل لدينا. وأخلاقه وسجله ممتازان. وهو فوق الشبهات.

ـ وانا لست فوق الشبهات. فانا وافدة جديدة، متطفلة، بدون خبرة، لذا لا ثقة بي في هذه الظروف، وعليّ أن اكون مذنبة.

والتفتت بسخرية إلى ضابط الأمن، الذي بدا وكأنه لم يتأثر حتى ولو برهشة عين.

ـ إنه استنتاج مدروس ومنطقي يتوصل اليه رجل وظيفته فرض القانون، بإنصاف دون تحيز. إذا كنت واثقاً هكذا أنني الفاعلة، لماذا لا تأخذني الى قسم البوليس ليعتقلوني؟

وأجابها درو وبهدوء:

ـ في هذه المؤسسة آنسة بورن، لا نسوي الأمور بهذه الطريقة. وبكل رقة قلوبنا، نحاول أن نسهل الأمور قدر المستطاع على المتهم. وكما قلت لك سابقاً، السرقات التي يقوم بها الموظفون هي مخاطرة يجب أن تتغلب عليها كل مؤسسة. ونحن نأخذها على عاتقنا، ولا نركض إلى الشرطة كلما حدث هذا. لدينا وسائلنا لمعاقبة الموظف الذي نجده مذنباً بسرقة البضائع من المحل.. الصرف الفوري.

ـ ولا يملكون فرصة لتبرئة نفسهم؟ وتسمي هذا لطفاً؟ ما هذه؟ محكمة قانونية؟ اذا كانت كذلك، أطالب برؤية محامي على الأقل. أقصد محامي والدي. ولكن هذه ليست محكمة قانونية. حتى انها غير منصفة. الصرف الفوري! تقومون بهذا بسرعة ودون تفكير وكأنكم تصنعون القهوة الفورية. هل تسمي هذا عدلاً؟ اثبت أولاً أنني أخذت الراديو.. هيا اثبت!

ـ اثبتي أنت أنك لم تأخذيه آنسة بورن.

ـ انت تعلم أنني لا أستطيع ان اثبت شيئاً. لقد اتهمتني وأنا أنكر التهمة، وأقول لك... أنا لم افعل هذا...

ـ آنسة بورن، اذا أحضرت الراديو، وأعدتيه إلى القسم المختص، فقد نعيد النظر، في حالتك، في أن ننسى...

ـ أحضره؟ أحضر شيئاً ليس عندي؟

وجاءها صوت ضابط الأمن، يتكلم بحدة للمرة الأولى:

ـ ليس عندك؟ اذاً اين هو؟ هل اعطيته لشخص آخر؟

وصرخت بوجهه «الى ماذا تلمّح الآن؟ الى أنني عضوة في عصابة تتعاطى بالبضائع المسروقة؟» ورد عليها درو:

ـ لا تكوني حمقاء يا آنسة بورن. إنه يعني هل قدمتيه هدية لشخص ما، صديق، قريب، ربما؟ أنا اعرف تماماً، كما تعلمين، بالظروف المالية عندكم...

ـ هل تقول لي الآن إن عائلتي فقيرة لدرجة أننا لا نستطيع دفع ثمن راديو ترانزستور؟ الى أي مدى تصل قدرتك على الإهانة؟

ـ إنه راديو ثمين جداً آنسة بورن.

ـ هذا لا يهمني، ولو كان ثمنه مئة جنيه، فلن اوسخ يدي، هذا إذا لم اقل ضميري، بسرقة أي شيء من اي كان.. وخاصة.. وخاصة...

ولم تستطع ان تتلفظ بكلمة «انت» فقد علقت في حلقها، وجعلتها تشرق بالدموع. وعلمت من الانطباع على وجهها أن تلعثمها قد كلفها غالياً. فلو أن انكارها الغاضب قد أثر بها، فقد اخذ تأثيره عليها يزول بسرعة. وبدأت تقول «حسناً.. سأستقيل. لن تكون محتاجاً لصرفي من الخدمة» هذا الكلام يبرز ذنبها أكثر. وانتظرا منها ان تتكلم ثانية، انتظرا ككلبين ينظران إلى عظمة مليئة باللحم، انتظرا أن يصدر الاعتراف منها. وفتح الباب ودخل وارن:

ـ هل يتلطف أحد منكم ليقول لي ماذا يجري هنا؟ لقد سمعتها تصرخ واحب أن أعرف لماذا.

ـ لقد سرق راديو من قسم الأدوات الكهربائية.

ـ حسناً؟

ـ لقد كانت الآنسة بورن هنا بعد الدوام لبعض الوقت. ولقد توصلنا لسوء الحظ إلى استنتاج. وعليك ان توافق على أن لا بديل عنه، أن الآنسة بورن هي التي أخذته.

وقال وارن ببطء، غير مصدق «بكلمة اخرى، لقد سرقته؟» ومد اصبعه باتجاهها «لقد سرقته؟ لا بد انك مجنون!» ونظر إلى السيد كوبتنهام «أنتما معاً مجانين».

والتفتت الى وارن وهي تبكي «لقد بنيا اتهامهما على دليل ظرفي، يا سيد مايجور. كنت موجودة هناك، وكنت لوحدي، لذا فأنا مذنبة» وحاولت السيطرة على صوتها، فقد كانت مصممة على أن لا تبكي. «انا جديدة هنا، وغير مجربة، لذا فان اخلاقي تحت الشك، وكل هذا لأنني كنت تلميذة فنون، وكما يعلم الجميع...» وحوّلت سخريتها نحو درو «أخلاق تلاميذ الفنون لا يمكن التحدث بها» ونظرت ثانية إلى وارن «سيضحي بي على مذبح النظام، أنا بريئة، ولكنني لا أستطيع إثبات براءتي، إذاً يجب ان أعاني عقوبة المذنب،

الصرف الفوري. وليس أمامي فرصة للدفاع عن نفسي. فالنظام لا يسمح، يوجه الاتهام فقط، ولا يعذر، ولا يستمع للمنطق. وليس أمامي أية فرصة للإنصاف. لذا يجب أن أصرف من العمل بسرعة» واستدارت نحو درو وتابعت «كنت على حق، عندما قلت إنك دون رحمة، بل انت أسوأ، أسوأ بكثير. أنت ظالم، دون شفقة، وغير عادل و... وانت متوحش!» ولانها علمت في قرارة نفسها انها توجه الإهانات للرجل الذي تعرف أنها من عمق قلبها تحبه أكثر من أي شيء، بدأت تبكي، ولم تقدر أن تمنع نفسها.

والتفت ذراع وارن عليها، ومرة اخرى سعت الى العزاء على كتف الرجل الذي ربما كان، في ظروف مختلفة، سيصبح والدها. وقال، من فوق رأسها الذي كان يهتز من البكاء «وليكن عندك بعض الشفقة يا بني. اعطها فرصة لتبرهن عن براءتها» وجاء صوتها محنوقاً وهي تدفن رأسها على كتفه «شكراً لك، لإيمانك باستقامتي سيد مايجور، ولكني لا استطيع ان أثبت براءتي، أأقدر على هذا؟».

وساد صمت طويل، لم يقطعه سوى صوت بكائها، ثم قال وارن:

ـ على الأقل يُعدل الحكم الى صرف بعد فترة. يجب عليها ان تجد وظيفة اخرى. وانت تعلم تماماً، ان صرفها هكذا قد يقلل من فرصتها كثيراً وقد يجعل من المستحيل ان تجد وظيفة. فهناك مشكلة شهادة العمل مثلاً.

ـ تستطيع ان تستقيل.

ـ هذا لن يساعدها، أليس كذلك يا بني؟ فأي رب عمل يريد أن يعرف لماذا استقالت.

كان كمن يتوسل إلى رجل كان يدعي بفخر أنه قد جعل منه مثلاً له. وهو الآن يستعطفه ليظهر بعض الرحمة. بعض اللطف الذي اجبره متعمداً وبدقة على التخلي عنه. وبدا الآن حزيناً، مثيراً للشفقة وكأنما هو مستعد للتخلي عن كل شيء ليغير الماضي ويعيد تنشئة ابنه على اساس اكثر تسامحاً واكثر رحمة.

توسله هذا أثر على مدير الشركة، الذي بدا في عينيه رفق بنوي، على الرغم من قساوتها، فقال:

ـ سيبقى الصرف ساري المفعول. ولكنها تستطيع أن تبقى إلى أن تجد وظيفة أخرى. واذا استمر بقاءها هنا طويلاً، سأضطر إلى استخدام سلطتي

واصرفها في اي وقت ارى انه مناسب.

ودون أن يقول وارن اية كلمة اخرى قاد جولييت إلى الخارج. وربت على كتفها وقال «اذهبي الى غرفة الاستراحة يا عزيزتي. لا تعودي إلى عملك حتى تشعري بأنك مستعدة». وهزت رأسها وشكرته، وبينما هي تستدير لتذهب قال لها وكأنه لا يقدر على كتم السؤال «كيف حال أمك؟ هل هي بخير؟» واجابته «أجل، شكراً لك، كذلك أبي في الوقت الحاضر» وردّ عليها «نعم.. نعم والدك» وأشار إلى باب مكتب درو «بالنسبة للموضوع الآخر... ستجدينني حليفاً لك. لا تنسي هذا. سأحارب إلى صفك».

وابتسمت له بضعف، وشكرته ثانية وسارت نحو المصعد.

٦ - إني أكرهك!

وتم افتتاح بوتيك «فتاة مايجور» دون إعلان مسبق، ودون ظهور إعلانات في الصحف. كان مالكولم قد قال لها إنه على الرغم من الجهد القليل الذي بذله كارلوس في إنشاء بوتيكه الخاص، فقد احتل هذا مساحة كبيرة في الصحف للإعلان عنه. ولكن لأن جولييت كانت تحت فترة الإنذار بالصرف، فلم تهتم بذكر مسألة الإعلان. فلم يعد في قلبها مجال لحب المغامرة.

عندما اخبرت مالكولم عن قصة صرفها من العمل، أصبح غاضباً، حتى إنها بالكاد استطاعت أن تمنعه من الاتصال بدرو مايجور ليتشاجر معه. وقال لها:

- احصلي على وظيفة عندنا، فهم بحاجة الى مساعدة جديدة في البوتيك، أعلم أن مركزك سينزل من وكيلة إلى مساعدة صغيرة، ولكن هذا أفضل من لا شيء.

ولكنها قالت له إنها تريد أن تبتعد عن المنطقة، حتى ولو عنى لها ذلك أن ترحل. فهي ليست على خصومة مع وارن مايجور، ولكن مع ولده، ولم تستطع أن تقول لمالكولم ما تشعر به تجاه ابن وارن.

ولم تكن قد قالت لوالديها شيئاً حول الراديو المفقود. كانت ترغب في تجنيبهما الإهانة بمعرفتهما أن ابنتهما متهمة بالسرقة وأن إنذاراً بالصرف قد وجه اليها من مدير الشركة، ابن الرجل الذي كادت أمها أن تتزوجه.

في الصباح، افتتح بوتيك «فتاة مايجور» ووقفت جولييت تنتظر أول زبون، وهي تشعر أن جهودها، والمال المصروف على المستلزمات، والديكور والمودبلات، قد ذهبت سدى. وأدخلت فتاة شابة رأسها عبر المدخل، خائفة ولكن مستطلعة، وتطلعت بسرعة إلى البوتيك ثم انسحبت مثل طفل خائف من دخول غرفة مليئة بالغرباء.

بعد ساعة، دخلت امرأة شابة أخرى، بجرأة اكبر هذه المرة، وتجولت في

المكان، ولم تتطلع الى شيء خاص، مجرد نظرة، ثم اختفت كما فعلت الفتاة الاخرى. وبدأت جولييت بالقلق.

كانت الموسيقى، الخفيفة الكلاسيكية التي تنبعث من مكبرات الصوت، تضفي على المكان صبغة الطبقة الراقية، التي اكتسبها المتجر عبر السنين، على الرغم من مواجهته المنافسة القاسية من خصومه.

كارلوس كان دائماً يوجه اهتمامه الى نوع مختلف من الزبائن، وعلى الرغم من أن نوعية بضائعه كانت دون شك أقل بكثير من نوعية بضائع مايجور، ولكنه استطاع أن يحصل، ويحتفظ، بولاء الزبائن الذين لم يسمحوا حتى لظلهم بالمغامرة لدخول الجو الفخم للمتجر الآخر.

ربما هنا يكمن الخطأ. «الجو»، واستنتجت جولييت ان الجو هو الذي يرعب ويبعد الفتيات الشابات، اللواتي وعلى الرغم من أن البوتيك صمم وعرضت فيه الملابس خصيصاً لهن، وهن منجذبات اليها، إلا أنهن في نفس الوقت يشعرن بضرورة ابتعادهن عن مثل هذا المكان في مثل هذه المؤسسة «الضخمة».

وعلى الدوام كانت تلك الموسيقى، هذه الأصوات اللطيفة التقليدية التي تعود إلى عشرين سنة من الزمن، الى الوراء. لقد كانت هذه الموسيقى، كما فكرت جولييت، مناسبة جداً لباقي اقسام المتجر ولكنها غير مناسبة أبداً لنوعية زبائن «فتاة مايجور» التي تسعى لاجتذابهن.

وقررت جولييت، ان البوتيك يجب ان يكون له موسيقاه الخاصة. وفكرت، وهي تشعر بشعور لذيذ للانتقام، ان تكون هذه الموسيقى مرتفعة بما فيه الكفاية لتحجب ذلك الصوت المنبعث في الجو المكيف لباقي المتجر. هل تجلب معها راديو ترانزستور خاص بها؟ وجعلها التفكير بمجرد الكلام ترتجف. فقد ذكرها هذا بما حدث في مكتب درو عندما اتهمها بأنها سارقة.

إذاً لن يكون هناك موسيقى في البوتيك.

وبما أن لا شيء يشغلها، تحولت جولييت في المتجر الرئيسي، وراقبت بحسد كم أن زميلاتها منهمكات بالخدمة، ولف مشتريات الزبائن. وشعرت بالمرارة. وظائفهن مؤمنة، اما هي فلا. وليس هناك تهديد بالصرف مسلط على رؤوسهن كالسيف. ولعنت الساعة التي فكرت بها أن تبقى في ذلك المساء

السيء الحظ إلى ما بعد الدوام. لقد كانت ضحية حماسها وها هي بالنتيجة في طريقها إلى الطرد.

كل هؤلاء النسوة، بالفستان الأسود ذو الياقة العالية، لم يكنّ من الثائرات، مطيعات، يعملن في ساعات الدوام، ويذهبن إلى بيوتهن، وينسين كل شيء عن الوظيفة حتى الصباح التالي. أما هي، وبرغبتها الجامحة لإنجاح البوتيك، تطوعت لتعمل وقتاً إضافياً، وها هي الآن كبش المحرقة للسارق الحقيقي لذلك الراديو. وصدمها التفكير بأنه، او هي، ربما لا يزال يعمل حتى الآن دون ان يُكشف ودون ان يقلق.

وشعرت بالاستياء، لدرجة المرارة في فمها. ووضعت يدها على رقبتها ولمست بشرتها، كانت لا تزال ترتدي الثوب الاسود، وأتتها فكرة جديدة حول فشل البوتيك. إنها تلبس ثياباً لا تناسب. وهذا من السهل علاجه. وسيكون علاجاً سريعاً.

وعاودتها روح التحدي، دوافع الفوضى، كما يدعوها درو. وفتشت بين الملابس واختارت بنطلوناً ضيقاً قرمزي اللون، وبلوزة ضيقة متعددة الألوان، بأكمام طويلة وصدارية من الفرو الاصطناعي، ودخلت إحدى غرف القياس، وارتدت الثياب الجديدة، ووضعت فستانها الأسود في أحد الأكياس. وخرجت وهي تبدو كواحدة من زبائنها. واتكأت على مدخل البوتيك، وبدأت تسمع الهمسات الآتية من الموظفات الأخريات، بنوع من السرور.

لم تمض سوى عشر دقائق لتنجح استراتيجيتها. وأتت الزبونة الأولى، ثم الثانية. وبدأ الزبائن بالتوافد.

منذ تلك اللحظة، لم تتوقف «فتاة مايجور» لتنظر الى الخلف. واستمر تدفق الزبائن لما تبقى من ذلك الصباح، كلهن شابات، على الرغم من أن بعضهن تجاوزن العشرين. ولم تتح لجولييت حتى فرصة تناول قهوة الصباح. وخلال استراحة الغداء أصبح العمل نشطاً أكثر. وعملت جولييت لوحدها، فلم يكن معها مساعدة، وكانت تفكر بشوق بستدوبشاتها، ولكنها لم تجد الفرصة لتناولها.

وفكرت أن تطلب من إحدى المساعدات أن تحل مكانها لعشرة دقائق، ولكنها تخلت عن الفكرة. فالنساء وحدها تعرف كم من الضرر قد يسببه وجود

واحدة بمثل هذا الثوب الرسمي والشفاه المزمومة.

بحلول بعد الظهر، واجهها المدير العام السيد هارفنغ، في وقت ما بين غياب الزبائن:

ـ لقد وصلتني شكاوى من باقي الموظفات، من أنك تكسرين واحداً من أنظمة المتجر بهجرانك لثيابك الرسمية وارتداء ثياب غير مناسبة تماماً لمركزك. فهل تتكرمين بالعودة الى ارتداء ثوبك الأسود فوراً!

ـ ولكن يا سيد هارفنغ، ستكون هذه كارثة، لقد اثبتت بالبرهان أن من الضروري أن ألبس هكذا. لم تدخل أية زبونة إلى أن لبست هذه الملابس. فثوبي الأسود كان يخيف الزبائن.

ـ انا آسف آنسة بورن. الأنظمة وضعت لتطاع، وليس لتكسر. فإذا لم توافقي سأبلغ المسؤولين الأعلى!

المسؤولين الأعلى! هل عاودته نزعته العسكرية. كان يتحدث كضابط غير رسمي من الجيش. لقد اختار مايجور وابنه الشخص المناسب لتطبيق أنظمة الشركة، بإذعانه دون سؤال، وتطبيقه الصارم للتعليمات.

ولكن الآنسة بورن، وكجندي متمرد، رفضت، حتى ولو خاطرت بسجنها في الثكنة، أن تطيع الأوامر فقالت له:

ـ إذاً، سيد هارفنغ، يتوجب عليك أن تعلم رؤساءك الأعلى، لانني لن أغير ملابسي لأرتدي «لباس» المتجر الموحد.

وأصدر صوتاً قصيراً حاداً كأنه إطلاق نار من بندقية، واستدار على عقبيه، وسار في مشية عسكرية، مبتعداً.

بعد عشر دقائق، رن الهاتف الداخلي في مكتبها وأعلمتها السكرتيرة «السيد درو مايجور، يرغب في رؤية الآنسة بورن فوراً».

وردت عليها جوليت ببطء وكأنها تحدث اجنبياً لا يعرف اللغة جيداً:

ـ الآنسة بورن، آسفة جداً، لأنها لا تستطيع الاستجابة لطلب السيد مايجور. واذا فعلت الآنسة بورن ما يطلب منها، لن يكون هناك أحد، ولا أحد، لخدمة كل الزبائن المنتظرين في صفوف كي تقوم بخدمتهم.

وأقفلت السماعة، وهرعت خارج مكتبها لتقدم الخدمة لمجموعة من الفتيات دخلن المحل، ومالهن في يد ومشترياتهن في الأخرى، وهن ينتظرن

بصبر الاهتمام بهن.

ودق جرس الهاتف ثانية، وتركته يدق إلى أن لم تعد تتحمله، وصرخت في السماعة «نعم؟» وجاءتها نفحة صوت مدير الشركة العنيفة الرتيبة «آنسة بورن؟» ولم تترك له فرصة متابعة الكلام فقالت «أنا آسفة سيد مايجور، ولكن من المستحيل عليّ أن أترك البوتيك، ولا يمكنني أن آتي لرؤيتك» وأقفلت السماعة وعادت إلى المحل. ودق جرس الهاتف ثانية فدخلت المكتب ورفعت السماعة وتركتها على الطاولة، وعادت لخدمة زبائنها.

بعد ثلاث دقائق، دخل درو مايجور، وبدا عليه الذهول من الحشد، وبحث عن الوكيلة، ولكن كان من الصعب تمييز أحد بين هذا الجمهور من الفتيات الملونات، واخيراً وجدها، وحدق بها، ولم يصدق عيناه، واستدار على عقبيه، كما فعل من قبله السيد هارفنغ وذهب.

وقالت لنفسها بسرور «الجولة الاولى والثانية لي، لا يستطيع طردي لأنني تحت مدة الإنذار».

وأقفل المحل أبوابه عند الخامسة والنصف. وفي الخامسة وأربعين دقيقة كانت آخر زبونة تغادره. وبعد خمس دقائق، عندما كان جميع الموظفين يستعدون للخروج، جلست جوليت لتتناول غداءها. وصدر إصلاح من مكبرات الصوت، واضح وجلي، وتردد ثلاث مرات «هل للآنسة جوليت بورن أن تذهب إلى مكتب مدير الشركة في الحال» واستمرت جوليت في تناول الطعام. سوف تنهي ستدويشاتها ولو اختنقت.

عندما وصلت أخيراً إلى الطابق السادس، ووقفت وباب درو لا يبعد سوى بضع إنشات عن وجهها، بدأت شجاعتها تذوب مثل «الآيس كريم» الذي ترك طويلاً. وصدمها شعور بأنها أذنبت لعدم إطاعتها الأوامر العليا، ولو أنها لم تكن تحت الإنذار، لطردها فوراً. ولكنها كانت قد ذهبت بعيداً، ولم يعد هناك مجال للعودة الآن. ودقت الباب وتلقت الأمر بالدخول. وسمرتها نظرته في مكانها، وكأنه كان يوجه مسدساً الى رأسها، واي تحرك خاطيء سيطلق النار عليها.

ـ أريد ان أعرف، لماذا، وخلال الساعة والنصف الماضية، لم تطيعي عن عزم وتصميم، تعليماتي المتكررة لتأتي الى مكتبي. وبما أني أشعر الآن أني

أرغب في أن أجعل منك لحماً مفروماً، يجب أن يكون التفسير جيداً.

وأجابته وقد هجرتها شجاعتها، كصديق ينقلب الى خائن:

ـ التفسير بسيط، فأنا لم استطع أن أترك البوتيك دون أحد يخدم الزبائن فيه. حاولت أن أقول هذا لسكرتيرتك، ولكنها لم تفهم الرسالة.

ـ لقد تسلمت الرسالة، وهي أن الانسة جوليت بورن ترفض بجلاء أن تفعل ما يطلب منها وأن ليس لديها النية في إطاعة تعليماتي.

ـ إذا رغبت في أن أسرع لتوني في الاستجابة لأوامرك، يجب اذاً تعيين مساعدة لي.

ـ اوه.. هل أنت بحاجة لمساعدة؟ ومن اين يأتي المال لدفع راتب مثل هذا الشخص؟

ـ من جيب المؤسسة، كما أعتقد. انا متأكدة، عندما ينجح البوتيك، فإن الارباح ستبرر وجود مساعدة لي. لم يكن لديّ وقت لاحتساب مدخولي اليوم، لقد سلمت المال للصندوق وأنا في طريقي إلى هنا، ولكن عندما تعرف المبلغ حتى انت ستضحك لضخامته.

ـ بعد التعامل معك، يلزمني الكثير لأضحك.

ونظر إلى ملابسها ساخراً، وعرفت إلى أين ستقوده افكاره فقالت «سيد مايجور» وكان في صوتها رنة توسل كان من الممكن أن تؤثر في رئيس مجلس إدارة الشركة ويعطيها أي شيء تريده، ولكن بدا أن مدير الشركة لا يتزحزح، كسلسلة من الجبال. «أنا جادة حول موضوع المساعدة. لقد عملت دون توقف طوال اليوم، ما عدا ساعة في الصباح لم يكن لديّ زبائن فيها».

وعلى الرغم من السندويشات التي التهمتها قبل أن تصعد لتقابله، فقد بدأ الجوع يؤثر عليها. وتطلعت حولها لتجد كرسياً «هل من مانع في أن أجلس؟» فهز رأسه بالإيجاب وقال «حتى ولو كانت هذه خدعة لتجعليني أدرك كم انت فتاة عاملة وتعبة».. «نعمي حقيقي» وغرقت في الكرسي قبالته «لم أستطع أن آتي فوراً لمقابلتك لأني كنت أتناول غدائي»...

ـ الغداء؟ الغداء في الساعة السادسة إلا ربع؟

ـ وهذا السبب أريد ان يكون لي مساعدة.

ـ لا ارى أي سبب يمنع من ذلك. من الأفضل ان نبدأ بتدريب شخص

آخر منذ الآن ليحل محلك.

كان يجب ان تعلم أن هناك شيئاً قذراً عند النهاية وصرخت به:

ـ كيف تستطيع أن تكون بارد الأعصاب هكذا.. لفكرة تركي العمل؟

ـ وهل نسيت الراديو المفقود؟

ـ وكيف انسى؟ أي انسان يُتهم بعمل شيء لم يعمله، ويعاقب عليه لا يمكن له ان ينسى الظلم الذي الحق به. أعدك من أعماق قلبي أني لن انسى، ولن اسامحك على عدم ثقتك بي.

وقطب جبينه، وأخذ ينظر الى راحة يده، وكأنه يقرأ خارطة عليها. ثم غيّر الموضوع وأشار إليها «هذه الملابس.. لن تستمر هذه المهزلة بعد الآن».

ـ هذه «المهزلة» كما تسميها كانت الطعم الذي جلب كل الزبائن، لساعتين او ثلاثة كنت واقفة في البوتيك دون عمل، وانا أبدو لطيفة ومهذبة بثوبي الأسود، ولكنني لم أبع شيئاً. حتى غيّرت ملابسي لهذا الزي. فبدأت الفتيات المارات، بالتقاط الطعم، ثم بدأت عجلة العمل تدور.

ـ معقول جداً آنسة بورن. واهتك على مجهودك ليبع نفسك لي. لا تسيئي فهمي، اعني بالكلمة المعنى العملي الصرف. ولكنك تصبين كلماتك في آذان صماء. فهذه الملابس، عندما تشاهد بالمقارنة مع باقي موظفات المتجر، هي خارج مكانها الاصلي، وابتداءً من الغد، وهذه تعليمات مباشرة من القمة، ابتداءً من الغد ستعودين لارتداء الثوب الأسود أثناء الوظيفة. وإذا لم تطيعي فسوف أطردك، ويستطيع والدي التدخل قدر ما يشاء فلن يؤثر عليّ، أفهمت؟

ـ ولكن يا سيد مايجور، يجب أن البس ثياباً كهذه. فمنظر الثوب الأسود الكريه الذي كنت أرتديه اخاف الزبائن. لو ذهبت الى اي بوتيك لوجدت البائعات يلبسن من نفس نوع الثياب التي يبعنها.

ـ هذا الثوب الأسود الكريه يا آنسة بورن هو الزي الرسمي للمتجر وانت لست بائعة عادية، أنت وكيلة، أي درجة معتبرة فوق مركز البائعة. لذلك، وكما كل الوكيلات، وعلى الرغم من تغييرك ملامح الثوب، فسترتدينه!

إنها الحرب، ووقفت لتواجهه «انا آسفة سيد مايجور، لن أرتدي ذلك الثوب، وإذا أجبرتني، سأترك العمل فوراً، ولكن قبل أن أذهب..»

أصابعها كانت تمسك بطرف الطاولة، وقد اصبح لونها أبيض بسبب الضغط الذي كانت تضعه عليها، وجهدها لاخفاء غضبها كان يستنزف اللون من وجهها وتابعت كلامها وقد رفعت يديها ليراهما «بيدي هاتين، سأحطم اليوتيك وأحوله الى قطع متناثرة».

ووقف، وهو يتنفس بصعوبة، وشقتاه مضغوطتان، وتابعت كلامها «وسأمزقه قطعاً، كما مزقت تلك الرسومات التي لم تسمح لي بتعليقها على جدران غرفة التسعير، وكما مزقت تقريباً ثوبي الأسود بعد اعتراضك عليه».

ـ اذاً انت تتحديني، أليس كذلك؟ بتهديدك بالعنف تظنين أنك ستكسبين.

واستدار من خلف الطاولة ببطء وتابع «لو انك لم تكوني أكثر امرأة فاسدة مجردة من الأخلاق والمبادىء، ومن دون خجل قابلتها في حياتي، لما تجرأت على أن تتحديني».

كانت عيناه تقذفان عينيها، غير مبال، وهو في حالة الغضب هذه، بوجهها الذي أصبح أبيض اللون، ولا يرى أمامه سوى عنادها، وتحديها، وروحها المشاكسة غير القابلة للتحطيم، ورفع ذراعاه وكأنه لم يعد قادر على كبح نفسه عن تحطيم تلك الروح بيديه، وتراجعت بخوف.

ـ من الأفضل أن تخرجي من هنا آنسة بورن. من الأفضل أن تخرجي بينما لازلت قادراً على السيطرة على نفسي.

ولكنها استمرت في تحديه، في محاولة أخيرة للتفاهم معه.

ـ هل ستسمح لي بارتداء هذه الملابس؟

ـ اخرجي من هنا!

وأخذها من ذراعها، وقد أفلتت أعصابه من السيطرة وأجبرها على الرجوع إلى الخلف نحو الباب. وتعثرت وكادت تقع، واسندها بخشونة، وبدأت تقاوم ضغط يديه، وبدأت يداه تضغطان في لحمها. وصرخت من الألم. وفتح الباب ودفعها خارجاً الى الممر.

وأخذت تبكي من الخيبة والغضب، من اليأس والإذلال. وفتح باب آخر وظهر وارن. واستدارت إليه بتهور. ولكنه كان يحدق بابنه.

ـ ماذا حدث الآن يا درو؟

ولكن جولييت لم تترك لدرو فرصة الرد فقالت بصوت منخفض ومنفعل:

ـ انا اكره ابنك سيد مايجور، أنا اكرهه كما لم أكره كائناً بشرياً في كل حياتي!

ـ ماذا يجري يا بني؟ ماذا فعلت لها؟

ورد درو ووجهه شاحب مثل وجه والده تقريباً.

ـ ماذا فعلت أنا لها؟ يا إلهي، ماذا فعلت هي لي، وليس العكس! وهربت جولييت منهما.

في الصباح التالي، ذهبت إلى عملها بالثوب الاسود. ووجدت على طاولتها دعوة، على شكل مذكرة من مدير الشركة، موجهة الى جميع موظفي مايجور، لافتة نظرهم إلى أن الحفلة السنوية للمتجر سوف تجري في منزل آل مايجور بعد اسبوع، وتدعو الجميع إلى الحضور، مع أزواجهن، او زوجاتهم أو اي شريك آخر. وقذفت بها على الطاولة. فهذه دعوة لا تنوي ابداً أن تقبل بها. واخرجت الثياب التي كانت ترتديها في اليوم السابق، من الخزانة. هل ستجرؤ على لبسها؟ ووضعت ثمن البلوزة والبنطلون في الصندوق، ثم دخلت غرفة القياس وارتدتها.

وانتظرت قدوم أول زبونة، وهي متوترة من التحدي، ووقفت عند المدخل كما فعلت في اليوم السابق، لتعطي أول زبونة القفة اللازمة. عبر المتجر شاهدت طيفاً طويلاً مألوفاً، يشق طريقه نحوها. وانسحبت بسرعة إلى داخل اليوتيك، وقاومت رغبة في داخلها لتهرب طالما لديها الفرصة.

ووقف في المدخل، وشاهد ثيابها، وأخذت عيناه تتحركان ببطء على البلوزة الضيقة التي تكشف عن تفاصيل جسمها، ثم انخفضتا نحو البنطلون المماثل في ضيقه الملتصق بردفيها وساقيها.

كانت عينيها متسعتان من التعب، فلم تكن قد نامت جيداً في الليلة السابقة، وغادرت المنزل دون تناول الإفطار. ورفعت يداها، وراحتيها إلى فوق، وكأنها تستجديان، وحدقت به على أمل أن يلين. لم تكن تدري ماذا تفعل لو أنه لم يفعل. على الأرجح ستستلم اشياءها وتعود إلى المنزل. وقال لها:

ـ أتمنى، بمجرد أمنية، لو أستطيع وضعك على ركبتي، سأضربك ضرباً تتذكريني به طوال حياتك!

واستدار ومضى. وجلست على أقرب كرسي لها، وهي تشعر بضعف

LILLAS.COM

ساقيها. بعد قليل بدأ الزبائن بالتوافد. يبدو أن الخبر قد انتشر بأن مايجور قد افتتح بوتيكاً جديداً. المارة لم يعودوا يمرون فقط واصبحوا يدخلون رأساً بكثافة وسرعة. وأسرعت جولييت إلى الهاتف واتصلت بمكتب درو، وطلبت التحدث معه. وغابت السكرتيرة فترة ثم عادت للتحدث معها قائلة «آسفة يا آنسة بورن، إنه مشغول» إذاً فهو لا يريد التحدث معها «هل تفضلين بإبلاغه رسالة؟ قولي له عن لساني أنني احتاج للمساعدة التي وعدني بها فوراً، وإذا لم يعين لي واحدة الآن، فإما أن أقفل البوتيك، او سأخرج إلى المتجر وأجبر إحدى الفتيات على مساعدتي».

وغابت السكرتيرة ثانية، ومن بعيد عبر السماعة استطاعت ان تسمع شيئاً وكأنه السباب. وعلمت أنه رد فعل من درو وابتسمت. وعادت السكرتيرة لتقول «يقول السيد مايجور، إنك طالما لا تختارينه هو، تستطيعين اختيار اي موظف من الموظفين في البناء. ويقول ايضاً، إنك لو طلبت من والده أن يعمل كمساعد لك، فهو متأكد أنه لن يمانع!».

وذهبت جولييت إلى قسم الخردوات. كانت تعرف أي فتاة تريد. كانت قد شاهدتها دائماً عند الصندوق، واعجبتها ملابسها المميزة، وذوقها ونظراتها، وكلها كانت تزيد في احتمال نجاحها كمساعدة في البوتيك.

واقتربت من الفتاة، التي تحيرت عندما سألتها عن اسمها «سيلينا فاوست» وشرحت لها جولييت، بكل لطف سبب حاجتها لها. وبرقت عينا الفتاة. وقالت «يجب أن تطلبي لي الإذن من مدير قسم الخردوات» وأجابتها جولييت «سأتدبر الأمر». وعندما اخبرت جولييت مدير قسم الخردوات بما تريد أبدى انزعاجه، ولكن بإصرارها، وبعلمه أنها اخذت إذناً من الرجل المسؤول، استجاب لما تريد. وتقدم من مديرة الموظفين لطلب مساعدة أخرى.

واثبتت سيلينا أنها جديرة بالاختيار. ونظرت إلى ثوبها الاسود الذي ترتديه، وتطلعت إلى ثوب جولييت بحسد، ولوحت جولييت بيدها نحو الرفوف وقالت «اختاري ما تشائين، طالما ليس مبتذلاً، وطالما ستدفعين ثمنه، ولو بالتقسيط».

وفتشت سيلينا بلهفة عما تريد ووجدته. ودخلت غرفة القياس وخرجت وقد تغيرت بالكامل. وأصبحت الحياة أسهل بالنسبة لجولييت، فقد استطاعت أن تستفيد من استراحة لتناول القهوة والشاي في أوقات معينة وان تأكل سندويشاتها وهي مرتاحة بينما تخدم سيلينا الزبائن.

بينما كانت تتناول غداءها ظهرت والدتها عند الباب. وأسرعت جولييت إليها وهي مسرورة: «لا تقولي انك قدمت لتشتري شيئاً من البوتيك يا أمي؟» وضحكت سينثيا «لا. لقد كنت أتبادل الحديث مع وارن في مكتبه لقد اتصل هذا الصباح ودعاني لإلقاء نظرة على بعض ماكنات الغسيل، التي وصلت حديثاً، ولم تعرض للبيع بعد. وهي لا تزال موجودة قيد التسعير في مكان خاص اسمه...

- غرفة التسعير.

- اجل هذا اسمها. إنها ستباع بأسعار زهيدة، ومن بينها واحدة او اثنتين فيها عيوب. وقلت إنني لا أمانع في العيوب طالما هي تعمل جيداً. وقال لي وارن إن بائع الجملة يكفلها، ولكن يجب عليه أن يخفض السعر أكثر لأنها من الصنف الثاني.

- وهل ستأخذين واحدة؟

- إذا لم يمانع والدك.

- ولكن الا تعتقدين أنه سيمانع بسبب من سيبيعك إياها؟

وتنهدت سينثيا «ارجو أن لا يفعل فمن السخافة أن يفكر هكذا. فوارن لا يعني لي شيئاً في هذه الأيام». وشعرت جولييت بالسعادة، والراحة من القلق الذي ساورها في المدة الأخيرة. فوالدتها لم تعد إلى حب وارن. ولكن كلمات أمها التالية أعادت إليها القلق ثانية «لقد دعاني وارن لتناول الغداء» وقطبت جولييت «وهل ستذهبين معه؟» وردت عليها «ولم لا؟». إن الدعوة في مطعم المتجر. سيكون من سعادتي أن أغيّر مذاق طبخي الخاص» وانحنت سينثيا وقبلت ابنتها «سأراك في المساء يا عزيزتي».

وخرجت سينثيا، وخلفت وراءها أثر عطرها، كان نوعاً نادراً ما تستخدمه، وأقلق هذا جولييت، وعاد إليها توترها حول عودة العلاقة بين امها ومن كان يوماً خطيبها.

عندما زارها مالكولم ذلك المساء، أخبرته جولييت عن ماكنات الغسيل التي حصل عليها مايجور. ولم تهتم بتحذيره لإبقاء المعلومات مكتومة فهي لم تعد تهتم. وأحست باهتمامه من الاسئلة التي طرحها. واجابته «لا استطيع إعلامك باسم بائع الجملة. واذا أردت معرفته عليك ان تفتش عنه بنفسك». واجاب «سأفعل يا عزيزتي، كوني على استعداد لرؤيتي الجول في وقت ما

كزبون مهتم ببضائع مايجور، سأبذل المستحيل لاعرف اسم البائع». وهزت كتفيها بعدم اكتراث. «يجب أن أحصل على وظيفة أخرى وأنا أبحث في الإعلانات في الصحف، ولكنني لم اجد شيئاً مناسباً بعد. فكل ما اجده مناسباً اجد راتبه أقل مما أحصل عليه عند مايجور. وهذا سيكون خسارة لمدخول العائلة».

وبينما كانت جوليت تمر أمام واجهات المتجر في صباح أحد الأيام، قررت أن الوقت قد حان للحصول على اعلان للواجهة. وعندما وصلت وغيّرت ملابسها طلبت من سيلينا أن تستلم العمل عنها لفترة.

ـ انا ذاهبة إلى الطابق الرابع، إلى القسم الفني، سأتعارف مع نوعي الخاص.

عندما دقت باب القسم، لم يرد عليها أحد، فدخلت. وعلى الطاولات الطويلة وحالات الرسوم. كان يتشر شبان وشابات في ثياب غريبة. وأخذت تراقبهم وهم يفرشون اللفافات ويقيسون، ويرسمون. كانوا يعملون على رسم إشارات عليها تعليمات، وكتابات عن بضائع جديدة للإعلانات في الصحف. وتجولت بينهم وهي تراقبهم يعملون. وهي تشعر بالحنين لما تخلت عنه في مدرسة الفنون. وشاهدت مجموعة صغيرة منهم يعملون على كتابة بعض الشعارات، والتقطت انفاسها. كان احد الشعارات يقول: «اشتر من عند مايجور» والأخرى «تحصل على أكثر، بمال أقل من عند مايجور» و «تنزيلات مايجور». انها شعاراتها، افكارها لتحديث المتجر! إذاً، اقتراحاتها لإعطاء المتجر مظهراً جديداً، لم تقع على آذان صماء. لقد أخذها درو بشكل جدي، وقريباً سيبرز مظهر جديد لمتجر جديد من الصيغة القديمة، متجر بمظهر شعبي أكبر، يلعب لعبة كارلوس، وربما يغلبه فيها!

وسألت أحدهم «ما كل هذا؟» وهز كتفيه «تعليمات من فوق، هم يأمرون ونحن نطيع» ثم رفع رأسه وحدق بها، لم تكن نظرة ودودة ولا كلماته كانت كذلك «ماذا تريدين؟» واجابت «أريد طلب اعلان للواجهة» فاشار باصبعه نحو الباب «قسم العرض، الباب الذي يلي».

قسم العرض كان مختلفاً. من في الغرفة مجتمعين على شكل دائرة، كلٌ يتكىء على أقرب شيء له ويتحدثون. وشاهدوها فور دخولها. وسُئلت مرة ثانية عما تريد؟

واجابت «بعض الإعلانات للواجهة» اثنان من الشبان انفجرا بالضحك، وثالث، وقال احدهم «لا بد أنك تمزحين، يجب أن تأخذي مكانك في صف الانتظار» وسألت فتاة «وما هو حقل عملك؟» واجابت «البوتيك» فقالت الفتاة «والذي افتتح مؤخراً؟ لديك بعض الأمل. هناك حوالي دزينة من الطلبات مثلك. قسم الجردوات لعرضهم الجديد. قسم المعاطف لتخفيضاتهم الجديدة. والملابس الداخلية، والاحذية، وقسم المفروشات... هل أتابع؟» وقالت جوليت وهي مقطبة «ولكن، يجب أن أحصل على إعلان ما. كيف سيعلم الناس عن البوتيك الجديد، اذا لم أضع إعلاناً على الواجهة؟». وقال أحد الشبان «اوه.. ستحصلين على ما تريدين، بعد ثلاثة أشهر على الاقل».

ثلاثة أشهر؟ ستكون قد تركت العمل في ذلك الوقت: «ولكن هذا أمر سخيف؟».. «أوافق معك، ولكن هذا هو الواقع»... «لديّ بعض الأفكار الجيدة، اريد تجربتها قبل... قبل» ولم ترغب في إعلامهم أنها ستترك «في أقرب فرصة ممكنة» وتنهدت الفتاة قائلة «من منا ليس لديه افكار جيدة. تخلي عن الفكرة يا عزيزتي» وتناولت دفتر ملاحظات وقلماً وقالت «سنسجل طلبك في اللائحة، سنراجعك بعد، لنقل، عشرة اسابيع، ونبحث الأمر، فيما بيننا. وبعد أسبوعين أو ثلاثة، مع شيء من الحظ، قد تحصلين على ما تريدين». وقالت جوليت باختصار «شكراً».

كانت تجلس في المكتب تتناول سندويشاتها في استراحة الغداء، عندما دخل مالكولم إلى البوتيك، وسمعت صوته، وعندما انضمت اليه وجدته ينظر إلى سيلينا نظرة حكم مهتم في مباراة للملكات الجمال.

ـ مرحباً، لم اكن أعرف أن لديك عينان جوالتان يا مالكولم.

ـ مندهشين مما حصلت عليه يا عزيزتي.

رد عليها وعيناه لا تزالان معلقتان بمساعدتها. وكان واضحاً ان سيلينا تجاوبت معه، فابتسمت وقالت «اسمي سيلينا، ما اسمك؟» والتفت الى جوليت «هل أقول لها؟ أم أن الأمر سري؟» وهزت جوليت كتفيها «قل لها إذا شئت، فنحن صديقان فقط، أليس كذلك؟» واشار برأسه الى جوليت وقال مخاطباً سيلينا «لا تهتمي بها، إنها تظهر الأمر اسوأ مما هو في الواقع». ومد يده مسلماً عليها «اسمي مالكولم. أنت جديدة هنا؟».

ـ «أنا جديدة في البوتيك، ولكن لست جديدة عند مايجور. لقد نقلتني

الآنسة بورن من قسم الجردوات».

ـ آنسة بورن؟ بكل وقار، أليس كذلك يا عزيزتي؟ .

وقطبت جوليت وأظهرت غضبها «من المفترض أنني هنا وكيلة، والآخرون يظهرون الاحترام للوكلاء، حتى ولو لم تظهره أنت». فرد عليها مالكولم «بما في ذلك الوكلاء المؤقتون؟» وجلس على كرسي ووضع رجليه على إحدى الواجهات المستديرة. فصرخت به جوليت «ما بالك؟ أتسعى لإظهار نفسك؟» فابتسم مالكولم وعرض عليها سيجارة، فقالت «أنت تعلم أنني لا أدخن، ولا سيليا كذلك، ولا أي من موظفي مايجور أثناء العمل» وهز كتفيه واشعل السيجارة واطلق الدخان «نشير بن إلى أن موظفي كارلوس يفعلون؟ وإذا كان كذلك؟ حتى ولو كان في غياب الإدارة».

ودخلت فتاة تجر صديقها خلفها، وتردد بالدخول، عندما شاهد مالكولم، ثم تشجع ودخل. وبقي مالكولم حيث هو، ورجلاه ممدودتان إلى أعلى، وراقب الشابان وهما يجولان بين البضائع. وتناول الشاب بنطلوناً ووضعه قرب جسمه، وسأل صديقته عن رأيها. وشعرت جوليت بالسعادة، هل ستحصل على أول زبون لها من الرجال؟ واشترت الفتاة تنورة طويلة واشترى صديقها الشاب بنطلوناً. وعندما غادرا قال مالكولم:

ـ انت مدينة لي بالعمولة يا جوليت. لو لم أكن هنا، لخاف صديقها من الدخول الى هنا.

ـ لم اثبت على كل الأحوال؟ لتتجسس على قسم الأدوات الكهربائية كما قلت؟

ـ اجل.. لأجل هذا، ولأقول لك إنني أحبك... وأمسك بيدها.

وسمعت اصوات اقدام، ووقف درو مايجور على المدخل، ولم يترك مالكولم يدها، بل وضعها على خده، وستر درو عيناه عليها «آنسة بورن اذا اردت ان تسمحي لصديقك بمغازلتك داخل مكتبك فهذا من شأنك. اما ان تسمحي له بيدا في البوتيك، والزبائن يدخلون ويخرجون طوال الوقت، فلا بديل لدي سوى نقلك من مركزك كوكيلة، وان أضع مكانك شخص آخر، لما تبقى لك من وقت عندنا».

وسحبت جوليت يدها من يد مالكولم، وبدأت الكلام لتعتذر، ولكن مالكولم قاطعها قائلاً «إنك تبالغ قليلاً يا سيدي».. وأنزل قدميه إلى الارض

ومع سيكارته وتابع «عندما أغازل جوليت، عادة أفعل أكثر من امساك يدها» وقال درو متجاهلاً وجود مالكولم «عندما يذهب زائرك، اريد أن اراك في مكتبك آنسة بورن» وفي الحال استدار مالكولم الخاسر، وأمسك برقبة جوليت و... عانقها وقال «باي.. يا حبيبتي سأراك فيما بعد». ورفع يده بالتحية إلى سيليا «سأراك لاحقاً» فابتسمت سيليا دون ان تعبأ بإخفاء إعجابها به. وعندما وصل مالكولم إلى الباب، استدار وقال لجوليت «بالمناسبة يا حبيبتي، لقد حصلت على المعلومات التي أريدها» وحيا درو بوقاحة وذهب.

اذاً لقد عرف مالكولم الآن اسم بائع الجملة الذي أمّن لهم ماكينات الغسيل. وبدلاً من السعادة التي توقعت أن تشعر بها للانتقام من «مايجور وابنه» شعرت بالخوف. موقفها في عين درو مايجور كان سيئاً بما يكفي، وهذا الأمر سيزيده سوءاً.

وتبعت درو إلى مكتبها. وسارعت للدفاع عن نفسها حتى قبل ان يتكلم.

ـ انا آسفة سيد مايجور، لم أدعه لزيارتي. لقد قدم من تلقاء نفسه. وجلس درو على الكرسي الوحيد، وتركها تقف. ووضع ساقاه فوق بعضهما ومال الى الخلف، وكان التعبير على وجهه ساخراً. وتابعت قولها «على كل، لا أرى أي ضرر بقدومه إلى هنا» ورفع درو حاجباه «استخدمي مخيلتك آنسة بورن. كفتاة لديك موهبة في التخيل. ماذا سيحدث لو أن كل فتاة من الموظفات عندي سمحت لصديقها بزيارتها خلال ساعات العمل، وأن يجلس كما كان صديقك حالياً، ورجلاه الى فوق، يدخل ويمسك يد صديقته المحبوبة؟».

وقطبت جبينها وقالت «في الواقع سيد مايجور وجوده هنا كان له تأثير على المبيع، فقد دخل شاب مع صديقته واشترى شيئاً لنفسه».

ـ رجل شاب؟

ـ ألم تسمع بالملابس الموّحدة للجنسين؟ لديّ الكثير منها. ولو لم يكن مالكولم هنا، لما دخل ذلك الشاب، لقد عرفت هذا من تردده عند الباب.

ـ اوه.. هذا جيد لك آنسة بورن! ربما تحبين أن تتبنى مؤسسة مايجور صديقك كجالب للحظ ولجعل منه عنصر ثابت في البوتيك، ليشجع عشرات الشبان للدخول؟ نصيحتي لك أن تبقي صديقك في مكانه عند كارلوس وليس عند مايجور.

ووقف. وتنهدت هي وقالت «نعم سيد مايجور. لماذا كنت تريد أن تراني؟»

- بالنسبة للحفلة، اظن أنك ستحضرينها؟

وهزت رأسها بالنفي، وقطب جبينه وقال «ولم لا؟».

- لا ارغب في ذلك فقط. لا تستطيع اجباري. فهذا خارج ساعات العمل.

- ولكن في الواقع والذي يريدك أن تحضري.

- لا ارى اي فارق إذا لم أذهب فلن يفتقدني أحد. لذا فكرت أن اريحك من وجودي، بالابتعاد عن الحفلة.

- لا دخل لمشاعري بالأمر. انا أفكر بمشاعر والدي. لسبب ما يبدو. . انه مغرم بك. وسيخيب أمله.

وذهب نحو الباب، فنادته «سيد مايجور؟» فالتفت وقد رفع حاجباه «هذا الصباح طلبت من قسم العرض بعض الإعلانات للواجهة وقالوا إنني لن أحصل عليها قبل ثلاثة أشهر» فرد عليها متسائلاً «وماذا في ذلك؟» «خلال ثلاثة أشهر أكون قد ذهبت، اليس كذلك؟».

- ربما. لماذا إذاً أنت مهتمة بالحصول على الإعلانات؟

- حتى ولو كنت سأغادر، فلا يزال لديّ الاهتمام. بهذا البوتيك انا. . أريد أن اراه ينجح. . فقد واكبته منذ البداية.

- إنه طفلك، وتريدين أن تريه ينمو، حتى ولو كان في النهاية سيؤخذ منك ليتبناه غيرك؟

وخفضت عيناها «إنها طريقة ظالمة لتوضيح الأمر، ولكن نعم، أحب أن أراه ينجح قبل أن أذهب، إذا كان لديّ الوقت الكافي».

وساد صمت طويل، ثم قال بنعومة «أنت لست تحت حكم بالاعدام يا آنسة بورن» وهمست قائلة «يبدو لي الامر مشابهاً سيد مايجور» «جوليت» ورفعت عيناها وكلها امل «أنا. . أنا» ثم راجع نفسه، وذهب نحو الباب، ثم وقف دون حراك وكأنما فكرة قد خطرت له، وعندما استدار كان يبتسم «سأعقد معك اتفاقاً. إذا أتممت لك إعلانات الواجهة هل تأتين الى الحفلة؟» وارتفعت روحها المعنوية كالبالون المنطلق وردت على ابتسامته «هل تنزلي سيد مايجور؟» فأجابها «ابداً. لنقل فقط إنه تبادل خدمات، أتوافقين؟» وهزت رأسها وقالت «أوافق».

وحصلت على الإعلانات، بعد ظهر ذلك اليوم، اتصل بها قسم العرض وقال لها صوت رجل غاضب «روي هاوكنز يتكلم، هنا قسم العرض. لقد استلمنا تعليمات من مدير الشركة لإعطاء الآنسة بورن الإعلانات التي تريدها. لذا يجب أن نعطي الآنسة بورن تلك الاعلانات قبل إعطائها للمستحقين الآخرين. لا نستطيع إخبارك كم نحبّك لهذا الالتفاف علينا لتحصل على ما تريدين».

وتجاهلت لهجته القاسية وسألته «متى بالضبط؟».

- في الأسبوع القادم. من أنت يا عزيزتي؟ المدللة عند المعلم؟ هل لك. . اوه. . اتصالات مع مدير الشركة؟ لم أعرف ابداً أنه يتدخل هكذا بنفسه من أجل شخص آخر.

واجابت بجرح «لا. . ليس لديّ أية علاقات أبداً. إنها فقط الجاذبية الأنثوية القديمة، كما تعرف. وهذه لا تفشل أبداً» وانتهت المكالمة بشهقة استغراب من الجانب الآخر.

وعندما وضعت السماعة من يدها، أدركت أنها قد اصبحت ملتزمة فقد حافظ درو على كلمته، ويجب عليها الآن أن تحافظ على كلمتها أيضاً. يجب عليها أن تذهب لحضور الحفلة.

٧ - من ينقذني؟

كانت جولييت مصممة على عدم حضور حفلة مايجور لوحدها، لذا دعت مالكولم لمرافقتها، وقال لها إنه سيكون سعيداً بالحضور. مهما كان مايجور سيقدم له، طعام، ام شراب، ام معلومات، سيكون سعيداً لأجله.

ولم تزعج نفسها بارتداء ما هو مناسب للسهرة. فقد قالت سيلينا، التي حضرت مثل هذه الحفلة من قبل إنها حفلة غير رسمية «عادة تتجول في الحديقة، واذا كان الطقس دافئاً نسبح في البركة. وإذا أمطرت تتجمع في قاعة الاستقبال الكبيرة تأكل وتشرب وتتحدث».

كانت الشمس تشع بكرم، وتعاظمت حرارتها بعد الظهر. وقال مالكولم وهما يستظلان الباص عبر المدينة باتجاه منزل مايجور «من يطلب أكثر من هذا، الشمس، وفتاة جميلة بقربي وحفلة في حديقة منزل مايجور. بالمناسبة، راقبي الصحف يوم الاثنين لتري إعلاناً لكارلوس. شيء حول ماكنات الغسيل».

ـ وهل أخبرتهم؟ ولكن يا مالكولم هذا يعد خرقاً للثقة.

ـ لا أرى الامر هكذا. لقد اردت انتقاماً ما من رب عملك رداً على طرده إياك على شيء لم تفعليه؟

ـ وإن يكن. لقد كانت حيلة قذرة، ان تدع الأمور تصل إلى هذا الحد. وضغط على ذراعها، وبدا متألماً وكأنها ستهجره وقال:

ـ إنها المنافسة يا عزيزتي، وهذا ما يجعل عالم الحب وعالم العمل يستمران. والعيش في أي عالم منهما سيكون مملاً دون منافسة.

عندما وصلا، وجدت جولييت أن احداً قد وضع سلاسل من الزهور حول رقبتي الأسدين الحجريين. وهكذا بدا التمثالين أكثر قرباً، وجذبت جولييت مالكولم خلفها ودقت جرس الباب. وردت عليها مديرة المنزل. كانت، ولكن ملدريد مايجور كانت هناك. ولم تتعرف إلى جولييت في البداية وقالت «الحفلة في الحديقة هناك، وليس في المنزل» ثم نظرت إلى جولييت وكأنها فار اصطاده

قط ورماه. ولو لم يظهر وارن خلفها لكانت طردتها عن الباب كما تفعل مع شخص غير مرغوب فيه.

واختفت ملدريد وكانت، ومد وارن يده، يدعو جولييت للدخول. ولأن يد مالكولم كانت لا تزال في يدها، جرته خلفها. وقبلها وارن على خديها متظاهراً بأن مالكولم غير موجود، كما يتظاهر بعدم وجود سيدرك بورن تماماً وقال:

ـ يا عزيزتي. لطف منك أنك اتيتي. كيف حال أمك؟

ـ بخير شكراً لك...

ونظرت إلى مالكولم تتساءل عما إذا كان يجب أن تقدمه أم لا، ولكن وارن بدا غير مهتم به.

ـ ادخلي يا عزيزتي وتناولي شراباً معي.

وشعرت بالانزعاج وقد ادركت أن الدعوة تستثني رفيقها الذي لا يمكن أن تتركه يقف لوحده في الردهة بينما هي تتناول شراباً مع العنيد مايجور، فرفضت بلطف قدر استطاعتها «لم يمضي وقت طويل منذ تناولي طعام الغداء، سيد مايجور. هذا لطف منك ولكن...» ونظرت إلى الخارج عبر نافذة الردهة وهي تتمنى لو تحطم الزجاج وتقفز منه كما يفعل مهرج السيرك، فقد يخرجها هذا من ورطتها على الأقل. وقال لها وارن «بالطبع تريدين الانضمام للآخرين. لن أستبقيك إذاً. اخرجي ومتعي نفسك، سأراك فيما بعد، ربما...»

وقال مالكولم وهما يخرجان «أحب هذا! فأنا الرجل غير المرئي إذاً».

ـ لديه طرق غريبة يا مالكولم. يتصرف هكذا حتى عن والدي. يمضي وقته يتظاهر بأن ليس لديّ والد ووالدتي ليس لديها زوج.

كم يجب أن تقول له من معلومات؟

ـ أترى، منا. وقت طويل كانت والدتي محظوية له.

ـ يا للحظ الجيد. لقد كانت محظوظة بخلاصها. ماذا فعل، فسخ الخطوبة؟

ـ لا والدتي فسختها.

ـ هذا أفضل لها.

واستدارا عند الزاوية ووجدا الحفلة في أوجها. كانت الفتيات في ثياب السباحة «البيكيني» يتشمسن، وكان الازواج يجلسون على المقاعد في حديقة الورود، والآخرون، ومعظمهم من الرجال، كانوا يلعبون كرة المضرب.

وكانت ملاعب التنس مشغولة باللاعبين. وبدت بركة السباحة عن بعد وكأنها مسبح شعبي.

الموظفون الأكبر سناً كانوا يسيرون عبر الممرات وهم في ثيابهم الكاملة. وبدوا وكأنهم خارج مكانهم، بمزاجهم وتصرفهم معاً، بين الشبان ذوي الملابس الخفيفة.

وعندما شاهد درو جوليت، شاهد مالكولم سيلينا، وتقلصت عضلات معدة جوليت بنوع غريب من التوتر، وتمددت عضلات وجه مالكولم بابتسامة عريضة وصدر عنه صفير إعجاب. «أمسك يد جوليت وقدّم «امسكيني جيداً يا حبيبتي. هل قلت إن اسمها سيلينا؟».

وابعدت جوليت عينيها عن عيني درو، بعد أن شاهدت حركة مالكولم، ونظرت إلى سيلينا. لقد كانت فعلاً فاتنة بثوب السباحة «البيكيني» الزهر والابيض، وشعرها الطويل الاشقر مغطى بقبعة شمس مناسبة. ورأت مالكولم فاتخذت وضعاً فيه دعوة.

واقترب درو، وجهه بارد بنفس القدر الذي كان فيه وجه أبيه دافئاً. وتساءلت جوليت في نفسها متى تستطيع التسلل خارجة من هنا. لقد قامت بواجبها، ورأت الرجل الذي أرادها أن تأتي إلى هنا. ربما بعد نصف ساعة تستطيع التحجج بألم في رأسها. وسيسر مالكولم للامر، فهذا سيترك له الميدان خالياً للتعرف أكثر بسيلينا، التي من المؤكد أن لا نصدّ تقرباته منها.

وقال لها درو «لطف منك ان تأتي آنسة بورن» وأخذت عيناه تجولان في ما تلبس من ثياب ضيقة. وكادت تقريباً ان تسمعه وهو يفكر «أهذه بضاعة مايجور؟» واجابته على سؤاله الذي لم يطرحه

ـ نعم سيد مايجور، إنها من بضائع مايجور. ولكنني لم اسرقها. لقد دفعت ثمنها كاملاً. حتى أنني لم أحتسب الحسم الخاص بالموظفين.

وضحك مالكولم، ولكن درو، مثل أبيه، تجاهل وجوده، وقال:

ـ انا لا اشك بك لحظة واحدة آنسة بورن. وأنا واثق أن الثياب لها اثر فعال أكثر على جسم مثل جسمك من أن تبقى معلقة في الوتيك.

ورفع مالكولم ذراعه إلى كتفيها وجذبها نحوه. وكأنه يقول «هذه فتاتي، ارفع يدك عنها». والتفتت عينا درو نحو مالكولم وقال «هل وجدت طاولة المشروب، إنها على حسابنا» وجذبها مالكولم نحو الطاولة «أنا بحاجة لشرب شيء ما،

وخاصة إذا كان مجاناً. تعالي يا حبيبتي».

وابتعد عنهما درو، وشعرت جوليت بالحيرة دون سبب، وجذبت ذراعها من ذراع مالكولم وقالت له «اذهب انت، فانا لا اشعر بالعطش» وهز مالكولم كتفيه وتركها، وتجولت بين الورود، وهي تتذكر المرة الماضية عندما كانت تفعل هذا، ودرو الى جانبها. لقد كانت يومها في مقابلة عمل معه للحصول على وظيفة، وها قد دارت عجلة الزمان دورة كاملة، وبسبب غلطة لم ترتكبها، أوشك الوقت الذي ستقضيه معهم على النفاد.

ومرت بالناقورة المنتصبة في منتصف الحوض المستدير، وتذكرت كيف أن الريح في المرة الماضية قد تسببت في رش الماء عليها. وكيف أن درو وقف يتفرج دون تقديم مساعدة، وهي تحاول تجفيف نفسها.

وكان هذا مصدر إزعاج لها، ولكنها أصبحت الآن تعرفه أكثر. درو مايجور لا يساعد أحد ابداً، إلا إذا كان لمصلحته.

ـ هل انت تائهة في افكارك؟

وقفزت وقد ظهر إلى جانبها. وتابع كلامه:

ـ ولوحدك؟ أين روميو؟

ـ يتناول شراباً ربما.

ـ تبدين بعيدة جداً. بماذا كنت تفكرين آنسة بورن؟ وابتسمت له وجعلها قربه منها جريئة: «كنت أفكر أفكاراً سيئة عنك» ونظر إلى مؤخرتها وكأنها تسعى الى المشاكل، الى الضرب: «يا الهي، أنت تسعين فعلاً للمشاكل! هيا، قولي ما كنت تفكرين به. ما هي هذه الأفكار الرهيبة عني؟»

ـ لا اجروء على قولها لك. قد ترميني في الحوض.

واستدار خلفها وامسكها تحت ذراعيها وجذبها نحوه وقال «انت تثيرينني آنسة بورن، وهذا امر خطير. الثياب التي تلبسينها مثيرة بما فيه الكفاية دون التفوه بكلمات تثيرني اكثر» وقاومته، فتركها، ثم استدارت لتواجهه وقد احمرّ لونها «قد تكون صديقتك تنظر الينا سيد مايجور».

ـ صديقتي ليست هنا آنسة بورن.

ـ ولماذا لا؟ لا تتنازل للاختلاط مع رعاع موظفي مايجور وابنه؟

ـ وكيف حزرت؟

ـ إذاً أنت تجري وراء أخرى تحل مكانها، مؤقتاً على الأقل.

ـ هل تحبين فعلاً أن أرميك في الحوض؟

وهزت رأسها بعنف فتابع «إذاً حافظي على ادبك. آنسة بورد، إذا قدرت على ذلك».

ـ نعم سيد مايجور، سيدي.

وادارها لتواجهه، ولكنه سيطر على نفسه فوراً وقال لها:

ـ استمعي اليّ، يا جوليت الصغيرة. طلب مني والدي أن اكون لطيفاً معك اليوم. ولأجل السماء ساعديني على ذلك بأن تردي على اللطف بمثله. وإلا، أكره ما سأفكر بأن أفعله بك قبل انتهاء الحفلة.

ـ هناك طريقة وحيدة لتكون لطيفاً معي، ابتعد عن طريقي.

ـ اهذا ما تريدين مني فعله؟

وكان قلبها يقفز، ونضالها تضاعف، في ان تجذبها إلى قربه أكثر و... قالت «أجل».

وسار مبتعداً عنها، حسناً، هي طلبت، أليس كذلك؟ وأخذت تسير على غير هدى نحو الرجة الخضراء، تبحث عن مالكولم. لا حاجة بها لان تدّعي الصراع الآن، فقد أصابها سداع فعلاً، وها هو يتركز في رأسها وكان أحد هذين الأسدين الحجريين يجثم عليه.

ونظرت إلى المنزل، وشاهدت ملفريد مايجور من إحدى النوافذ، تترتب الزهور في إحدى المزهريات. وكانت منهمكة في عملها كأنها وحيدة في هذا العالم. وفتشت عن سيلينا، وهي واثقة أنها لو وجدتها فستجد مالكولم، وكانت على حق. فقد كانت سيلينا مستلقية على العشب ومالكولم جاثٍ على كوعيه بيدي احجابه بها من رأسها حتى قدميها. وفكرت جوليت، إذا كان هذا اخلاصه لي إذاً فهنيئاً له بها. وذهبت إلى طاولة الشراب وصبت كوباً من الليموناضة لها. رؤية باقي الأزواج يضحكون ويسيرون يداً بيد معاً، أجبرها على الاعتراف كم كانت تشعر بالوحدة.

لقد أبعدت درو عنها وها هي سيلينا امتلكت مالكولم. وتمنت لو انها لم تحضر معها، وتمنت لو انها لم تأتِ اطلاقاً، لم يكن لوارد أن يستفقدها على أي حال.

وشعرت بدرو يراقبها من بعيد، فوضعت كوبها الفارغ من يدها وحشرت نفسها بين مجموعة ضاحكة من الناس. لم تكن تعرفهم، ولكن كان يجب

عليها أن تفعل شيئاً لتخفي نفسها من نظرته المتهمة غير العطوفة.

وقال أحد الشبان الذي عرفت أنه روي هاوكنز من قسم العرض. «حسناً». حسناً. أهذه هي مدللة مدير الشركة. لوحدها. يا عزيزتي؟ اين هو صديقك؟» وعرفت بأنه لا يعني مالكولم، ودون شعور منها سعت عيناها وراء درو وخلق روي نظرها. «اجل. ها هو هناك أليس هو؟ يحافظ على مسافة بينك وبينه، حتى لا يبدأ الموظفين بتخمين اشياء، وقول الإشاعات حولك وحوله؟» وتطلع إلى أصدقائه، «هاي، أنتم جميعاً، لنري هذه الفتاة الجميلة ماذا تفعل بالفتيات اللواتي يستخدمن... نفوذهن» وحرك يديه على شكل جسد امرأة «ليحصلن على ما يردن من الرجل الذي في القمة».

وقبل أن تستطيع النطوء بكلمة احتجاج، رفعها بين يديه وركض بها نحو بركة السباحة. وصرخت «لا، لا، لا أعرف السباحة!» ولكنه لم يصدقها. وقال «واحد» وسحبها إلى الوراء «اثنان» ورماها «ثلاثة» وصرخت مرة ثانية قبل ان تلمس الماء «لا!».

وغرقت إلى الأسفل، ويداها ورجلاها تتحرك، محاولة أن تلتقط شيئاً، أي شيء قد يجعلها تطوف. ووصلت الى سطح الماء وشهقت، ثم اندفعت ثانية إلى الأسفل، وعندما عادت مرة أخرى إلى سطح الماء، سمعت الصيحات والصرخات من كل الجهات. وتخبطت أطرافها بجنون ثانية، ولكن دون جدوى. وعلمت أن الأمر انتهى. وشهقت مرة أخرى وغمر الماء رأسها وسمعت صوت ارتطام جسم بالماء وصرخة فوقها المتها صاحبة للحظة. وامسكتها يدان من تحت ذراعيها وجذبتها الى فوق وادارتها على ظهرها، وشهقت قائلة «درو». درو» ثم لفها الظلام.

لم تستعد وعيها إلى ان تحركت لتجد نفسها ممددة ووجهها إلى الأرض، تجاهد لتأخذ نفساً بينما بدا لها ان شخصاً يضغط على اضلاعها، يضغط ويرخي تكراراً. وأخذ الماء يخرج من حنجرتها وأنفها وبطء أصبح تنفسها طبيعياً. وسمعت شخصاً يقول «أنا آسف يا سيدي، لم أعرف أنها لا تعرف السباحة».

ـ ولكنها قالت لك أيها المعتوه.

ـ ظننت أنها تخدعني.

ـ اذهبوا من هنا جميعاً، عودوا لتمتيع أنفسكم. لقد انتهى كل شيء، انها

سأله، لذا لأجل السماء اذهبوا من هنا؟.

وسمعت صوت مالكولم ثم صوت درو يقول «ولا أريدك أنت أيضاً هنا يا واتلنغ. ساتعاطى أنا معها، لا اريد مساعدة».

واحاطت بها ذراعان لتحملها واسترخت على جسد رجل قوي، وهي تشعر بصدره على خديها. «لقد أنقذتك الآن، فتمسكي بي يا جوليت» وفعلت ما امرها به بما تبقى فيها من قوة. لا يمكن أن يكون هذا درو، لأن صوته كان يحمل كل الحنان، ودرو لا يكلمها هكذا ابداً.

وحملها إلى غرفة ووضعها بلطف على اريكة. وفتحت عيناها وشاهدت نظرته، كان درو يحدق بها بمزيج غريب من الحنان والقلق، ولم يكن لنظرته معنى. كان يرتدي ثوب السباحة فقط وكتفاه مبللتان بالماء.

وحال أن شاهد عيناها تفتحان تغير الانطباع على وجهه الى إدراك للحاجة الى العمل. وسألها «ماذا هناك تحت هذه الملابس؟» ولم ينتظر ردها، وانحنى ليفك رباط الحصر المشدود على بنطلونها. عندما ادركت ماذا يفعل بدأت تقاومه وصرخت «لا، لا، لا!» وامسكت يده محاولة إبعاده عنها.

ـ يا إلهي ايتها الفتاة، ماذا تظنين أنني افعل، اغتصبك؟ هيا ارفعي جسمك يجب ان تخلعي هذا الثياب المبللة» وجلب البنطلون ورأى ملابس سباحة «بكيني» فقال لها «لماذا بحق السماء، لم تخلعي ملابسك كما فعلت الأخريات؟ ها أنت ترتدين ثوب سباحة».

ـ لأنني لا أعرف السباحة...

ـ أعرف هذا.

ـ ما الفائدة اذاً؟ سأكون أعرض نفسي فقط.

ـ وماذا تظنين الأخريات يفعلن، إذا لم يكنّ يعرضن أجسادهن؟ وثقي أنك كنت ستتفلين عليهن جميعاً لو حاولت. هيا، اخلعي هذه البلوزة المبتلة.

وجلست لتساعده بنزع ثيابها عنها. ثم اختفى في غرفة اخرى وعاد يحمل منشفة كبيرة، ورماها اليها قائلاً «جففي نفسك بهذه» فاحنفضت رأسها وقالت «إن قطعة البكيني العليا مبللة» فقال «ساعطيك قميصاً من عندي تلبسينه» وسمعت صوت جارور يفتح ويغلق وقميصاً يطير في الهواء عبر الباب نحوها وهو يقول لها «البسي هذا، بينما اجفف نفسي وارتدي ثيابي».

عندما عاد كان يرتدي قميصاً زهرياً وبنطلوناً بنياً، وجلس برافيها وهي

تجفف شعرها. وكان القميص الذي أعطاها إياه لا يكاد يغطي الكثير، وأخذ يبتسم لمحاولتها شده إلى الأسفل. وسألته «اين نحن؟».

ـ في شقتي الخاصة. إنه جناح خاص في المنزل منعزل الى شقة خاصة لاستخدامي الخاص، وانا لا اجيء بالموظفين الى هنا عادة، ولكن انت استثناء.

واخذت تجفف جسدها جيداً تحت القميص، وبدأت ترتجف كردة فعل لما حصل، ولخيبة الامل. تذكيره إياها بأنها مجرد موظفة لديه هو الذي بدأ يرجفها. وقالت له «لا أعلم لماذا أزعجت نفسك بإنقاذي».

ـ اقدر لك عرفانك بالجميل لانني أنقذتك.

ـ انا آسفة، ولكن لكان الأمر أسهل على الجميع لو أنني غرقت.

وامسك بكتفيها وادارها نحوه «عما تتكلمين بحق الجحيم؟ أتركك تغرقين؟ كيف استطيع ذلك؟» وحاولت أن تتخلص من قبضته وقالت «على الأقل كان هذا سيخرجني من طريقك».

ومال نحوها، واستخدم قوته وحدها الى الأمام للتلصق به.

ـ كيف تعلمين أنني أريد إخراجك من طريقي؟

واصبح صوته ناعماً، وعرفت ما هي تواياه. وبدأت تقاوم. يجب أن لا تسمح له بمعانقتها. لقد فعل هذا مرة، ليجعل فتاته تغار، ولم تنسى ابداً تأثير هذا عليها. ولو فعلها مرة اخرى، وفي هذه الظروف... وصرخت «لا.. لا تستطيع معانقتي، لا تستطيع معانقة سارقة! فهذا ما تدعوني به أليس كذلك؟ بالنسبة لك أنا سارقة» كانت تتلوى بين يديه محاولة الخلاص وهي تتابع كلامها «وانا اسرق راديوات الترانزستور، أنا لست أهلاً للثقة، كان يجب أن تتركني اغرق!».

ولكن من ضمها تماماً وقال «ها قد عدت لعادتك. تحاولين تدمير نفسك، ان تحرقي نفسك. حسناً يا فتاتي، المدمرة سيكون اسمك الثاني، يبدو ان الدمار عادة في عائلتك، ولكنني اقسم انك لن تدمريني كما دمرت امك ابي».

واجبرتها ذراعاه على الجمود وتقبل عناقه. وعندما بدأت تستسلم لأنها لم يعد لديها لا القوة ولا الإرادة على المقاومة، رماها على الاريكة، وابتعد سائراً في الغرفة. وكانت الحياة قد تلاشت منها واصبحت خاضعة تماماً. ولتمتم وعيناها مغلقتان وشفتاها تؤلمانها من الجفاف «كان يجب ان تتركني أغرق، على

الأقل كان هذا سيخلصني من تعاستي» ورفع يده الى رأسه «فلتحفظني السماء من مزاجية الفنانين! اية تعاسة تقصدين؟» ووقف أمامها ورجلاه متباعدتان، ويديه في جيوبه «هيا قولي، أية تعاسة؟ أريد ان أعرف؟».

كيف تقول له؟ تعاستها في حب رجل تعرف أنه لن يحبها أبداً؟

ولما لم يتلق أي جواب سألها «أتعنين خسارتك للوظيفة؟» وسار متعمداً ثم عاد «جوليت، أريد ان أقول لك ...».

- كم أنت اسف؟ اوه، لا تعتذر، ستكون كمن يضع الملح على الجرح.

وأمسك يدها وحدثها «هل تتركيني اتكلم وأنت تصغين. كمجرد تعبير؟» وترك يدها وسقط الى الخلف وهي تدعك رسغها. واستمر في تجواله في الغرفة «أريد أن اقول لك، إنا في الليلة الماضية ألقينا القبض على السارق. كنت أعلم طوال الوقت أنك لست الفاعلة. ولكن ضابط الامن لم يكن من السهولة إقناعه. وأصر على إثبات إجماعي على براءتك».

وجلس بقربها وتابع «قد لا تعلمين أن كاميرات التلفزيون تبقى عاملة حتى عندما يكون المتجر مقفلاً، وتبقى تعمل إلى منتصف الليل، عندما تنطفىء الاضواء اليدوية. وعاد الى السير ثانية «لذا، كل ليلة، بعد اقفال المتجر، يبقى السيد كونتهام ومساعده وأنا في المتجر، نراقب شاشات المراقبة التلفزيونية، ونتابع كل حركة لعمال التنظيف والحرس. ولأن السيد روبنسون هو من قال إنه «وجدك» تحديته كما قال. شككت به اكثر من الجميع. والليلة الماضية كنا نراقب كل طابق بمفرده، وكنا قد أبعدنا سياراتنا عن المبنى، وظن هو أن الجميع قد ذهب إلى بيته. وقبضنا عليه بالجرم المشهود. وعندما واجهته بسرقة الراديو، اعترف».

وجلس الى جانبها ثانية وابتسم والراحة تعمر وجهه، وقال بكياسة:

- حسناً، هل ترغبين في أن تلقي دراعك حول عنقي وتحضنيني الآن؟

فضحكت وقالت «وهكذا أحتفظ بوظيفتي؟» وهز رأسه بالإيجاب

- لماذا في اعتقادك انني تركتك مستمرة بعملك طوال تلك المدة؟ لو أنني شككت بك فعلاً، لرميتك إلى الخارج منذ مدة طويلة

- يبدو من غير المناسب أن اقول شكراً.

- لا أتوقع منك شكري، فأنا في الحقيقة من يجب أن يعتذر، للإزعاج

والقلق الذي مررت به. هل اخبرت والديك؟ لا؟ جداً فه.

وعاد الى قلقه «أين روميو؟» وأجابته «يجد لنفسه جولييت اخرى».

«وهل تمانعين؟». . «لا فرق لو مانعت، فهو يطارد سيلينا، التي لا تبدو ممانعة».

- أتتركينها تسرق منك صديقك دون قتال؟ هذا بالتأكيد ليس من غير عادتك؟».

- أقاتل فقط لأجل ما أرغب به.

- وهل تقاتليني يا جولييت؟ دائماً؟

ورفعت عيناها الثلاثي عينيه لبضع لحظات، متسائلة عما يلمح اليه. وعبست وحولت نظرها بعيداً وقالت «لا، ليس دائماً. مثلاً لا تستطيع البدء بقتال، عندما تكون يداك مغلولتان خلف ظهرك، أتقدر؟»

- ماذا تقصدين بهذا القول بالضبط؟

ماذا تعني؟ أن تجعل رجلاً يحبها، ان تقاتل من أجل رجل له صديقة مثل كاميل، رجل، أكثر من هذا، أقسم على أنه إذا تزوج، «وإذا» هنا هي الكلمة الأهم، فيجب أن تكون المرأة التي يختارها كاملة، مصنوعة على طرازه، كما قال، في كل الأوجه؟ ووقفت ومشت في الغرفة نحو «مزهرية» موضوعة على طاولة مستديرة وقالت «هذه ورود جميلة» وانحنت لتتنشق رائحتها. فقال لها «لا تغيري الموضوع» فقالت «عطرها رائع» وانتقى واحدة وأعطاها لها. كانت حمراء داكنة. وأخذتها، ثم وضعتها بين أصابعها تتلاعب بها، وتابع كلامه «والآن هل تخبريني ماذا تعنين؟» واستمرت بالتلاعب بالوردة بين أصابعها، «اللعنة، لقد جرحت اصبعي» ورفعت اصبعها الى شفتيها لتوقف الدم. وجذبها نحو غرفة النوم، ووجد ضماداً ووضعه على الجرح. وشكرته وهي ترتجف، ونظرت الى السرير، والى الأثاث الفاخر، والسجاد السميك. وشعرت ببرد حقيقي. وعادت الى غرفة الجلوس تبحث عن ملابسها. وتبعها قائلاً «لا تزال ثيابك مبللة».

ودق جرس الهاتف. وبدا انه اتصال داخلي من مديرة المنزل، ونظر الى جولييت وقال «هناك شاب يسأل عنك، اسمه مالكولم واللنغ، اتهتمين بأمره؟» واجابت بتصميم «لا» وقال عبر السماعة «قولي له بكل تهذيب ان يذهب. فالآنسة بورن لا تريد رؤيته».

وأخذ ينظر اليها من فوق الى تحت وضحك «تبدين حزينة قليلاً، ولكن فاتنة في نفس الوقت» وانخفضت نظرته «تبدو فتنتك آتية من ساقيك. تعالي، ساخذك الى المنزل. إلا إذا راغبت في البقاء هنا؟ فالشمس ستجفف ثوب سباحتك». «لا شكراً سأعود إلى المنزل» والتقطت ثيابها المبللة، ونظرت إلى قميصه «وهذا ماذا سأفعل به؟» وأشار بيده «أعيديه في اي وقت. تعالي من هنا عبر المنزل، سنتجنب هكذا الموجودين» وكانت لا تزال تحمل الوردة، وتبعته. والقيا بوارن في الردهة. واتسعت عيناه وقال «ماذا جرى لك؟».

- لقد.. لقد وقعت في البركة، وأنقذتها، وكانت تجفف نفسها.

وأظهر وارن قلقه في الحال «تعالي يا عزيزتي تناولي شراباً»

- أظن أنها لا يجب ان تبقى، يا ابي، شكراً لك. سأوصلها إلى البيت.

وتحسس شعرها وقال «لا يزال رطباً قليلاً».

- حسناً جوليت، هل تمتعت بالحفلة، أي الجزء الذي سبق وقوعك في الماء؟

- اجل.. شكراً.

وتمنت لو تقول إنها استمتعت ايضاً بالجزء الثاني من الحفلة أكثر.

ونظر وارن الى ابنه وقال:

- هل اخبرتها عن روبنسون؟ وأن وظيفتها ستبقى مؤمنة؟ وهل كانت مسرورة؟

- اجل، كانت مسرورة جداً في الواقع حتى أنني دعوتها لتحيط رقبتي بذراعيها وتعانقني».. وبدا على وارن التعقب «ولكنها للأسف رفضت دعوتي» وبدا على وارن الآن خيبة الأمل.

- هل كنت لطيفاً معها يا بني؟

- أجل.. كان لطيفاً جداً سيد مايجور، كان ألطف مما كنت أنا معه.

وضربها درو مداعباً «كان عليك أن ترى كم اساءت معاملتي!».

وابتسم احدهما للآخر، وهز وارن رأسها «تماماً مثل والدتها ضربة موفقة، عينة وفي الهدف». ووضع درو ذراعه على كتفيها.

- تعالي يا فتاة. يوماً ما ساصيبها بضربة عينة في الهدف، وعندها ستعرف كيف تبدو!

وأوصلها إلى منزلها، وفي الخارج شكرته لإنقاذ حياتها «ولأنك كنت لطيفاً معي».

- يا إلهي، هل العلاقات بيننا سيئة عادة لتشكريني على لطفي معك؟

ووضعت وردته على فمها «لقد توافقنا مرة اننا متضادان. أحاسيسنا، طباعنا، طرقنا في الحياة مختلفة جداً ولا أظن أبداً أن بالإمكان التوفيق بينهما».

واخذ يدها وبدا صوته ناعماً «عزيزتي جوليت، أنت تتكلمين، وكأنني أطلب منك الزواج. لم أفعل هذا.. بعد. هل هذا ما تريدين مني أن افعله. حتى تحذليني وتحطمي قلبي كما فعلت أمك بأبي؟».

وحدقت به. لم هذا التغير في مزاجه؟ ما هو الشيء الذي قاله فأخرجت السخرية ثانية من نفسه في وقت بدا كل شيء على ما يرام بينهما، ولو مؤقتاً؟ وارتجفت شفتاها، وسحبت يدها من يده، وخرجت وصفقت الباب وراءها. وتحركت السيارة ببطء، وأسرعت راكضة إلى المنزل.

اتصل بها مالكولم في المساء وسألها «ماذا كنت تقصدين بقولك إنك لا تريدين رؤيتي؟ لقد كنت رفيقك إلى الحفلة، أليس كذلك؟».

- هل كنت حقيقة؟ سيلينا تملك شيئاً اليس كذلك؟ هل تستحق المطاردة؟

- لا تكوني بلهاء يا جوليت. هل تظنين فعلاً أنني جاد بملاحقتها؟ كنت أتسلى فقط. على كل لقد تركتيني لوحدي.

- لم تكن هذه غلطتي، لو كنت معي لما تجرأ روي هاوكنز أن يفعل ما فعل. ولولا فضل درو..

- درو.. درو.. أهذا كل ما تتحدثين عنه. ماذا كان يفعل معك كل هذه المدة في الداخل؟ أكان يعازلك؟

واحمر وجهها وكانت سعيدة أن مالكولم لا يراها.

- الآن أنت هو الأبله. لقد أنقذني من الغرق أتذكر؟ لقد كنت في حالة من الصدمة.

ولم يقتنع مالكولم بالكامل «لا استبعد عنه شيئاً. لا تنسي أنه سيطردك من وظيفتك لأجل شيء لم تفعليه».

- لن يفعل. لقد ألغوا القبض على السارق. وأعيد إليّ اعتباري.

- إذاً أنت لست في طريقك الى الطرد؟

- لا.. تبدو عليك خيبة الأمل! ربما كنت تأمل أن تتخلص مني لتلاحق سيليا كما تشاء!

- اذا كنت ستتكلمين بهذه الطريقة سأقفل الهاتف.

- سأوفر عليك المشقة، سأقفل الهاتف فعلاً.

وأقفلت الهاتف، ولم يعاود الاتصال.

في الصباح التالي، أول شيء فكرت به أن تعيد قميص درو إليه، وصعدت إلى الطابق السادس وسألت السكرتيرة إذا كان السيد مايجور يستطيع مقابلتها فقالت «لا... عنده السيد نولان، وكيل مشتريات قسم الأدوات الكهربائية» اه.. طبعاً، إعلان كارلوس! كيف نسيت هذا؟ واتصلت السكرتيرة به «الآنسة بورن هنا هل أدعها تنتظر.. او...»

- لا، دعيها تدخل. كنت سأرسل بطلبها..

كان السيد نولان رجلاً طويلاً ونحيلاً، وانحنى لها بالتحية وابتسم، ولا يزال يجهل الدور الذي لعبته بقضية ماكنات الغسيل. ولكن عندما بدأ درو يسألها بدأت ابتسامة السيد نولان بالاختفاء.

- هل كنت تعرفين عن هذا آنسة بورن؟

وأشار الى الجريدة المفتوحة الصفحات أمامه، وكان صوته حاداً، وكأنه شفرة سكين، وأظهرت النظرة في عينيه أنه ينوي تقطيعها، قطعة قطعة.

- انا... حسناً عرفت أن شيئاً ما سيظهر.

- اذاً أنت وراء هذا، أنت وصديقك العزيز؟ هل شاهدته؟ تعالي، القي نظرة.

وذهبت لتقف إلى جانبه. كان إعلان كارلوس قد احتل صفحة كاملة، في جريدة محلية، يقول بالخط العريض، إنهم حصلوا على صفقة من ماكنات الغسيل، وكتبت كلمة «من الدرجة الثانية» بأحرف صغيرة، وأسعارها تتحدى كل الخصوم والمنافسين. «ومندوب مبيعاتنا عقد صفقة، تحير العقول، وأنت، ايها الزبون المخلص سوف تجني ثمرة المهارة في اقناع بائع الجملة بطرح هذه الماكنات العظيمة بأسعار لا تصدق» «منافسونا، يظنون انهم يقدمون إليكم صفقة. لا تستمعوا لهم، فنحن نهبكم الماكنات بدون سعر تقريباً».

وأغلق الصحيفة ونظر اليها

- إذاً، على الرغم من تحذيراتي منذ أصبحت موظفة لدينا، لقد سرّبت

الأسرار لذلك الصديق العديم الأخلاق...

- لقد كان ذلك بالصدفة المحضة. لقد عرض والدك إحدى هذه الماكنات علي والذي بسعر زهيد، وعندما اتى مالكولم لزيارتنا أخبرته بالأمر. وبطريقة ما علم بأمر بائع الجملة من موظفي قسم القطع الكهربائية عندنا.

- هل تدعين ذلك صدفة آنسة بورن؟ أنا ادعوها عدم إخلاص بالكامل، إنه افشاء معلومات مقصود، بنية الإضرار بمصالح مايجور.

والتفت إلى السيد نولان «هل كنت تعرف شيئاً عن هذا؟»

- لا شيء يا سيدي. لدي واحد او اثنين من المساعدين الصغار في قسمي من السذاجة بحيث يصدقون أي قصة تقال لهم. وربما هذا هو ما حدث. وسأحقق بالأمر.

والتفت درو الى جوليت «أظن أنك تذكرين عقوبة إفشاء الأسرار لمنافسينا؟ لقد حذرتك».

- أجل سيد مايجور. الصرف الفوري. سيد مايجور.

اذاً ها قد عادا للخلاف. ويجب ان تخرج من هنا، واخذت طريقها نحو الباب قائلة «سأذهب الآن سيد مايجور، لا أحتمل ان ابقى مكاني منتظرة القاس لتسقط على رأسي».

وصرخ بها «آنسة بورن!». فوقفت مكانها، وقال بهدوء أكثر «سأتولى الأمر بنفسي سيد نولان، شكراً للفت انتباهي».

وقال نولان «أجل سيدي» ورفع يده بالتحية وغادر الغرفة.

- اجلسي آنسة بورن، اخبريني لماذا فعلت هذا؟

- إذاً ستمنحني فرصة لتبرئة نفسي؟ لا أعلم لماذا. إنها فرصة سانحة لك للتخلص مني، سيد مايجور. لم لا تنتهزها؟

- ها قد عدت ثانية آنسة بورن، مصممة على تدمير نفسك. بالأمس قلت يجب أن أخلي عنك، واليوم أن أطردك من وظيفتك، وغداً ستقترحين أن أتزوجك، وأمنحك الخميم إلى آخر عمرك، هيا، اخرجي المعلومات: لماذا فعلت هذا؟

- لأني في ذلك الوقت، لم أكن اهتم بتاتاً «بمايجور وابنه». لقد كنت تحت الإنذار. وكنت غاضبة جداً منك لصرفك لي من الخدمة لجريمة لم ارتكبها...

ـ لا لزوم لأن تكملي. كنت تتقمين. وهذا رد فعل طبيعي، متوقع من أي انسان يعاقب دون وجه حق. سأساعدك هذه المرة، ولكن يا جوليت يجب أن لا يحدث هذا مرة ثانية. أفهمت؟

وهزت رأسها وفتحت الباب. في الخارج كانت تقف كاميل وإينغارد، ويدها مرفوعة لتقرع الباب. والتزوت جوليت لتمكنها من المرور، ووقف درو ولم تبدو عليه السعادة لهذه الزيارة.

ـ حبيبي... لماذا العبوس؟ لم أشاهدك لثلاثة أيام كاملة. ألم تشتق إلي؟

ونظرت إلى جوليت وكأنها متعجبة من بقائها هناك. وسألها درو بحدة «أليس عندك عمل تقومين به آنسة بورن؟» فردت عليه بلهجة وقحة:

ـ الكثير، سيد مايجور. سيدي.

وسمعت صوت كاميل الفظ عبر الباب وهي تقول:

ـ لماذا لا توقف هذه الفتاة عند حدها؟

ونزلت السلالم خمس طوابق دون توقف، ووقع قدميها يدق الأرض بقوة بفعل الغيرة، كانت تشعر بأن عليها التنفيس عن غضبها بطريقة ما. وحيّتها سيلينا بوجه بريء: «هل تمتعت بالحفلة؟ أظن أن مالكولم رجل يخيب الآمال، لم يرغب في أن يتركني، كان عليّ إقناعه بالذهاب لرؤيتك بعد أن رموك في بركة السباحة».

ـ أوه هل فعلت هذا؟ شكراً لك.

وابتسمت سيلينا، وتابعت عملها بترتيب البضائع. ودخل ديرموت ادموند محل البيع عند ارباء فريسكو. وخفق قلب جوليت.

ـ لقد خاطرت بفرصة أن أجدك غير مشغولة. لديّ بضاعة جديدة، وأحب أن أطلعك عليها.

ـ حسناً هاتها إلى مكتبي.

ونشر الثياب على الكرسي والطاولة، وفي كل مكان آخر. واتسعت جوليت عين الطريفة القديمة بوضع الثياب في ثلاثة تصنيفات «المؤكدة» و«الممكنة» و«المرفوضة». ثم أخذت تجادل حول الأسعار، ووصلت إلى سعر محدد، ورفضت ان تتزحزح عنه. وقال ديرموت «لقد اصبحت قاسية في التعامل. لا تكوني كباقي زميلاتك، يا حلوتي. أحسن لطيفات، مثلك الآن».

ـ «آنسة بورن؟»... والتفتت جوليت ها هو هنا مرة أخرى، وكأنه يتحسس عليها، يتسلل إلى بابها ويستمع لأي حديث. كان واضحاً من النظرة في عينيه، أنه سمع ما قاله ديرموت ادموند. ووقف ديرموت وهمس في اذنها «هل انت مشغولة الليلة؟ أنت مدينة لي بموعد. لقد خذلتيني المرة الماضية، وبقيت جائعاً طوال الليل». ونظرت إلى درو وهي تشعر بعدم الراحة، وقد علمت أنه سمع، وجاءتها لهجته محذرة «آنسة بورن!» فقالت لممثل البيع «انا آسفة، لديّ موعد... مع صديقي». وهز ديرموث كتفيه «ربما يكون خطي أفضل في المرة القادمة».

وأشار درو إلى الملابس المنتشرة في الغرفة وقال:

ـ آنسة بورن، لو تتفضلين وتعيدي ربط هذه الضاعة. هناك زبونة تنتظرك في البوتيك. الآنسة وايتغارد تنوي أن تكون زبونة دائمة «الفتاة مايجور»، وأريدك أن تعطيها اهتمامك الشخصي.

وحصلت كاميل على اهتمام جوليت الشخصي. وذهبت الى أبعد حد في العناية بالزبونة، وانتظرت بصبر إلى أن قامت كل قطعة اختارتها ثم رفضتها، واقترحت عليها غيرها قد تكون مناسبة أكثر، وقلبت البوتيك رأساً على عقب في محاولة لإيجاد ما ترغب به زبونتها الصعبة جداً. وشعرت جوليت بقدرتها على الاحتمال تموت ببطء، ميتة مؤلمة. وقالت لنفسها، لو ان هذه المرأة استمرت هكذا لوقت أطول، سأصبح فظة معها. ولن أقدر على منع نفسي.

وأتت اللحظة الحاسمة، عندما جربت كاميل بدلة بنطلون من الصنف الممتاز والعالي الثمن، ونظرت إلى نفسها في المرآة، وكأنها تنظر الى كيس ساعي البريد، وخلعته ورمت به إلى الأرض بازدراء. ولفظ صبر جوليت آخر أنفاسه. وأخذت تمسك كل قطعة مرفوضة بدورها وهي تقول:

ـ إذا كنت لا تريدين هذه، ولا تريدين تلك، وهذه لا تعجبك، وتلك تكرهينها. فما هو إذاً الجحيم الذي تريدينه؟ وفتحت كاميل فمها ونسيت أن تقفله. واستمرت جوليت تعصف:

ـ انا لا أظن أنك فعلاً تعرفين ماذا تريدين. ولا أظن انك كنت تنوين ان تشتري اي شيء مطلقاً منذ اللحظة التي وضعت رجلك هنا. ولا اظن اني

اريدك أن تدخلي هذا البوتيك ثانية. خلي مالك وأرباحك واذهبي الى مكان آخر.

وشهقت سيليا، وهي تراقب ما يحدث. وافتعلت كاميل قمعا فأحدثت أسنانها صوتاً، وأمسكت حقيبة يدها وأسرعت بالخروج.

وجلست جوليت في مقعد الزبائن وتفحصت القوصى التي أحدثتها الأثواب المرفوضة. وكذلك تفحصت بسرعة وضعها الخاص. ونظرت الى ساعتها. وقالت بصوت مرتفع «ثلاث دقائق لتصل إلى فوق، وثلاث دقائق أخرى لتقول له ما حدث، وخمس دقائق لتقول له رأيها بي، ودقيقتان ليستعيد وعيه ويعطيني. وهذا يعطيني ثلاث عشرة دقيقة لأجد وظيفة أخرى»... ونظرت إلى سيليا «هذا ليس وقتاً كافياً أليس كذلك»

ورفت سيليا وقد بدا عليها الخوف فعلاً «وهل تظنين أنه سيطردك؟»

فابتسمت جوليت «ما من شك في ذلك... ولكنها كانت تستحق هذا! كانت تسعى إلى هذا منذ البداية. وإذا كان لي أن أعدم، فقد كان هذا تمهيد للتنفيذ!»

ولي خطتها دق جرس الهاتف. وطلبت سكرتيرة درو مايجور إذا كانت الآنسة بورن تتلطف وتحضر إلى مكتب مدير الشركة. وصافحت جوليت سيليا بوقار، التي ضحكت لتفسر التأثير الدراماتيكي للمصافحة. وقالت لها جوليت واعدة «سأذكرك في وصيتي». ثم أطاعت الدعوة للمثول أمام مدير الشركة.

كانت كاميل هناك، طبعاً، وعيناها متسعتان من الغضب، ووجناتها ترتجفان من التوتر. وبدأ درو كلامه فوراً.

ـ لقد فهمت، أنك كنت فظة بشكل لا يصدق مع الآنسة واينغارد. وفهمت أيضاً أنك قلت أشياء لا تغتفر لها، ووجهت لها بعض الاتهامات والعمزات، وقلت لها ان لا تجعل باب البوتيك يطلم بوجودها مرة ثانية.

ونظرت جوليت الى درو. هل هو جاد، ام هي استطاعت أن تستشف لمسة كاذبة من السرور في صوته؟ تعبيراته لم تكشف لها شيئاً. فقالت:

ـ انا آسفة سيد مايجور، ولكن هناك اوقات يدفع بها الإنسان إلى أبعد من السيطرة على نفسه!

ـ انت، انسة بورن تقولين هذا لي!

ـ أنا بشر، سيد مايجور. اذا كنت قد اعطيت زبونة ما اعطيته من عناية فائقة للآنسة واينغارد، وأنزلت لها كل شيء من الواجهات تقريباً لأرضي متطلباتها، لترفض الجميع، هذه «غير ذات فائدة» وهذه «زبالة»، فماذا تتوقع مني أن أفعل؟ اركع عند رجليها؟ أقبل الارض التي تمشي عليها؟ واقول لها إنني دوماً في خدمتها؟

ـ آنسة بورن. هل لي أن اذكرك، أنه في كل الظروف، سيكون من الأفضل لك ان تكوني أكثر، لنقل، ندماً وإطاعة؟

ـ استميحك عذراً سيد مايجور..

كانت تقصد أن تبدو كلماتها مخلصة، ولكنها خرجت منها وكأنها ساخرة. وارتفع حاجباه وتابعت كلامها «سوف أسعى إلى إظهار الخضوع اللازم الذي يبدو أن الزبائن يطلبونه، والزبون دائماً على حق. ويجب ان اتعلم ان انقاد لنزواتهم، وأعترف بان مركزي ليس اكثر من مستوى التراب. يجب أن اتعلّم كيف امحو ذاتي، وان أتذلل وان أكون عبدة...».

ـ ويجب أن تتعلمي مني تصمتين يا آنسة بورن.

ولاحظت جوليت الغضب المتزايد في صوته. لقد تمادت الآن كثيراً.. فاعتذرت له ثم لصديقته «انا آسفة آنسة واينغارد لأني كنت فظة معك. ليس من حقي أن اتكلم معك بتلك الطريقة. سأكون سعيدة لرؤيتك في البوتيك ساعة تشائين»

هل قهرت نفسها بما فيه الكفاية؟ من الواضح أنها فعلت. فقد أحنت كاميل واينغارد رأسها بذوق، وقالت لدرو بأنها ستذهب ـ رافقي الآنسة واينغارد إلى المصعد، ثم ارجعي إلى هنا.

وفتحت الباب لها ورافقتها إلى المصعد وضغطت الزر وهي تتمنى أن يصل بسرعة وقالت لها كاميل وعيناها تلمعان «يا إلهي. درو بكرهك حقيقة، أليس كذلك؟»

ـ هذا الشعور يا آنسة واينغارد هو شعور متبادل.

ـ اتعلمين، اعتقدت ذلك النهار، عندما كنت في منزله وعانقك مودعاً، انه يضع عينه عليك كخليفة لي... ولكن...

ووصل المصعد وفتح بابه، ودخلت كاميل، واكملت لها جوليت كلامها.

ـ كم كنا مخطئين.

وأقفل الباب، واختفت كاميل. وسارت جولييت متمهلة وهي عائدة إلى مكتب درو. وسألته «نعم سيد مايجور؟».

ـ هناك شيء آخر يا آنسة بورن. اظن أنني قلت لك ان لا تتعاقدي مع ممثلي البيع؟

ـ لقد قلت هذا يا سيد مايجور. ولكنني لا أستطيع أن امنعهم من ان يقدموا لي إطراء أو محاولة إقامة صداقة معي. هل أستطيع؟

ـ تستطيعين على الأقل ابقاقهم عند حدهم.

وكانت على وشك ان ترد، ولكنها آثرت السكوت وقالت «نعم سيد مايجور».

ـ لا تتركي هذا يحدث ثانية، آنسة بورن.

ـ لا يا سيد مايجور.

واستدار حول الطاولة وواجهها «ولا تكوني وقحة بهذا الشكل اللعين!».

ـ لم أقصد ان أكون سيد مايجور. حتى عندما أكون مهذبة تقول إنني فظة. مهما أفعل لا يبدو أنني ارضيك.

وعلى الرغم منها امتلأت عيناها بالدموع.

ونظر اليها بغرابة، ودفع يداه في جيوبه «أظن من الافضل أن تذهبي يا جولييت» وهمست «نعم سيد مايجور» وذهبت.

٨ ـ أين المفر؟

امضت جولييت ذلك المساء في تسجيل افكارها حول العرض في الواجهة الامامية، وقررت رأيها حول البضائع التي ستقدمها، التي تشمل الازياء البطيئة البيع، ثم اختارت الالوان الأكثر لفتاً للنظر.

في الصباح التالي تركت سيلينا لوحدها في المحل، بينما مضت هي الى موظفيّ قسم العرض اللذين كلفا لمساعدتها، داخل واجهة المحل الامامية.

ولزمها بضع دقائق لتعتاد على المارة المحدقين بها، ثم استحوذ عليها العمل وهي توجه للموظفين، شاب وفتاة، تعليماتها.

وقالت جولييت وهي تقف بعيداً معجبة بما نفذوه «حسناً! أظن أن كل شيء مكتمل، ما عدا بالوعة المطبخ!».

وضحك الموظفان وهنآها على فكرتها وقال لها الشاب «لدينا واجهتين اخريين لنحضرهما بعد هذه، ثم لدينا تعليمات بأن نعلق في الواجهات بعض الشعارات الجديدة. «تنزيلات مايجور» و«مالك له قيمة أكثر عند مايجور» وما شابه. لجذب زبائن اكثر. هناك مؤسسة للدعاية تعمل في هذا المشروع وتوصلوا الى شيء اسموه «التقرب من الناس»».

وارادت جولييت ان تقول لهما انها العقل المدبر وراء هذا ولكن التواضع منعها، او ربما شعور بأنها لن يصدقاها. ولكن ذلك لم يمنعها من السرور للتفكير بأن درو قد أخذ بنصيحتها ووضع اقتراحاتها موضع التنفيذ.

وسمعت دقاً خفيفاً على الواجهة واستدارت لتجد مالكولم في الخارج ينظر اليها وانفه مضغوط على الزجاج، واخذ يحرك وجهه ليشكل اشكالاً مختلفة، محاولاً جعلها تستجيب، ولكنها حافظت على تعبير فردي، ثم استسلم، وبعث لها قبلتين بكلتا يديه. وسألتها الفتاة من قسم العرض «هل هو صديقك؟».

ـ صديقي السابق. لقد وضع عينه على أخرى.

ـ اذا كنت تريدينه، قاتلي من أجله.

ـ لا اريده بشكل خاص.

العرض في الواجهة، زاد نسبة المبيعات. طوال اليوم تدافعت الفتيات واصدقاءهن، يتفرجون، ويشترون ويغادرون حاملين ما اشتروه وقالت سيلينا في نهاية ما بعد الظهر «لقد تعبت» وغرقت في الكرسي.

وتطلعت اليها جولييت بقلق «بحق السماء لا تتركيني وتمرضي. اذهبي الليلة باكراً». ولكن في اليوم التالي غابت سيلينا عن العمل. واتصلت والدتها قائلة «انها متعبة، سأتركها في الفراش اليوم».

واتصلت بمدير الموظفين طالبة مساعدة مؤقتة، ولكن لم يكن هناك أحد يستطيعون الاستغناء عنه. وكان عليها أن تواجه الأمر بمفردها. واستمر العرض في الواجهة يجذب الناس، ولم يكن أمامها وقت للراحة، واضطرت إلى تناول غذاءها بين وقت وآخر. وكان الزبائن يقاطعون طعامها وتضطر الى تركه، وبردت قهوتها. ولم تقدر على ترك البوتيك لحظة للراحة فاستمرت بالعمل إلى وقت الإقفال.

عندما غرقت في الكرسي، كما فعلت سيلينا في اليوم السابق. وجهها محمّر ورأسها يؤلمها وجسمها ينخر من الجوع. وفكرت بسندويشاتها. ولكن فكرها ذهب إلى أبعد من الطعام، فلا يزال أمامها، إفراغ الصندوق، وعد المال، وتسليمه إلى الصندوق العام. بعد مغادرة الجميع بوقت طويل كانت لا تزال جالسة تعمل على حساباتها، ثم كان عليها ترتيب البوتيك وتنظيفه، وأن تعيد الألبسة إلى مكانها، وهذا عمل كانت مكلفة به سيلينا بعد أن تغادر كل زبونة.

كانت ترتدي معطفها عندما دخل درو، واتسعت عيناها «كيف عرفت أنني ما زلت هنا؟». وأجابها «من المراقبة التلفزيونية».

وكان التعب قد افسد طبعها فقالت «هل تتجسس عليّ، تتأكد من أنني لا اقوم بسرقة شيء؟».

- من الممكن أن اغضب لهذا الكلام، ولكن شيئاً ما يقول لي إنك تعبة، لذا سأغض النظر.

وجلست ووضعت يدها على رأسها «التعب ليس الكلمة المناسبة. لقد كنت لوحدي طوال اليوم. سيلينا مريضة، لم أتناول سوى القليل من الطعام. أشعر أن عندي مغارة كبيرة فارغة في داخلي. كبيرة لدرجة أن يدخّل فيها نهر بكامله».

ونظر إلى شكلها المنهار وتطلع الى ساعته وقال «هيا تعالي.. ضعي بعض الزينة على وجهك، سأخذك لتناول العشاء».

- العشاء؟ معك؟ آسفة. لقد انحنيت وتحدثت مع العديد من الزبائن، ولم يبق شيء لأقوله. سنصاب بالضجر معي، لقد قلت لي سابقاً انك لا تخرج مع امرأة مملة. والليلة ليس لديّ شيء أقوله. ولكن شكراً على دعوتك.

ووقفت عن الكرسي والتقطت حقيبة يدها، ولكنه اخذها منها وقال:

- سأتجاهل خطاب الرفض للدعوة التي لم اتقدم بها. لقد كان هذا امراً وليس طلباً. ستخرجين معي لتناول الطعام» ووضع ذراعه حول خصرها وكأنها هي بحاجة إلى دعم جسدي. ومشت معه بضع خطوات وتوقفت. فسألها «ما الأمر الآن؟ هل لديك موعد مع روميو؟ انسيه مؤقتاً».

- ولكن يجب أن اطعم في البيت.

وتركها تفعل واخذ يسير بين الرفوف وهي تشرح لأمها اضطرارها لتناول الطعام في الخارج. وانهت المكالمة قبل أن تبدأ بالسؤال.

وجلست في سيارته وسألته «إلى أين ستذهب؟».

- حيث أخذتك المرة الماضية، لا يهمك هناك المظاهر. بالنسبة لي انت رائعة كما انت.

وتناولت فرشاة شعرها وأحمر الشفاه وقالت «أتمانع لو مشطت شعري؟».

- تفضلي مشطيه، طالما لا تمشطيه عليّ.

- لا تقلق، اذا وقع شيء من شعري على سترتك سأزيله. فأنا أكره أن أدخل في مشاكل مع كاميل.

وتوقف ليترك المجال لسيارة متوقفة للخروج وقال «في مثل هذا اللحظة من الزمن تستطيع كاميل أن تذهب إلى الجحيم. فهي تعلم كما أعلم أنا تماماً، أن لا استمرارية لعلاقتنا».

وارجعت الفرشاة الى حقيبتها واغلقتها. «لديّ شعور بأنها تخاف من انهاء علاقتك بها. حتى أنها قالت إنها تعرف أنها تلعب على أرض خطرة، لقد ظننت مرة أنك تفكر بي لأحل محلها. وكأنني التالية على لائحتك».

- وهل تظن هذا الآن؟ وهل تمانع الآنسة جولييت بورن في أن أجعل منها صديقتي القادمة.

LILLAS.COM

ونظرت خارج النافذة وقالت «أمانع بشدة. في أية علاقة حميمة مع رجل، سأطلب الاستمرارية. لذا أخرجني من حساباتك».

- كما يقول والدي، هذا في اصل طبعك. فأنت لا تتراجعين في ضرباتك.

كان المطعم نصف معتم، وكان الأزواج في كل مكان مشغولين بأنفسهم بحيث لا يهتمون بمن يدخل او يخرج. وتحرك في مشاعرها شوق شديد لحب هذا الرجل الذي يسير إلى جانبها، وكأنها عصا وضعت في قلب النار، فخرجت شعلة هددت بحرقها. ولكن التعب تغلب واطفأها. وتنهدت، ثم اعتذرت «لقد حذرتك».

- لا بأس، سنستغني عن الحديث، نستطيع التحدث بصمت. الجميع هنا يفعلون هذا. إنهم ينظرون الى بعضهم البعض فقط.

وامسكت اصابعه بذقنها وأدار وجهها «نستطيع أن نفعل نفس الشيء ايضاً» وحدقت عيناه بعينيها. ولكن أجفانها اغمضت، لتقطع الاتصال بينهما. وضحك «أتمنى لو استطيع حل لغز الرسالة التي كانت تمر منك الىّ. اعطني مفتاح اللغز لأحلها».

- «لا توجد رسالة، فقط التعب». وتثاءبت وقالت «أسفة».

وأنعشها الطعام مؤقتاً، ولاحظ حيويتها فقال «ساخذك إلى مسرح. يجدر بنا ان ننهي أمسيتنا بشكل لائق».

ولم تعترض. وعندما جلست في السيارة أغمضت عينيها، وتمنت أن لا تطول الطريق إلى المسرح. لأن الطريق لو طالت سيضطر درو ان يوقظها من النوم. وتمتمت «أسفة للطريقة التي أتصرف بها. أنت تتوقع من فتاتك أكثر من هذا».

- بلا! أنت تعترفين. أنت واحدة من نسائي.

ولعنت نفسها على هذه الزلة، التي قصدت بها وضعها المنهك. ووجدت نفسها تنجرف الى النوم «طبعاً انا لست واحدة منهن، ولن أكون أبداً».

ربما مر عليها ساعات قبل ان تستيقظ. لم تكن السيارة تتحرك. ولا مسرح ولا عرض. فقط ذراعا رجل حولها وكتف مريحة تحت رأسها. وتحركت وفتحت عينيها ونظرت إلى الأعلى. كان درو يحدق بها، وفي الظلام اعتقدت انه كان يبتسم.

- هل نمت جيداً؟

- انا آسفة جداً.

وسحبت نفسها من بين ذراعيه، ونظرت الى ساعتها، لم يكن الوقت قد تأخر كما كانت تخشى. وقاد السيارة نحو المدينة، ووجدا احد المقاهي لا يزال مفتوحاً. وجلسا جنباً الى جنب على مقاعد مرتفعة بمواجهة مرآة كبيرة. وقالت وهي تتلمس شعرها «ابدو رهيبة، هكذا دائماً بعد النوم. يجب أن تراني في الصباح».

وابتسم وقال «هل يجب ان أراك؟ هل هذه دعوة لي؟».

وتطلعت الى انعكاس صورته في المرآة وقالت «اجل إنها دعوة» تستطيع قول اشياء لانعكاس صورته لا تستطيع ان تقولها في وجهه. فمال مقترباً منها وتابعت «تعال الى منزلنا في نهاية أحد الاسابيع قبل طعام الافطار مباشرة» فابتعد عنها وقال «شيء يدعو للأسف. ظننت انني ساتوصل الى شيء».

- أتعلم، انني تعبة جداً حتى أنك لو حاولت بجد لحصلت على شيء.

- سأشجعك، هل آخذك إلى نادٍ ليلي؟

- تعني حتى اصبح مطواعة بين يديك؟

- اذا كنت تفضلين هذه الصيغة، أجل. هل ذهبت الى نادٍ ليلي من قبل؟

- لا، ولو أعدت النظر اظن انني لا أريد الذهاب. خذ صديقتك الى هناك فهي انيقة وتناسب مثل هذا المكان. ولكن أنا...». وهزت رأسها، وكأنها سكرى من التعب «لا أريد المخاطرة بالنتائج».

ووضع ذراعه على كتفيها «قولي لي، ما هي هذه النوادي الليلية؟ وماذا تعرفين عنها؟».

- «الكثير» وضحكت، وحاولت التملص من الكلام.

- اوه... من أية مصادر؟ تجربة شخصية؟ أم معلومات من روميو؟

- من... مالكولم؟ لا بد أنك تمزح! لا، من الافلام والكتب والتلفزيون. ونزل عن مقعده، وجذبها معه «الأفضل أن نذهب، فأنت مغرية جداً في حالتك الحاضرة. من الأفضل أن اوصلك إلى البيت قبل أن تبدأي بإغوائي».

خارج المنزل اقترب منها وضمّها بين ذراعيه، واستجابت دون مقاومة. وهمست له «انا آسفة، لأنني خذلتك».

- اعتذارك مقبول. يجب أن نعيد الكرة مرة أخرى لقد تمتعت بالإثارة.

كانت ذراعاه رقيقتان في البداية، ولكن بعد بضع ثوانٍ اصبحتا أكثر تطلباً،

تسعيان الى استجابة منها، حاولت أن تعطيها ولكنها لم تحرك.

وعندما تركها أخيراً، واستلقت على مقعدها دون حراك للحظات غير قادرة على الحراك، قال لها باقتضاب «عمت مساء يا جوليت» وتركته وهي تعتذر لإفسادها سهرته.

بعد بضعة أيام قالت سيشا في إحدى الأمسيات «اظن حان الوقت لرد ضيافة وارن لنا وندعوه لتناول الشاي مع ملدريد بالطبع. ودرو أيضاً. اذا رغب في القدوم».

وقرر سيدرك أن يعارض «لست مقتنعاً بالسبب. تماهم ومركزهم، يبدو الأمر كشيء ملكي، يدعونك إلى قصرهم. ولكن لا يجب ان تدعيهم انت بالمقابل».

هذا الكلام أزعج زوجته، كما عرف مسبقاً أن هذا سيحدث: «وارن ليس بهذه الصفات، إنه إنساني جداً».

وصرخ سيدرك «للأسف أنك لم تتزوجيه يومها» وغادر الغرفة وقالت سيشا لجوليت «لست ادري لماذا يتصرف والدك بهذا العنف كلما ذكرت وارن. ولكن الا توافقين؟ يجب علينا دعوتهم أليس كذلك؟ وارن كان لطيفاً معنا بعدة طرق».

وضحكت جوليت «اي بغار. أجل لوافق معك، يجب دعوتهم حقيقة. سيكون من قلة التهذيب أن لا ندعوهم، ولكن ليس درو».

- يجب أن نسأله الحضور يا عزيزتي، على كل لقد شملوك بدعوتهم.

- هذا أمر مختلف. لقد كنت أريد الحصول على وظيفة. وكان عليهم أن يدعوني.

تجاهلتها، تراجعت عن تصور درو كراكر لمنزلها البسيط، وبالمقارنة مع منزله الفخم، سيكون من السيء كفاية أن يستقبلوا وارن وزوجته، وأن يشعروا طوال الوقت بضرورة الاعتذار عما يحيط بهما. ولكن دعوة درو إلى هنا ليرى بنفسه كم هي طريقة حياتهم قاسية بالمقارنة مع البذخ المعتاد عليه، لم تكن تستطيع مجرد التفكير به.

ولكن لم يكن من الضروري ان تقلق. فعندما اتصلت سيشا بوارن في اليوم التالي لدعوته، قال لها إن درو سيكون بالتأكيد مرتبطاً بشأن خاص به، واضاف وارن ضاحكاً «ولا اعني شأناً يتعلق بالعمل».

في الليلة السابقة لحضور وارن مايجور وزوجته لزيارتهم، عاود المرض سيدرك. وجلست سيشا معه، وهي تستمع بقلق لكفاحه للتنفس. وأصرت عليه بالبقاء في الفراش، أكان هناك زوار أم لا، وتجادلا، ولكنه ربح، سوف يغادر الفراش، وقال أن لديهم زوار ملكيون يجب الترفيه عنهم. وقالت زوجته إنه لو لم يكن مريضاً في الليلة السابقة لغضبت منه لهذه السخرية.

ووصل وارن وملدريد بسيارتهما الصفراء الضخمة، وتركها مركونة عند باب المنزل. وبدأت الستائر في البيوت المجاورة تتحرك وعيون الجيران تتطلع ووصل الضيفان إلى الباب الامامي. وتبادلوا المصافحة والابتسام. وبدت ملدريد متوترة ومرائية، وبدا وارن متحرراً ومفعماً بالنشاط. شخصيته الضخمة الثرية بدت زائدة والمنزل اصبح أصغر نسبياً عندما دخل إليه.

ومد يده الى سيدرك كإشارة نزع سلاح وصداقة بين الأخصام وجلس مرتاحاً على الاريكة. بدا وكأنه يحاول تخفيض مستوى بروز ثرائه ليتناسب مع ما يحيط به من بساطة. ولكنه فشل، فقد كان غناه يبرز عليه مثل وعاء فاض امتلاؤه، على الرغم من أنه حاول من خلال مزاحه وروحه المرحة أن يتخلص من هذه الهوة، إلا أنه لم يستطع تخليص نفسه من جو الثراء الذي يرافقه أينما ذهب.

وكان سيدرك لا يزال شاحباً من تأثير الليلة الماضية، فجلس وأخذ يراقب ما يجري وكأنه ولد صغير يشاهد برنامجاً هزلياً. وكان وارن بمرحه وهزله يقوم بمحاولات يائسة لإفهام سيدرك أنه ليس الوحيد الذي له مطلب عند سيشا بورن. فقديماً كانت تقربياً ستصبح له وها هو الآن بعقله، إذا لم يكن بجسده، يسعى اليها مثل طفل يحاول محاولات يائسة للوصول الى شيء أبعد من مناله.

وتحرك سيدرك، ربما حركه التسامح والشفقة، وجلس قرب وارن. ولم يمر وقت حتى انهمكا في حديث عميق حول شؤون عالم الأعمال. وشعر سيدرك بعطف المنتصر، على كل، لقد حصل هو على الجائزة منذ سنوات طوال، ولا شيء يمكن ان يأخذها منه الآن.

كان على جوليت أن تعجب بوالدتها للطريقة التي اجبرت فيها ملدريد على الحديث، بدأت اساساً تتكلم هي، ثم وجدت موضوعاً يثير اهتمام ضيفتها، فجلست وتركت الضيفة تتكلم. من بعض ما سمعته جوليت من الحديث،

بدا أنه حول الزهور وترتيبها. وفكرت جوليت «كم أنت ذكية يا امي، حتى تظهري اهتمامك بموضوع كان عادة يضجرك».

وغادرت سيثيا الغرفة لتحضر الطعام، واشارت لجوليت ان تجلس مكانها قرب ملدريد، وفعلت ذلك على مضض. وكان موضوع ترتيب الازهار قد استهلك، وتخبطت جوليت بالحديث، الى أن قالت لها ملدريد، وقد ركزت نظرها وهي لا تستسيغ ثوبها الملون بياقته المتخصصة، واعتقد أن هذا الثوب الذي ترتديه هو من ذلك البوتيك الرائع الذي يستمر وارن بالحديث عنه».

وهكذا وجدت جوليت موضوعاً تتحدث فيه. فتحدثت واستمعت اليها ملدريد وهي متبسمة وضجرة، الى أن وصلت عربة الطعام إلى داخل الردهة ودفعت سيثيا الباب، وقفزت جوليت وقد شعرت بالراحة لمساعدة امها. وتطلعت عينا ملدريد الى ما وراء سيثيا، وكأنها تبحث عن مديرة المنزل، والتي بدونها، في عالم ملدريد لا يمكن لامرأة أن تدير نفسها.

واثنى وارن على روعة الطعام، دون أن يذكر الماضي، كما كان يفعل من قبل.

ورافقت معه ملدريد بفتور. وسمع صوت سيارة تقف وراء سيارة وارن. فنهض قليلاً وقال بجذل «لا أصدق هذا! لقد وصل ولدي».

ولم تصدق جوليت كذلك، وذهبت الى النافذة. أجل، إنه درو، يقفل سيارته ويسير باتجاه الباب. لماذا جاء؟ وكيف ستخفي عنه فرحتها لحضوره المفاجيء الذي كاد أن يقطع انفاسها؟

اطاعت تعليمات والدتها، وهي تسير كالمنومة المتحركة، «افتحي الباب وادعي درو للدخول، بينما احضر له فنجاناً».

وقال درو بكسل «مرحباً، هل أنا مدعو لحفلة الشاي؟».

وعادت سيثيا من المطبخ، وانقذت ابنتها من ضرورة الرد قائلة «انت مرحب بك على الدوام يا درو» وانضمت الى الآخرين.

وسأل درو «هل هذا صحيح يا جوليت؟».

وجاهدت جوليت لتستعيد توازنها، فقالت بتردد مقصود «أ.. هذا يعتمد على الظروف. في العمل، عندما ارى وجهك، أرغب في الهرب. فهو عادة يعني لي المشاكل».

- تقصدين الوقاحة فيه! ولكن هذا عكس الحقيقة. عندما ارى وجهك،

أعرف أنه يعني المشاكل.

وسألها وارن «هل عدتما الى عادتكما؟ لا يمكن ان يلتقيا لخمس دقائق دون ان يمسكا بخناق بعضهما».

وبعد تعريف درو بسيدرك، تقبل فنجان قهوة وبعض السندويشات من جوليت، وابتسم واجاب والده «هذا ليس صحيح تماماً، يا ابي، فنحن نتفق احياناً، وخاصة عندما تعطيني شيئاً، سندويشاً مثلاً» والتفت نظراتها وعرفت أنه لا يشير إلى السندويشات «ولكن يجب ان أعترف أن الأمر نادر».

وضحك الجميع وسأل وارن «ماذا حدث لكاميل؟».

- لقد هجرنا حتى هذه الليلة، سنخرج للعشاء معاً.

وفكرت جوليت، هذا يوقضي عند حدي!

وتحرك سيدرك الى مقعده الاصلي، واصبحت سيثيا الآن تجلس الى جانب وارن، الذي أصبح وجهه مشتعلاً بالاحمرار، ويداه مضطربتان وكأنه يقاوم رغبة في أن يمدهما ليلمسها. وكان هناك وميض في عيني والدتها كان نادراً، وتساءلت جوليت إذا كان قرب وارن قد اثر عليها ايضاً.

وادارت وجهها عنهما، رافضة أن تعترف بالإمكانية التي لا يمكن التفكير بها أن امها وبعد هذه السنين الطويلة، عادت الى التأثر بوارن، هي الآن تندم على الدوافع التي جعلتها، منذ زمن طويل، ان تفسخ خطوبتها معه.

وأبى درو فنجان الشاي، والتفت عينه بعيني جوليت، وكان قلقاً كأبيه، وقال لها وارن وهو يراقبهما «لماذا لا تخرجان انتما الاثنين لتتشاجرا؟ فأنا أكيد أن درو يتحرق للجدال، دون شك، بعد دقائق قليلة لوحده مع ابنة سيثيا، سيظهر موضوع جيد للخلاف عليه!».

واقترح «يدرك على ابنته «أريه الحديقة. لولا خوفي من ان تضربني زوجتي بشيء، وهي التي تقص اعشابها، لقلت إنها صنع يدي لوحدي».

وقالت ملدريد ببساطة مدروسة «نحن لدينا ثلاثة عمال حدائق، يعملون وقتاً كاملاً».

واعترضت سيثيا سيل نظرة الازدراء التي رمى بها وارن زوجته. إذ علقت بسرعة على تبجح ملدريد الطفولي بالقول إنها تصدقها تماماً. وامسك درو بالباب مفتوحاً لجوليت، التي قالت له وهما يعبران المطبخ.

- هل لي ان اريك أملاكنا؟

ـ لاحاجة للسخرية، ايتها السابة. فقد عرفت ما تعنين.

ـ انا آسفة لعدم وجود تمثالين لأسدين على الباب لتحيتك، ولا حوض فيه ناقورة ولا حديقة ورود و...

ـ ولا بركة سباحة لأرميك فيها. وهذا أمر احب في هذه اللحظات أن أفعله. وسارا حول الحديقة، واشارت جوليت إلى الخضار والخس، قائلة إنها قد تعجبه. وقد أعجبته فعلاً. وسألته لتزعجه «هل أقدم لك خسة لتضعها في زرار سترتك كما اعطيتني وردة؟».

ووضع يديه مازحاً حول عنقها ولم تحاول إزاحتها، بل وضعت يديها على عنقه بالمقابل. ونظر الى بعضها وهمست «ماذا سيظن بنا الجيران؟».

فقال لها وهو ينظر إلى يديها «سيقولون إنني أحاول خنقك، وانك تحاولين مساعدتي».

وارتبكت من المشاعر التي يستطيع إثارتها بها بمجرد لمسها، وامسكت برسغيه وأبعدت يديه عنها. وعندما عادت نبضاتها الى طبيعتها سألته «هل ترغب في أن اريك شقتي؟ إنها أصغر بقليل من شقتك وأكثر تواضعاً، انها غرفة واحدة».

ـ تفضلي قبلي آنسة بورن.

واخذته إلى الطابق الأعلى، وأرته بكل فخر الرسومات التي زينت بها الجدران، قائلة إنها من صنعها. «كل قطعة من تدريبي الفني. كل صورة، كل لوحة لمناظر ريفية، لا تزال موجودة...».

ونظر إلى قطعة منها بالتفصيل وعلق «من المؤسف ان تتخلي عن كل هذا. كنت ستنجحين. لو ان ظروفك... تغيرت هل تعيدين النظر في العودة إلى دراسة الفن؟».

ـ اعطني الفرصة فقط. وساعود الى المدرسة غداً.

وساد صمت قصير وقال «آه... أمر مؤسف جداً أنك اضطررت لترك الدراسة. هناك موهبة كبيرة هناك. والتفت اليها «لو طلبت منك ان ترسمي لوحة لي، هل تفعلين ذلك؟».

ـ بالطبع، ولكن عليك الجلوس ساكناً أمامي ولا تحرك عضلة واحدة. حتى ولو شتمتك بصوت مرتفع. «الآن» ودرسته قليلاً وقالت «ماهو تعبير وجهك المثالي؟ الحملقة بانفعال. اجل يتوجب عليك ان تحملق بي طوال الوقت».

وضحك، ومدد على سريرها «ما هو اول شيء تشاهده جوليت بورن عندما تستيقظ صباحاً؟» ونظر الى الاعلى وصاح «السقف» وأجابته:

ـ إنك على خطأ، فاول شيء أراه هو وجهك وأنت تعبس بي وتقول لي كم أنا موظفة سيئة، سيئة يجب أن اصرف من العمل وان ارمى للذئاب».

وامسك برسغها وجذبها الى ان استلقت فوقه «لا تذكري الذئاب، فقد افترسك بنفسي». وبدأت تقاومه محاولة الوقوف، ولكنه أمسكها حتى هدئت، فقالت له: «أعتقد لو أنني دعوتك الآن «حبيبي» كما تفعل كاميل لشعرت بأنك في بيتك».

ـ إذا لم يكن هذا إثارة!

وبحركة سريعة انقلب حتى اصبحت مستلقية على وجهها في الفراش ووجهها مثبت اليه، وتحت رحمته تماماً، ونظرت اليه من فوق كتفها، ورأت يده ترتفع مهددة وصرخت «لا، لا، انا آسفة، آسفة» وقال لها «هكذا أفضل» وتركها.

ووقفت وسرّحت شعرها، لتعطي نفسها فرصة تستعيد بها توازنها. ثم قالت اخيراً «والآن لقد شاهدت جانبي الخاص، ليس فخماً، وانا أسميه جحر الأرنب. ألجأ إليه عندما تكون الدنيا قاسية عليّ». ورفعت مشطها ومررته في شعرها. ونظرت الى نفسها في المرآة. «ربما الآن، وبعد أن شاهدت منزلنا، ستفهم ما أعنيه بالفارق بيننا، نوع الحياة المعتاد عليها ونوع البيئة المختلفة التي اعيش أنا فيها».

ـ أتعلمين هناك نزعة سادية فيك تسعد في إبراز الفارق بيننا، لماذا؟ وصرخت بداخل نفسها، لأنني أريدك انت أن تنفيها، هذا هو السبب، ولكنك لن تفعل أبداً. ثم قالت بصوت مرتفع «هل تستطيع التفكير بطريقة يمكن لأفكارنا ومشاعرنا فيها أن تتوافق؟».

ـ دعيني أفكر.. افكارنا ربما لا.. ولكن مشاعرنا..

ومد يده اليها ولكنها شاهدتها في المرآة وتجنبتها. وركضت خارجة من الغرفة إلى الاسفل لتحتمي بالموجودين في غرفة الجلوس.

في الردهة، بينما كان الزوار يغادرون، كان هناك مصافحة، وشكر، وأمنيات طيبة. ورأقب وارن زوجته وهي تتجه إلى السيارة، وبرغبة جامحة لم يستطع مقاومتها قال لسيدرك «أتمانع في ان أستعير زوجتك للحظة؟» ودون

انتظار الرد، جذب سيلينا بين ذراعيه و... عانقها. وشهق سيدرك ولم يقل شيئاً. وتبعه درو بقوله «أتمانع في ان أستعير ابنتك للحظة؟» وجذب جولييت إليه ولكنها تجنبته ثانية.

ـ لا، لا، يا بني، إنك لن تجعلها من فتياتك. إنها مختلفة.

وتمتم درو وهو يسير في الممر «ألا أعرف هذا؟» وقاد سيارته دون ان يبتسم أو يرفع يده بالتحية.

مضت عدة أيام لم تشاهد فيها جولييت درو. واشتاقت إليه أكثر مما تجرأت على الاعتراف به. وكانت سيلينا قد عادت الى العمل واصبحت جولييت قادرة على التحضير لأشياء أخرى. وكانت صفوف البائعين بيضائعهم مستمرة. ودعاها واحد أو اثنين لزيارة مصنع رب عملها. لرؤية كيفية صنع البضائع.

احدهم شاب يدعى مونتيغو ويكس، وقال لها أن تدعوه «مونتي» وحددا موعداً لزيارتها المصنع. كان يجب عليها أن تذهب بالقطار، لذا فقد حذرها بان الزيارة ستأخذ اليوم كله. وقال إنه سيكون موجوداً وسيأخذها لتناول الغداء.

بائع آخر، عرض عليها حقيبة مملوءة بقطع الزينة «الاكسسوار»، التي تشمل الاحزمة، وحقائب اليد، كلها مصممة لتفي بحاجات نوعية الزبائن الذين يرتادون البوتيك. وأعجبتها البضائع، وبما أنها ستكون شيئاً جديداً للمحل، تساءلت عما إذا كان يجب عليها أن تطلب الإذن لشرائها.

واتصلت بالسيد هارفنغ، المدير العام، ولكنه رفض الفكرة «سيتعارض هذا مع قسم الزينة للأزياء التقليدية. والإدارة لا تسمح بذلك آنسة بورن».

ولكن الآنسة بورن رفضت أن تقبل بحكمه. وقررت أن تسأل درو. وقالت لنفسها «ما فائدة أن يكون للمرء اتصالات مع القمة إذا لم يستخدمها؟» واتصلت به وسألته إذا كان يستطيع الاستغناء عن بضع دقائق «وأعدك ان لا يستمر الأمر أكثر من بضع دقائق لأني خارجة لما تبقى من النهار» ووافق على رؤيتها، وكان جالساً خلف مكتبه ويبدو رسمياً جداً، هل يمكن ان يكون هذا نفس الرجل الذي، منذ بضعة أيام، كان يمسك بها فوق فراشها ويهدد بضربها على قفاها؟

وحياها بابتسامة كانت مزيجاً من الاستهزاء والسخرية. «كنت اتساءل كم سيمضي من وقت قبل أن تبدأ تلك الموظفة السيئة، السيئة بمضايقتي ثانية. لقد

مضت عليّ الأيام القليلة الماضية بهدوء وسلام. إذ لا توجد آية اثارة قد تدفعني الى الجنون» وأشار الى كرسي جلست عليه «ماذا تريدين آنسة بورن؟».

ـ ان ابدأ بقسم للاكسسوار في البوتيك سيد مايجور.

ـ هكذا، وماذا بخصوص المال؟

ـ لم أصرف كل ميزانيتي بعد، قد أدفع منها.

ـ ما نوع البضاعة التي تفكرين بها.

ـ أحزمة، مجوهرات مزيفة، حقائب يد، ذلك النوع من الاكسسوار تعرفه العديد من البوتيكات إضافة للثياب.

وارتفع حاجباه «اتتشبثين امبراطورية آنسة بورن؟ هذا بالضبط ما سيقوله باقي الموظفين» وفكر للحظة «أسف، لا يمكن فعل هذا. سيتعارض هذا مع قسم الزينة التقليدي».

ـ هذا ما قاله بالضبط السيد هارفنغ. ولهذا قررت أن اطلب منك.

ـ ظانة انك قد تستخدمين نفوذك لديّ لإلغاء قراره؟ حسناً لمرة واحدة آنسة بورن لن تحصلي على ما تريدين. فجوابي هو «لا».

ـ ولكن يا سيد مايجور، كل ما اريد أن أفعله، أن أتوسع بعملي قليلاً. وطبعاً التوسع دلالة جيدة؟ فالطلب على هذا النوع من البضائع موجود. وانا متأكدة.

ـ هل سألك الزبائن عن هذا النوع من البضاعة؟

ـ حسناً، لا، ليس بعد: ولكن البضاعة التي أراني إياها البائع رائعة و...

ـ هكذا اذاً! لقد وقعت في حبائل البائع. انت لا تزالين طفلة في ما يتعلق بالمشتريات. أليس كذلك؟ من السهل أن تغتري بكلام الباعة.

ـ لا، لم أختر. لقد قلت مرة إن لديّ بعد نظر، حسناً أنا الآن أستخدمه. وأنا احاول تحسين بوتيكي...

ـ بوتيكك؟

ـ أوه.. آسفة، من المفترض أن اقول بوتيككم، وأن اقدم خدمة أفضل للزبائن باعطائهم تشكيلة أكبر من الموضة تحت سقف واحد.

ـ ها أنت الآن تجربين خبرتك في كلام البيع عليّ، ولكني آسف، فأنا متبع ضدها. لقد اصبحت قاسياً لمعايشتي لها طوال هذه السنين. أقدر لك حماستك وإخلاصك لعملك. ولكن الجواب لا يزال «لا».

ونهضت بغضب وهي تنظر إلى ساعتها «لو كان لديّ الوقت، لبقيت هنا إلى أن أحصل على ما أريده».

فابتسم ولكنها تابعت «يجب عليّ اللحاق بموعد القطار».

- الى أين انت ذاهبة؟

- الى البلد، لأزور مصنعاً. أحد الباعة دعاني للزيارة.

- لديّ موعد غداء في البلد، سأوصلك.

- توصلني؟ لا شكراً، أنا ذاهبة بالقطار.

- انت ذاهبة معي آنسة بورن.

وكانت لهجته تحمل طابع السلطة كذلك تعبيرات وجهه. ولم يكن امامها بديل سوى ان تذهب معه «سأحضر معطفي سيد مايجور».

- لا لن تفعلي، فانا لا أثق بك بأن تعودي مني. ستأخذين معطفك عندما أذهب معك، وذلك خلال... خمس دقائق.

وانتظرت الخمس دقائق، التي امتدت لتصبح خمسة عشر. واخيراً انهى مكالمته الهاتفية، وأعلم سكرتيرته أنه ذاهب، وجمع كومة من الأوراق ووضعها في حقيبته وقال «حسناً، سنذهب».

في السيارة سألها «الى أين أنت ذاهبة؟».

- الى مؤسسة تدعى ازياء تندمايكر، اذا كانت بعيدة عن طريقك لا تزعج نفسك، لديّ الوقت الكافي لألحق بالقطار.

- إنها بعيدة عن طريقي ولكنني سأوصلك على كل الأحوال.

وخاطرت بأن تزعجه وسألته «هل... ستتغدى مع كاميل؟».

«كاميل؟ لا. كاميل من شؤوني الخاصة وليس من شؤون العمل.

وقالت بتوتر ندمت عليه فوراً «لا حاجة لك لأن تخفي الأمر عني. أنا أعرف تماماً ما هو موقع كاميل في حياتك الخاصة».

- موقع لكاميل موقع؟

ونظرت أمامها وقد ملأتها الغيرة، وغيّر الموضوع «كيف حال روميو؟

- لم اعد أراه كثيراً. يأتي لزيارتنا أحياناً.. ولكن...

- أتشاجرتما؟

- ليس بالضبط، ولكن منذ الخفلة في حديقتكم، كنا مجرد اصدقاء.

- نهاية محزنة لغرام واعد. لا أستطيع القول اني آسف. لم اكن احب ابداً

أن يكون هناك علاقة غرامية بينك وبين موظف عند منافسينا.

- لم تكن علاقة غرامية، كما تسميها. وقلت لك، نحن ما زلنا أصدقاء.

وساد صمت طويل، قطعه بقوله «لقد تحدثت سابقاً عن التوسع. إلى أي مدى أستطيع الثقة بك؟»

- يجب أن تكون عارفاً بذلك بعد هذه المدة.

- إذا أخبرتك شيئاً، هل تقسمين بأن لا تتفوهي بكلمة لأي كان؟

ورفعت يدها اليمنى وكأنها أمام محكمة «أقسم بشرفي».

- حسناً، سأخاطر. هل تعرفين ان لدينا فرع آخر لمايجور؟

وسمى لها اسم بلدة بعيدة.

- وهل تفكر بافتتاح فرع جديد؟

- ليس بالضبط. كنا نبحث علياً عن قطعة أرض مناسبة لبناء امتداد آخر للمؤسسة، وأظن أننا وجدناها. وسأتولى الآن المفاوضة على السعر وباقي الأجراءات. الرجل الذي سأتغدى معه اليوم هو محامي المؤسسة.

- هذا يبدو مثيراً. ألا تفكر... لا، أعتقد لا... ألا تفكر بنقل البوتيك واعطاءه مساحة أكبر؟

وألقى رأسه إلى الوراء وضحك «انتهازية حتى أعماق قلبك! لم نكن نفكر بهذا، لا».

- ما أرغب به حقاً، محل لي وحدي.

وضحك ثانية «لو أعطيتك محلاً لوحدك، ماذا تعطيني بالمقابل؟».

- آسفة لا شيء بيننا، لقد سمعت ما قاله أبوك أنا مختلفة.

- لا فرق تعرفين ماذا سيقول الناس عنا، أليس كذلك؟

- لا تقلق، بعضهم بدأ بالكلام فعلاً. لقد قال روي هاوكنز الكثير عندما اعطيتني الأفضلية لترتيب الواجهة. وهذا رماني في بركة السباحة.

- هل هذا صحيح؟ لم أعرف أبداً، سأعلّمه درساً لن ينساه.

وعادت إليه روحه المرحة «إنهم محظوظون أليس كذلك؟ من المؤسف ان نخيب أملهم»؟

وقالت بعد وقت قصير «أظن أننا وصلنا» وقاد السيارة عبر شوارع جانبية وتوقف مرة ليسأل ثم استدار نحو طريق وعرة غير مكتملة ووقف أمام بناء كتب عليه باليد، أزياء تندمايكر.

ـ ما يسمون هذا؟ مصنعاً؟ لا يعجبني منظره أبداً.

«ولكن يا درو» ولأنها كانت مندفعة لكي تقنعه ليغير رأيه بالمصنع نسيت الرسميات بينها وبعض ازيادهم رائعة».

ـ حسناً سأكون عادلاً لندخل ونلقي نظرة.

في الداخل تطلع حوله بشرف. وضغطت جوليت زراً على طاولة كتب عليها «الاستعلامات» ولكن لم يحدث شيء. من مسافة سمعنا صوت الماكينات تعمل، ولكن لم يظهر أحد ليرد. كان الجو مثيراً للاشمئزاز والنوافذ ليست أكثر من فتحات صغيرة. بعد خمس دقائق أمسك درو ذراعها وقال «تعالي، لن نمكث هنا لحظة واحدة بعد في هذا الجو العفن».

ـ لقد وعدتهم يا درو، وهم يتوقعون قدومي. لا نستطيع الذهاب.

ـ ألا نستطيع؟ . . . وبدأ بإظهار أنهما سيغادران فوراً، وكاد أن يحملها إلى الخارج ودفعها إلى جانبه في السيارة.

ـ لن نتعامل مع مؤسسة مثل هذه. انظري كيف يعملون في زريبة قذرة لها مكتب قذر. ظروف عمل تصدم. من منظر المعمل لا أثق بهم ولا أثق بمثل بيعهم أبداً.

وقاد السيارة مبتعداً وصرخت «ولكن مونتي ويكس ممثل بيعهم، سيأخذني للغداء، سيكون منتظراً».

ـ إذاً هذا هو ما جذبك؟ لقد توضح الأمر الآن. حتى بعد أن قلت لك أن لا تخرجي مع بائع أبداً.

ـ لا أرى أي خطأ في الخروج مع رجل لطيف مثل مونتي ويكس.

وضحك ضحكة ساخرة قصيرة وقالت بعد برهة من التحديق خارج النافذة «مشكلتك، أنك لا تريدي أن تنمو لأصبح وكيلة. لقد ربطتني برباط وكأنني طفل لا يستطيع المشي دون مساعدة. وحتى عندما أحاول أن احرر نفسي، ترجعني إلى الخلف ـ من المعروف أن الوكلاء يعاملون معاملة ملكية بسبب سلطتهم. والمال الذي في حوزتهم. وانت تعارض حتى ان ادعى الى الغداء. فلا عجب أن أكون ثائرة عليك طوال الوقت».

ـ يبدو لي أني أهتم بك أكثر من الاهتمام بالعمل قليلاً، بسبب الصداقة بين والديينا. فلو حصل شيء مؤسف لك بسبب العمل سأشعر بالمسؤولية تجاه عائلتك.

ـ لا استطيع ان أفهم لماذا؟ فهم لم يعينوك وصياً عليّ. بل لسبب ما وضعت نفسك موضع الأب عندما يتعلق الأمر بي.

وضحك بنعومة «موضع الأب»؟

ـ انت لا تعامل الوكلاء الآخرين في الشركة كما تعاملني.

ـ الوكلاء الآخرون أكبر منك سناً بكثير، ولديهم خبرة أكبر وليسوا صغاراً وجذابين، وقابلين للعطب.

ـ وإن يكن. لا أريد أن تبقى يداي مغلولتان طوال الوقت.

ـ «ألا ترغبين»؟ . . . وابتسم ومد يده ليلتقط يدها، وعينه على الطريق، ولكنها ضمت يديها معاً بغضب، ثم صرخت:

ـ أترى. . لا تزال لا تأخذني على محمل الجد. لا يعامل الرجال النساء كما تفعل أنت. فليست أخلاق كل الرجال عرضة للتساؤل كما هي أخلاقك.

ـ الأفضل لك ان تسحبي كلامك. يا فتاتي! وإلا عند عودتنا سأتخذ عملاً تأديبياً بحقك.

ـ وماذا ستفعل؟ هل ستستخدم ذلك التهديد الذي يخيفني بالصرف من الخدمة؟ سأوفر عليك المشقة.

كانت قد أوصلت نفسها إلى حالة نفسية ذهبت بعيداً في تأويل معاني كلماته. كل ما تعرفه الآن أنها لا تستطيع أن تتكلم مع هذا الرجل على قدم المساواة، لأن من ضمن سلطاته أن يطيح بها لرضاً كليا شعر برغبة في ذلك، وعرفت أيضاً أن بمقدوره عبر ما سماه «العمل التأديبي» أن يجعل التاريخ يعيد نفسه بطريقة انتقامية مذلة، وكل ما ترغب فيه الآن أن تهرب من التهديد المعلق فوقها مثل سقف بناء يوشك على الانهيار. ويوماً ما سينهار وتعلق هي في فخه، وعندها ستكون النهاية.

وأحست بدافع قوي لأن تتقيأ منه بأي شكل، وبأن تخرج من تحت نطاق لسانه. وفتحت باب السيارة، وقفزت إلى الطريق بين السيارات الأخرى التي كانت تستعد للتحرك عند إضاءة إشارات المرور. وصرخ بها «ماذا تفعلين؟ المحاولين قتل نفسك؟ أيتها الحمقاء المجنونة»؟

وركضت ملتفة من أمام سيارته، وشقت طريقها بين السيارات التي كانت قد بدأت بالتحرك ووصلت إلى الرصيف الآخر في الوقت تماماً، وصرخ ثانية، ولكن بسبب صوت السيارات لم تسمع ما قال.

ولم يكن أمامه سوى أن يتابع طريقه محاولاً ان يقرب السيارة من الرصيف ولكن ضغط زحام السيارات من خلفه أجبره على الاستدارة نحو اليسار بدل ان يتقدم إلى الأمام كما كان ينوي ووجد مكاناً مناسباً للوقوف، فوقف وصفق باب السيارة وراءه. وساعدته إشارات السير وقفز عبر الشارع، ووصل إليها وهي تقف بقلة صبر بين مجموعة من الناس تنتظر اشارات السير لتقطع الشارع. وفاجأها تماماً أتى من خلفها بطريقة لم تستطع ادراك ما يحدث إلى أن وجدت نفسها وذراعها عالقة بذراعه وهو يقودها عائداً إلى السيارة، وقال لها بصوت مرتفع وكأنه يعتذر ليسمع الآخرون «مرحباً يا حبيبتي.. آسف لتأخري.. أظننت أني نسيت؟»

عندما أدركت ماذا فعل، سحبت ذراعها بعيداً واستدارت لتهرب، ولكنه كان يتوقع منها هذا وأمسك بها فوراً تقريباً. وصادت، وقد علقت ذراعها بذراعه. يشير نحو السيارة وهو يقول لها «إذا جعلت منا «مسرحية» سأحملك وأحملك بعيداً، لو اضطررت، وأنت تصرخين وتتخبطين إلى السيارة».

ولم يترك ذراعها حتى أجبرها على الجلوس في السيارة وربطها بحزام النجاة ليجعل من هربها مستحيلاً. وتابع سيره وبعد عدة منعطفات عاد الى الطريق الرئيسي.

ـ هذا ليس إلا نوع من الخطف!

ـ وما فعلته ليس سوى نوع من محاولة الانتحار.

ـ سأفعل هذا ثانية لأتخلص منك ومن الأشياء الفظيعة التي تقولها لي.

وتساقطت من عينيها دموع الاحباط على حقيبة يدها وقالت بصوت مختنق «الطريقة الوحيدة لابقائي معك هي في أن تحتفظ بقيود معك».

ـ شكراً لتذكيري. يوماً ما سأفعل هذا تماماً. وسأستعمل القيود. يا إلهي، هناك أوقات انت بحاجة لقيود جسدية لمنعك من إصابة نفسك بأذى!

ـ أين نحن ذاهبان؟

ـ لأقي بموعد الغداء.

ـ لن أذهب معك لا تستطيع إجباري.

ـ ولكنك ستأتين معي يا حلوتي. وإذا اضطررت سأجبرك، بكل سهولة، سأستعمل قوتي الجسدية.

ـ هل حجزت غداء لاثنين؟

ـ أجل.

وابتسمت بانتصار «إذاً لن يكون لي مكان على طاولة لاثنين فقط».

ـ أستطيع تغيير الحجز. فالفندق كبير، وأنا زبون دائم.

ـ ولكنك ستتكلم في شؤون العمل. ولن ترغب في أن أسمع أليس كذلك؟ فقد أتكلم ببعض القصص.

ـ تكلمي كما تشائين يا فتاتي. فأنا أثق بك، وإذا أفشلتني في هذا، ستكون النهاية، وأعني النهاية التامة بينك وبيني، وبينك وبين المؤسسة وبينك وبين الوظيفة. ها أنا أحذرك.

ولم تستطع أن تفعل شيئاً سوى العبوس. ولكنها عندما دخلت في النهاية الى داخل الفندق، وأرشدها الموظفون المحترفون إلى مكانها، وجدت نفسها مضطرة على الرغم منها أن تكون في حالة من صفاء الذهن. وبذلك أصبحت قادرة على تحية ضيف درو، وهو عجام له عينان حادتان وذكي وغير كبير جداً في السن، هادئ، وبسمته مرحبة. فكرة أنها أجبرت على أن تكون في دور مضيفة لضيف درو، بدأت تطنّ في رأسها وكأنها نحلة تروح وتجيء لتجد طريقها، ثم تطير فوراً دون توقف.

خلال تناول وجبة الطعام كانت كالتائهة. التقطت بعض أطراف الحديث حول البائعين، حول ثمن الأرض، والأمور القانونية المتعلقة بشرائها، ولكنها لم تفهم سوى القليل مما كان الرجلان يقولانه. وسمعت الرجل يسأل:

ـ هل هي صديقة لك؟

ـ جوليت؟ السيد فينالي يسأل إذا كنت صديقة لي، هل نحن أصدقاء؟

وابتسمت وقالت للمحامي «أظن أفضل جواب على هذا السؤال هو «في بعض الأوقات ولكنني لا أظن هذا في هذه اللحظات».

وضحك درو، ومال إلى الخلف في مقعده. «أوه... لا أستطيع الموافقة على هذا. لأكن صادقاً فهي ووالديها أصدقاء العائلة. وهناك أوقات تكون معاً. اه.. هل نقول.. أكثر من أصدقاء؟»

واحمرت جوليت، كما قصد تماماً، وابتسم السيد فينالي وقالت جوليت «الأمر ليس هكذا أبداً. فهناك أوقات نكره بعضنا فيها».

وتمتم السيد فينالي قائلاً «ألا يحدث هذا عادة بين الأصدقاء».

ومد درو يده وأمسك بيدها «نحن نعيش حياة كلب وقطة، أليس كذلك يا

جوليت؟» وأجابت معترفة «أجل» هذا صحيح، ولكن هذا ليس بسبب أية علاقة خاصة، فهو رب عملي، وهذا كل شيء».

ونظر السيد فينالي الى يديها المرتبطتين وضحك «يجب فعلاً أن اعترف ان الأمر هكذا».

- إنها تقول الحقيقة. هي موظفة عندي، ولكن هناك فارق.

ومال درو الى الأمام واستراح على كوعيه، ورفع يدها ليأسرها بين يديه. وأخذ يفرق أصابعها ويتفحصها واحداً واحداً. عمله هذا كان عمل ملاطفة تقريباً وتابع كلامه «هناك أوقات يا سيد فينالي عندما تجري هذه الفتاة الى الجنون. فهي تقوم بكسر كل قانون. لقد سببت لي المشاكل في المدة القصيرة التي امضتها في الخدمة أكثر من كل مشاكل عمال وموظفي المؤسسة مجتمعين. ولقد هددتها بالفعل عدة مرات، ومع ذلك فلا تزال تعمل معنا. كل مرة تعود لتتخبط وكأنها كرة تقفز في حديقة الحيوان». ولمس أصابعها بشفتيه، مثل الحبيب. وقال «لا أستطيع إخراج هذه الفتاة من رأسي. مهما فعلت».

وقال السيد فينالي «يبدو وكأنك لا ترغب في هذا كثيراً».

فقالت جوليت وهي تجذب يدها لتخلصها من يدي درو «لا تغرنك المظاهر سيد فينالي. في اليوم الذي أغادر فيه مؤسسة مايجور، سيقيم درو.. أعني السيد مايجور. حفلة للمناسبة».

وابتسم درو بسخرية «في اليوم الذي تتركني فيه جوليت بورن سيتحطم قلبي».

وقال السيد فينالي «هناك دائماً طريقة واحدة يستطيع فيها الرجل منع امرأة من الهروب منه. وهذه الطريقة هي أن يتزوجها». ودفع كرسيه الى الوراء ووقف. ودفع درو الحساب وقال «ليس من فائدة. فجوليت لديها روميو».

وتمتمت جوليت «وأنت لديك كاميل» وقال درو موافقاً «آه.. أجل. يجب أن لا ننسى كاميل أبداً».

وبعد تبادل بضع كلمات عن العمل، تركا المحامي بعد أن صافحاه ووعده بأن يعمل لصالحه. وفي طريق العودة بالسيارة، اختفى مزاج درو المثير وقال لها بحدة «أنا أعتمد عليك في أن لا تتفوهي بكلمة لأي كان. حول ما سمعته اليوم. فحديثي مع المحامي كان خاصاً وسرياً وتستطيعين اعتبار نفسك

صاحبة امتياز لسماعي لك بالحضور. وهذا يظهر مقدار ثقتي بك. وأرجو أن تكوني أهل لهذه الثقة».

- بالطبع ساكون. على كل لم أفهم كلمة مما كنتما تقولانه.

- لا أستطيع تصديق هذا.

- إذا كنت لا تستطيع تصديق ما أقوله، فكيف يحق السماء تقول إنك تثق بي؟

- هذه نقطة لصالحك، وأنا اعتذر. حسناً فأنت لم تسمعي ما كنا نقوله. وهذا دبلوماسي جداً، ومتكتم جداً، وأنا سعيد لأن أعرف.

- وهذه أيضاً هي الحقيقة. كل الأمور القانونية تصيبني بالضجر.

- إذاً فعندما تتزوجين مالكولم، فسوف تتخلين عن الجانب القانوني، ام ستتركين الأمر برمته عليه.

- لن أتزوج مالكولم، لقد قلت لك نحن أصدقاء فقط، وحتى غير أصدقاء في بعض الأوقات.

ونظرت إليه كي تؤكد على ما تقوله «لذا لا حاجة لك لتقلق حول إفشائي لأسرارك عن التوسع له».

- أنا سعيد لأن أسمع هذا. على كل، لقد حذرتك من النتائج.

وقبل أن يفترقا عند مدخل الموظفين شكرته على الغداء «وأنا آسفة على هربي منك».

وهز رأسه وقال «في المرة القادمة ، وبناء على اقتراحك، سأحضر معي قيوداً. دون مزاح. وها أنا أحذرك».

ورفع يده ودخل المصعد.

٩ ـ سأموت معك!

في إحدى الأمسيات، عندما عادت جولييت إلى البيت، قالت لها أمها:

ـ لقد اتصل بي وارن، ودعاني لتناول الغداء معه.

ـ وهل ستذهبين؟

ـ بالطبع، ولم لا؟

ـ هكذا فقط... حسناً، قد لا يعجب هذا والدي، أنت تعرفين كيف يشعر تجاه وارن.

ـ يا إلهي.. ألن أتخلص من ذكر تلك الخطوبة؟ سيدرك أولاً، والآن أنت. ألا تفهمان أن هذا كان منذ ثلاثين سنة؟

ـ آسفة يا أمي. اذهبي وتمتعي بغدائك وامضي وقتاً سعيداً.

كانت لهجتها لطيفة، ولكن على عكس ما كانت تشعر به، لم تكن قادرة ان تقول لأمها عن التوتر البسيط الذي يساورها من أنها يوماً ما قد تستسلم لسحر وارن وللمشاعر التي كانت يوماً تبادله إياها.

وزارها مالكولم في البوتيك في اليوم التالي عندما كانت تتناول غداءها. وتطلع حوله بفضول وقال: «لقد ذهبت سيلينا لتناول الغذاء. انت قليل الحظ».

ـ لم آتِ لأراها: أتيت لأراك يا بطني، أنت من أحب».

فضحكت جولييت وقدمت له بعض من قهوتها. ولكنه رفض، وأشعل سيجارة، فقالت له «أنت تحبني كما تحب ابريق القهوة هذا».

ـ ولكن يا حبيبتي كيف أحب ابريق القهوة.

ـ كن صادقاً واعترف بأنك أتيت لترى سيلينا.

ـ لا، حقيقة هذه المرة. لقد أتيت لأراك. عمل. محلات كارلوس بحاجة لمن يدير هم البوتيك. مارأيك؟ قد يدفعون لك ضعف المال الذي تكسبينه هنا بعد أن أصبح لديك خبرة أكثر. فقط للانتقام من مايجور.

وكان على جولييت أن تعترف بأن الفكرة مغرية، ولكن.. أن تترك

مايجور؟ تترك درو دون أن تراه ثانية؟ التفكير بهذا أرعبها. فهو يستطيع تهديدها بالطرد كل يوم إذا شاء، ولكنها تعرف أنها لا تستطيع ان تتركه بمحض اختيارها.

ـ آسفة يا مالكولم. لطف منك ان تفكر بي، ولكنني لا أستطيع.

ـ اعلميني إذا غيرت رأيك.

ونظر الى خارج البوتيك وقال «هذه الفتاة تتأخر في غدائها، أليس كذلك؟»

ـ لقد عرفت أنك غير صادق عندما قلت إنك لا تريد رؤية سيلينا. ولا أستطيع لومك. فلديها الكثير لتعرضه عليك. أترك لك حرية الجري وراءها.

ـ شكراً لك يا حبيبتي. ولكنني أظن أن لا حاجة لي للجري وراءها، إنها من النوع الذي يقف مكانه عندما يحاول أحد الإمساك بها. سأترك لك رقم هاتفنا فإذا غيرت رأيك اتصلي بقسم التوظيف، وسوف يقبلون بك.

بعد أن خدمت أحدى الزبونات، وأعدت إبريق قهوتها، شمت رائحة دخان، كان خفيفاً في البداية، ثم اخذ يقوى. حريق؟ لا يمكن أن يكون حريقاً! ليس عند مايجور! هل يجب ان تخبر أحد ما؟ ونظرت إلى المتجر كان الآخرون قد بدأوا يقلقون أيضاً. بعضهم كان يستعمل الهاتف، وهو يقول «دخان، هل المكان يحترق؟»

وجاء الصوت هادئاً عبر مكبرات الصوت ولكنه كان صارماً «نرجو من الجميع مغادرة المتجر. المتجر يجب أن يخلى. لا تخافوا. فليغادر الجميع المتجر بطريقة عادية».

وتكررت الرسالة. وفكرت جولييت بسرعب، درو؟ ماذا بشأن درو؟ قد يكون لم يعرف بعد. وحاولت الاتصال بمكتبه. ولكن دون رد. وحاولت ثانية، دون رد أيضاً. يجب أن تصل إليه لتحذره. يجب أن يقول له أحد ان المتجر يحترق.

بدأ الحرس يرشدون الناس للخروج، ورن جرس الحريق. وأخذ الحرس يصيحون «الموظفون. ليخرج الموظفون أيضاً. الجميع الى الخارج! لقد سمعتم النداء».

وذهبت جولييت في الاتجاه المضاد، نحو السلالم. عرفت أنها لا يجب ان تستخدم المصعد. وامتدت يد وأمسكت بها. وقال الحارس «ليس من هنا يا آنسة. من هذه الطريق، نحو المخرج».

ولكنها حررت نفسها وهي تقول «سأصعد إلى الأعلى للحظة، لقد نسيت شيئاً». وركض وراءها، ولكنها تجنبته، وصعدت السلالم قبل أن يلحق بها. ولفتها صرخاته. وتجاهلت تحذيراته بجب ان تصل إلى درو. وعندما وصلت إلى الطابق السادس أخذت تدفع الناس النازلين على السلم. مقاومة كل الجهود لإيقافها، وقد صمّت أذنيها عن تحذيراتهم الملحة، كانت تشهق لتتنفس، وشعرت أن رئتيها بدأتا بالانهيار. ودخلت مكتب درو. لم يكن هناك. وفتشت في المتجر، الذي أصبح الآن خالياً تقريباً، وكان يقف محدقاً بها.

- ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟ ألم تسمعي النداء. اخرجي من هنا مع الآخرين.

- درو كان عليّ أن أحذرك...

- تحذرني؟ أستطيع سماع إنذار الحريق تماماً كما تسمعينه أنت. على كل، أنا أول واحد عرف بالأمر.

وكان قد دخلا إلى مكتبه «اخرجي من هنا يا فتاة»!

- تعالي معي يا درو، عندها سأذهب.

- عليّ أن أبقى إلى أن يصبح المكان فارغاً من الناس، ألا تفهمين؟ مثل قبطان السفينة، يريد أن يغرق معها. لا، لا يمكن ان نترك هذا يحدث. وأصبحت الممرات الآن ضاغطة، وبدأ الدخان يخنقها. وسمعت أصوات الصفارات، لقد وصلت سيارات الاطفاء.

وامسكت بذراعه، وأخذت تشده «درو، يجب أن تأتي معي الآن» واستخدمت كل قوتها لتحركه، ولكنه تخلص منها وحملها خارج المكتب. ووضعها في الخارج وصرخ بها «اخرجي يا حوليت! يا إلهي، سيتغلب عليك الدخان إذا لم يحدث شيء آخر. امرك ان تخرجي».

ولفت ذراعيها حول عنقه «إذا كنت ستبقى هنا درو، سأبقى معك» وهمست «إذا كنت ستموت، سأموت معك».

وسحب ذراعيها عن رقبته «لا تكوني مجنونة، غير ميلودرامية! ما هذا؟ تمثيلية أخرى؟ محاولة أخرى لتدمير نفسك؟».

ولكن ذراعاها وصلتا اليه ثانية، وكان في قبضتها عليه رعب، رعب من ان تفقده إذا تركته وقالت بهستيرية «لن أذهب» سأبقى معك».

- أنت معتوهة يا فتاة. ماذا تعنين بأنك تفضلين الموت معي عن... ودق جرس الهاتف الداخلي. وأمسك يدها وجرها خلفه وقال «نعم؟... انذار خاطئ»؟ واستمع، وجعله الارتياح يضحك «وماذا حصل؟ آه فهمت... نعم.. نعم اذاً لقد وجدتموه الآن؟ كل شيء على ما يرام إذاً».

ووضع السماعة من يده وأخذت يداه ترتجفان. ووجد كرسيه، واستخدم يداه كأعمى يتلمس طريقه. وغرق في كرسيه. وأمسك رأسه. ووضعت ذراعاها حول عنقه، وارتخت من الراحة. وشعر بضغط جسمها على جسمه وجذبها لتجلس على ركبته. ولف ذراعيه حولها، وارتمت على صدره وهي ترتجف.

- يا فتاتي الحلوة المجنونة، ماذا ظننت أنك فاعلة؟

- لا أعرف يا درو، لا أعرف.

- سمعت كثيراً عن إخلاص الموظفين، ولكن يا إلهي... لم أعرف ابداً أن موظفاً يريد ان يموت مع رب عمله!

وخبأت وجهها في صدره «لا تسخر مني يا درو».

- يا أحب فتاة عندي، لم أكن أسخر، ولكن هذه الغريزة التي تملكينها لتدمير النفس وهذا العناد، يجعلني أرتعد. انظري ماذا فعلت ذلك اليوم عندما قفزت من السيارة إلى وسط زحام السيارات، وهذا مثال آخر اليوم أليس كذلك؟

ثم قال بصوت رقيق «جوليت؟ شكراً لانك أتيت لتنقذيني مني».

وتعانقا بنعومة، ثم اشتد عناقهما. وأبعدها عنه بتصور غريب وجلست في المقعد المقابل، ثم قال «أظن أننا معاً، قد جئنا قليلاً. عانينا من ردة الفعل كما أعتقد».

- درو، لم يكن هذا حريقاً؟

- لا، يبدو أن أحد المارة رمى عود ثقاب إلى خزان الزبالة الذي نستخدمه للقنابات، والصناديق الفارغة وما يشبه، فاشتعل ما كان فيه ودخل الدخان الى ماكنات التكييف، وهناك مراوح كبيرة تسحب الهواء النقي إلى الداخل، وهذه أدخلت الدخان ونشرته في كل البناء. وبما أن الكهربائي كان يتناول غداءه لم يعرف أحد كيف يطفيء المراوح. وهكذا جاء «الحريق» والإنذار الخاطيء.

وتقدم ليقف قربها «أتشعرين بتحسن» أم ترغبين في شيء تشربينه»؟

ـ لا شكراً سأعود إلى عملي» وجذبها لتقف، وتابعت «آسفة يا درو لأنني كنت غبية هكذا. الأفضل أن تنسى أن هذا قد حصل».

وأمسك يديها، وأخذ يتفحصهما، كما يتفحص العالم قطعة نادرة. وتمتم «يدا فنان، ونزعة التمرد فيهما» وابتسم «كم كنت أتمنى لو أنك لست متهورة هكذا. هناك أوقات تدفعيني فيها فعلاً إلى القلق».

وهزت رأسها «رغماً عني، هذه طبيعتي» وحاولت سحب يديها من بين يديه «أرجوك يا درو ـ يجب أن أعود إلى عملي».

ولكنه لم يكن قد أنهى كلامه بعد «بطبيعتك المتهورة هذه، سيكون الرجل الذي يحبك غالباً من ان يشركك تفكيرين عن أنظاره. فقد يلتفت بعيداً ثم يلتفت اليك ليجدك قد اختفيت. اخبريني. لو أحببت رجلاً، هل ستفعلين به كما فعلت أمك بأبي؟ التخلين عنه؟»

ونصلبت، ثم قالت له «لمواجه الحقيقة، لقد فعلت أمي ما فعلت لأنها لم تكن تحب والدك. فلو أنها أحبته، لالتصقت به مهما تكن النتائج، كما هي ملتصقة الآن بوالدي، مهما تكن النتائج، على الرغم من مرضه».

وتركها قائلاً: «أنا آسف. ليس لديّ الحق في الحديث عن والدتك هكذا». وجلس وكأن سائلاً تعبتان: «من الأفضل أن تذهبي».

وتركته دون كلمة أخرى.

في منزلها، وجدت أمها لوحدها وشاحبة قليلاً، وسألتها جوليت وهي تغسل يديها وتنشفهما «ألم يرجع أبي من عمله بعد؟»

ـ لا... أكان يومك جيداً؟

كان هنالك شيء في صوت أمها جعلها تستدير. كان منكسراً بالرغم من تصميمها ان يبدو مرحاً. ولكنها بدت هادئة كالعادة. وحدثتها جوليت عن انذار الحريق الخاطئ، وكيف احلى البناء، ولكنها لم تقل شيئاً عما جرى لها مع درو.

ـ «إذاً إجمالاً كان يومك هادئاً» صوت أمها لا زال يبدو غريباً قليلاً.

ـ هل هنالك شيء ما يا أمي»؟ وتوقعت ضحك إنكار، ولكنها ارتعبت عندما شاهدت امها تنهار على الكرسي وتنفجر بالبكاء «أمي... ماذا حدث؟.. هل... أبي؟»

ـ لا يا عزيزتي، لا شيء من هذا... وجففت دموعها «هذه سخافة مني.

إنه فقط...» ونظرت الى ابنتها وصوتها فيه الحاح «عديني أن لا تخبري والدك»؟

ـ أعدك بالطبع.

ـ حسناً، لقد تناولت الغداء مع وارن اليوم. جوليت، إنه، إنه.. سيسافر!

إذاً هذا هو الأمر. والدتها تحبه بعد كل هذه السنين! وتابعت كلامها «إنه مسافر إلى الخارج إلى مكان ما، اميركا الجنوبية، كما أظن. قال إنه يجب أن يبتعد. لم يعد يتحمل الحياة أكثر. بسبب زوجته على الأرجح. فالحياة لا تطاق بينهما، جوليت».

ونظرت اليها وفي نظرتها إنكار طفولي «لقد طلب مني الذهاب معه. وقال إنه ما زال يحبني، أكثر مما مضى، قال لي إنه غير سعيد. وليس لديه اهتمام بأعماله، ولا اهتمام بأي شيء. وبدوني الحياة ليس لها معنى. حبيبتي ماذا أستطيع أن أقول له»؟

وسحبت جوليت كرسياً وجلست بقربها، وهمست «أمي.. إنك لن تذهبي؟.. وماذا بشأن أبي»؟

ـ حبيبتي كيف تشكين بي؟ بالطبع لست ذاهبة. لقد قلت له إنني أحب زوجي وأنني مرتبطة به، وهذا ما حطمه. قلت له إنني مرتبطة بسيدرك بالماضي والحاضر وبما سيأتي. عرض عليّ المال المركز، كل ما أتمناه سيعطيني إياه. ولكنني قلت إن كل هذا لا يعنيني». وصمتت كأنها تستعيد ما حصل بينهما.

ـ إذاً، سيسافر الآن؟

ـ أجل، قلت له ان ينساني، وأن يخرجني من تفكيره. فقال إن هذا سيحدث فقط يوم يموت. لقد شعرت بالأسف عليه يا جوليت. كان الجلوس معه ومراقبة بؤسه، أمر رهيب. ولكن لم يكن هنالك شيء أفعله، لا شيء.

وجلستا صامتتين احداهما تفكر بالرجل الذي يحبها، والأخرى تفكر بابنه، الرجل الذي تحبه. سخرية الوضع صدمت جوليت، ولكنها لم ترغب في الضحك، رغبت في ان تبكي، لأجل وارن ولنفسها.

وسمعتا المفتاح يدار في القفل، لقد عاد والدها الى البيت. فهمست سينثيا «شكراً لأنك استمعت اليّ. أشعر بتحسن الآن لأنني شاركتك همومي» وتعانقتا ودخل سيدرك، وحيت سنثيا زوجها بابتسامة.

بعد بضعة أيام سافر وارن، وسمعت جولييت بهذا من الكلام المتناثر، وقالت الشائعة «ذهب لعمل في الخارج».

كانت نهاية أحد الأيام الطويلة تقريباً، وكانت جولييت قد انتهت من كتوي بعض البضائع التي عبث بها الزبائن. ورن جرس الهاتف. وكان المتكلم سكرتيرة درو مايجور وقالت «سيد مايجور يرغب في رؤيتك آنسة بورن فور إقفال المتجر».

ـ ألا يستطيع الانتظار؟ سأحضر فور تسليم المال إلى الصندوق وترتيب بعض الأمور. وغطت السكرتيرة السماعة وطرحت السؤال ثم عادت للقول «يعطيك السيد مايجور عشر دقائق زيادة».

واحتارت جولييت. ما هو السر؟ لم تكن قد شاهدت درو لبضعة أيام. وقالت لنفسها إن هذا أفضل. فما الفائدة من رؤيته، والتحدث معه دون أن تتمكن من لمسه؟ وكانت تتساءل بمرور الأيام ما إذا كان لا يزال على علاقة بكاميل، أم أنه تركها لصالح امرأة أخرى.

عندما ذهبت إلى مكتب درو، كان المتجر مهجوراً تقريباً، وخرج آخر زبون، والموظفون ذهبوا الى بيوتهم واقفلت الأبواب. وسيأتي عما قريب عمال التنظيفات، ولكن حتى ذلك الوقت كان الهدوء يعم المتجر، كما السكون الذي يلف الأشجار قبل العاصفة.

وتمزق الهدوء في اللحظة التي شاهدت فيها وجه درو، وتفجرت العاصفة فوراً فوق رأسها. كان يقف وعيناه تلمعان وفمه مشدود بالغضب.

ـ إذاً لقد فعلتيها مرة أخرى؟

ـ ماذا فعلت مرة أخرى.

ـ لا تمثلي عليّ دور الفتاة البريئة، لم تعد تنطلي عليّ.

ـ اتمنى أن تقول لي ماذا يفترض أنني فعلت.

ـ وهل أنا بحاجة لذلك؟ ألم تكتفي بخيانتنا بوالشاء أمر صفقة ماكنات الغسيل لجاسوس كارلوس الأول، صديقك مالكولم واتلنغ، بل تحدثت معه حول مفاوضتنا الخالية عن الموقع الذي نريد بناء امتداد لمتجرنا عليه. كنت اعلم أنني لا يجب أن أثق بك ومع ذلك فقد أقسمت بشرفك أن لا تخبري أحداً.

ـ ولقد حافظت على وعدي.

ـ حافظت؟ أليس كذلك؟ وأنا سأصدقك، بالطبع. خاصة عندما أسمع من سمسار الأراضي الذي تتفاوض معه أن الصفقة قد ألغيت، وأن كارلوس قد هزمنا ودفع مبلغاً يزيد عما طلبه المالكون أساساً، وهذا كسب الصفقة. وهذا ما يترك مايجور دون شيء.

ـ أنا.. أنا آسفة.

هذا كل ما استطاعت ان تفكر بقوله، ولكنها عرفت أن كلمات الاعتذار هذه، ستدينها في نظر هذا الرجل، تماماً كما لو أنها اعترفت بالجريمة التي يتهمها بها. وأخذ يدور حولها، وارتعدت من العنف الظاهر على وجهه.

ـ إذاً أنت آسفة، بعد كل الوقائع. وبعد أن أعطيت لذلك الصديق الخائن أكثر اسرار المؤسسة أهمية؟

كان يجب عليها أن تحاول الدفاع عن نفسها.

ـ ولكن يا سيد مايجور أقسم لك أنني لم أقل كلمة لأي شخص كان. يجب عليك أن تصدقني!

ـ أصدقك؟ بعد أن كان هذا تكرار بسيط لما فعلتيه من قبل؟ آسف ولكنني لن أصدقك ثانية، ولن أثق بك، هل تسمعين؟

ولم تتحمل الاتهام وارتفع صوتها «ما هو الدليل الذي عندك بأنني مررت المعلومات؟ كيف تثبت هذا؟» وارتجف صوتها «بعد الذي حدث كيف تشك باخلاصي»؟

ـ إخلاص؟ أنا لا آبه لإخلاصك.

وأصبح غضبها الآن يماثل غضبه «ألا تأبه.. لا.. كيف تتكلم عن الإخلاص؟ أنت لا تعرف معنى الكلمة حتى. أنت ومجموعة نسائك تصادقهن وتتركهن. لن تفهم أبداً..» وتنفست بعمق لتوازن كلامها «نوع الحب والاخلاص الذي قد يشعر به إنسان لشخص آخر. والذي قد يستمر فترة الحياة كلها».

ـ وماذا تعرفين عن الحب الذي يدوم الحياة كلها؟

وصرخت «الكثير... أكثر مما تستطيع معرفته أبداً، لدي مثال عن أمي وأبيك. في الواقع سأكون مجنونة بقولي هذا لك. أعرف أنني مجنونة ولكن.. ولكن» كانت مصممة لقول الحقيقة مهما كلف الأمر، مهما كان نوع الاذلال الذي ستسببه لنفسها «ولن أموت معك فقط كما قلت لك ذلك اليوم، بل

أموت لأجلك. بهذا العمق هو إخلاصي. فهل تصدقين إنني لم أخشى مسرك لأي كان.. أبداً؟».

وشحب وجهه وأسرعت وهي تبكي «لا، لا أستطيع رؤيتك هكذا.. عندما أذهب، وهذه المرة للأبد اضحك واضحك عن كيفية استعبادك لامرأة، وهذا سيزيد انتصاراً آخر على لائحتك». وركضت نحو الباب.

- «جولييت» ولحق بها وأمسك بذراعيها وأدارها «هل تدركين ما تقولينه؟»

وجذبت ذراعها منه وهربت. وقد أعمتها الدموع، وهبطت السلم مئة طوابق. ولم يلحق بها. وعندما وصلت البوتيك، كانت لوحدها. «هكذا إذاً تتخلص مني، أنا جولييت بورن، أخرج من عند مايجور وابنه.. كارلوس.. ها أنا آتية اليكم».

ونظرت إلى نفسها في المرآة، كان يجب عليها ان تتوقف عن البكاء ومسحت وجهها بمنديلها، ووضعت بعض الزينة على وجهها بيدين مرتجفتين ولكن الدموع استمرت بالاندفاع لتفسدها مرة أخرى، وكان عليها ان تمسح وجهها وتبدأ الزينة من جديد. ورن جرس الهاتف: ومدت يدها بسرعة لتجيب.

- لم أنت تبكين يا جولييت؟

- أنا.. أنا.. لا.. لا أبكي أنت تتخيل هذا.

- أنا لا أتخيل أعرف أنك تبكين.

- وكيف.. تعرف؟

- أستطيع رؤيتك على شاشة التلفزيون.

- هذا كل ما تستطيع فعله أن تسخر مني.. أنا ذاهبة.

- أنت لست ذاهبة ستبقين حيث أنت، سأنزل إلى عندك.

- انت.. ل.. لن تنزل الى عندي. سيكون قد فات الأوان.

ولكنها كانت تكلم نفسها لأنه أقفل السماعة ووضعت السماعة بعنف ثم بدأت تزين وجهها بشكل محموم ثانية، ولم تنجح سيئاً وجهها هكذا، سيقى لها ان تتمنى ان لا يلاحظها أحد وهي في هذه الحالة. وامسكت بمعطفها وحقيبة يدها. وجرت نفسها نحو المدخل. وكان يقف هنالك، وجعلها اندفاعها تصطدم بصدره. وترنحت للحظات ثم استعادت توازنها وحاولت ان تدفعه لتتجاوزه، ولكن جسمه القاسي الذي لا يلين، منعها من

الهرب. وجرّها ثانية نحو البوتيك وقاومته: «لا فائدة من محاولة إيقافي.. أنا سأتركك.. سأعمل عند كارلوس. وكيلة البوتيك عندهم تركت العمل وهم مستعدون لدفع ضعف المبلغ الذي تدفعونه لي...

وهزها بعنف لتتوقف. «أنت تعملين لكارلوس؟ فوق جثتي! هل تظنين أني سأتركك الآن. بعدما قلتيه لي في مكتبي»؟

- لا تستطيع منعي!

- أوه.. ولكني أستطيع هكذا..

واطبقت ذراعاه عليها، والتفتا تماماً كأنهما حبل من حولها. ولكنها قاومته، لتهرب منه لا هذا لن يخيفك، لن أكون واحدة من نسائك. لن أقبل أن أقيم علاقة معك.. لذا...

وجاءها صوته يقول بإلحاح «يا حبيبتي أنا أطلب منك أن تقيمي علاقة معي. علاقة مدى الحياة إلى أن يفرقنا الموت...»

وتراجعت وحدقت به، مرتابة حتى هذه اللحظات في دوافعه.

- أنا أتقدم منك يا حلوتي، أطلب منك الزواج يا جولييت.

- ولكن.. ولكن إذا قبلت، كيف لي أن أعرف أنك لن تخونني، مثل ما فعل أبيك لأمك؟ لقد قلت إنه علمّك أن تكون مثله؟

- انت تتناسين حقيقة مهمة. لقد اختار المرأة غير المناسبة زوجة له، وأنا اخترت المرأة المناسبة منذ البداية، و.....

وجذبها لتقترب من جسده «ولن أرتكب الخطأ الفظيع الذي ارتكبه. لن أتركك تهربين مني، كما سمح لأمك أن تفعل قد لا تصبح مخطوبين أبداً يا حبيبتي.. سنتزوج فوراً».

وهمست بضعف «ولكنني لم أقل.. أنني سأتزوجك».

- ليس لديك الخيار يا حلوتي. أعرف أنك تحبينني. لا تقول أية امرأة لرجل ما قلتيه لي دون أن تكون تحبه، هل أنا على صواب؟

وهزت رأسها بالإيجاب، وهذه المرة لم تقاوم عناقه، وأراحت نفسها عليه، وهي بحاجة لدعم جسده لها لتستطيع الوقوف.

وقال لها وهو يرفع وجهها ويحيطه بيديه «يا حبيبتي، أبي في أميركا الجنوبية».

- أعلم، لقد أخبرتني أمي.

- أريد أن نفعل شيئاً. اريد أن نتصل به الآن وإبلاغه الخبر. أعرف اسم

الفندق. ومشيا وذراعاهما متشابكتين نحو المصعد وابتسمت له «وهل هذه حالة طارئة»؟

ـ بالطبع، وإذا لم يأتِ فوراً سيفوته حفل الزفاف!

في المصعد احتضنها بين ذراعيه وكأنه خائف أن يتركها وقال لها «لقد اكتشفت السر وراء مبيع الأرض. عندما تركتني لوحدي.. اتصلت بمدير كارلوس، وأدركته قبل أن يذهب إلى بيته. وأخبرني أن السمسار لعب على الحبلين. فقد اتصل بهم السمسار وقال لهم إننا نريد الأرض. وإذا كانوا مهتمين يستطيعون الحصول عليها شرط أن يدفعوا مبلغاً أكبر. وهكذا حصلوا على الأرض. وعندما قلت له رأيي بهم قال إننا إذا كنا نشعر هكذا، نستطيع استعادة الأرض، وحظاً سعيداً لنا».

وخرجا من المصعد وسارا إلى مكتبه «وهل ستسامحيني على هذه الاتهامات التي ألصقتها بك، ولإلقائي اللوم عليك»؟

وجذبت رأسه إليها وهمست في أذنه «إذا قلت إنك تحبني، وهذا ما لم تفعله حتى الآن، سأسامحك على أي شيء».

وفتح باب مكتبه ودخلا، وتابع في اقناعها، بأفضل طريقة مقنعة، بحبه لها. وهكذا ساعته.

وجلس على كرسيه وأجلسها على ركبته. وسألته وهي تتلمس ذقنه بأصابعها «منذ متى وأنت تحبني يا درو»؟

وغطت يداه يديها «كم يستغرق انهيار جبل كي يضربك بعد سقوط أول حجر؟ أول حجر أصابني يوم التقيت بك. والباقي وقع فوقي في الحال تقريباً».

وهمس لها «وهذا ما استغرق من وقت كي أحبك».

ـ ولكن يا حبيبي لماذا لم تقل لي؟

ـ لماذا. السبب هو أن المرأة عندما تقول للرجل إنها تكرهه أكثر من كرهها لأي شخص آخر في حياتها، فماذا يفعل الرجل؟ سوى أن يبقى صامتاً كما فعلت أنا؟

ـ لم أقل لك هذا، بل قلته لوالدك. على كل لقد كرهتك، لأنك كنت ظلماً معي، ولأنك لم تحبني بالمقابل عندما أحببتك.

ـ كم ضيعنا من وقت يا حبيبي!

وأمضى درو بضع دقائق ليتصل بالفندق، ودقائق اكثر حتى وجدوه وأخيراً جاء صوته واضحاً جلياً عبر آلاف الأميال، وعندما سمع الخبر، أصبح صوته مرتفعاً أكثر، والفرح فيه ظاهر دون خطأ. وقال لها درو وهو يمد يده بالسماعة «يريد التحدث معك، لا تقلقي حول التكاليف. فالمخابرة على حساب المؤسسة».

وقال لها وارن «جوليت؟ الكلمات لا يمكن ان تصف مدى سعادتي. يا عزيزتي، هل تفعلين شيئاً لي؟ لمرة واحدة...» وتحطم صوته ثم استعاد عافيته «اتدعينني يا أبي؟ وبعد ذلك ادعيني وارن، أو أي شيء آخر، هيا.. أنا أستمع اليك».

وأجابته بخجل وهي تنظر إلى درو الذي سمع ما قاله والده.

ـ مرحباً يا أبي. أنا سعيدة لأنك مسرور بهذا الاسم.

وساد صمت قصير ثم قال «شكراً لك يا عزيزتي. اعطني ولدي لأتكلم معه». وأخذ درو السماعة منها «درو؟ تزوجها فوراً يا بني لا تتركها تهرب منك كما تركت انا والدتها».

ـ لا تقلق يا أبي. بعد أيام قليلة على الأكثر. لن نكون مخطوبين حتى.

هل سنأتي لحضور زفافنا؟

ـ حاول أن تمنعني وسترى! أنا في طريقي إليكم، ولكن قبل ان أذهب، قل لفتاتك شيئاً واحداً فقط. قل لها حداً لله إنني سأكون مرتبطاً بوالدتها بطريقة ما، ولو كان عن بعد، أخبرها ذلك أرجوك؟

وأقفل الخط وسألها درو «هل سمعت»؟

وكانت الدموع قد ملأت عينيها، وهزت رأسها بالإيجاب وقال درو:

ـ تعالي.. سأحملك إلى البيت عند ذويك، ثم سنخرج لنحتفل.

ـ يجب أن أحضر اشيائي من البوتيك، وأفعل شيئاً لوجهي.

ـ لا تهتمي، إنه جميل هكذا.

في البوتيك مشطت شعرها، ولكن الزينة كانت غير ضرورية. فقد تغير وجهها، وقالت له «لقد قلت لي مرة إن المرأة التي ستتزوجها يجب أن تكون مكتملة».

ـ لم أقل هذا.. قلت مصنوعة حسب مقاييسي الخاصة. وهذا أمر مختلف

تماماً. فأنت لست كاملة بالتأكيد يا حبيبتي، ولن أتزوجك لو كنت كاملة. فمن يريد امرأة كاملة؟ ولكن، يا إلهي.. فيما يتعلق بي أنت مصنوعة تماماً حسب المقاييس، مقاييسي أنا.

وتعانقا ثانية، ومضيا في طريقهما، وذراعه حول خصرها، إلى موقف السيارات، تاركان المبنى من المدخل الخلفي. وكان الحارس يقف الى جانب السيارة وعندما اقتربا منه ابتسم وتمنى لهما كل السعادة وتعجبا، وسألاه «كيف عرفت»؟

فضحك وقال «لقد شاهدتكما على شاشة التلفزيون من غرفة المراقبة.. يا إلهي.. كان المشهد وكأنه فيلم!»

وحثه درو قائلاً «ابق الأمر سراً لنفسك لا تخبر أحداً بعد ارجوك».

ـ لن اخبر أحداً يا سيدي. أعدك، ما عدا زوجتي فهي لا تستطيع مقاومة النهايات السعيدة!

النهاية

LILLAS.COM